جولة في

تركستان الشرقية

تحت حكم الشيوعية

بقلم

محمد ناصر العبودي

جولة في

تركستان الشرقية

تحت حكم الشيوعية

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م

الكتاب: جولة فى تركستان الشرقية تحت حكم الشيوعية

المؤلف: محمد بن ناصر العبودي

الناشر: دار الهداية ت: ٠١٢ ٢٣٢٤٨٧٨٩ / ٠١١ ٤٦١٧١٢٤٧

رقم الإيداع

٢٦٢٠٤ / ٢٠١٥

الترقيم الدولي

I.S.P.N : 978-977-486-081-2

رابطة العالم الإسلامي
الأمانة العامة
الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

جولة في تركستان الشرقية تحت حكم الشيوعية

بقلم
محمد بن ناصر العبودي

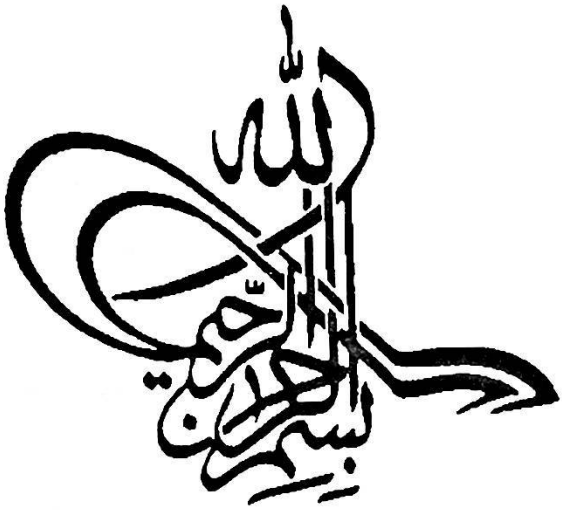
بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(1) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - طبع بيروت، دار الثقافة، 1388هـ/ 1968م.

(2) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا - الرياض، دار العلوم، 1401هـ/ 1981م.

(3) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض، النادي الأدبي، 1401هـ/ 1981م.

(4) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، 1402هـ/ 1982م.

(5) رحلة إلى سيلان - الرياض، جمعية الثقافة والفنون، 1403هـ/ 1982م.

(6) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - نشرته دار العلوم في الرياض، 1404هـ/ 1984م.

(7) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شئون المسلمين - نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، 1404هـ/ 1984م.

(8) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، 1404هـ/ 1984م.

(9) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام 1405هـ/ 1984م.

(10) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض، المطابع الأهلية، 1405هـ/ 1984م.

(11) في نيبال بلاد الجبال - رحلة وحديث في شئون المسلمين - الرياض، مطابع الفرزدق، 1405هـ/ 1985م.

(12) رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، 1405هـ/ 1985م.

(13) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض، 1407هـ/ 1987م.

(14) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها، 1410هـ/ 1990م.

(15) على قمم جبال الأنديز - الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، 1410هـ/ 1990م.

(16) في غرب البرازيل - الرياض، مطابع الفرزدق التجارية 1412هـ/ 1991م.

(17) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام 1412هـ/ 1991م.

(18) بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1412هـ/ 1991م.

(19) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست، 1407هـ/ 1987م.

(20) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، 1410هـ/ 1990م.

(21) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1413هـ/ 1992م.

(22) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1413هـ.

(23) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1414هـ.

(24) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1413هـ/ 1992م.

(25) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1413هـ/ 1992م.

(26) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(27) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1413هـ/ 1992م.

(28) بورما الخبر والعيان - طبع ببيروت عام 1412هـ.

(29) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام 1414هـ/ 1993م.

(30) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1414هـ/ 1993م.

(31) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1414هـ/ 1993م.

(32) في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام 1414هـ.

(33) كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1414هـ.

(34) ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(35) أيام في النيجر - طبع ببيروت عام 1414هـ.

(36) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1415هـ.

(37) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع ببيروت عام 1414هـ.

(38) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1414هـ.

(39) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1414هـ.

(40) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1412هـ/ 1992م.

(41) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1414هـ.

(42) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1411هـ/ 1991م.

(43) بلاد القريم - نشرته دار القبلة في جدة.

(44) قصة سفر في نيجريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(45) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(46) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام 1416هـ.

(47) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1417هـ.

(48) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام 1419هـ.

(49) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام 1417هـ.

(50) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام 1417هـ.

(51) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام 1417هـ.

(52) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام 1417هـ.

(53) حديث قير غيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام 1418هـ/ 1997م.

(54) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام 1418هـ/ 1997م.

(55) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع النرجس التجارية، الرياض، 1420هـ/ 2000م.

(56) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1417هـ/ 1997م.

(57) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام 1419هـ.

(58) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام 1420هـ.

(59) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية - طبع في مطابع التقنية في الرياض عام 1419هـ.

(60) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، 1419هـ.

(61) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، 1420هـ.

(62) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، 1420هـ/ 1999م.

(63) بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية، الرياض، 1420هـ/ 1999م.

(64) مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية، الرياض، 1420هـ/ 1999م.

(65) تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية، الرياض، 1420هـ.

(66) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمة وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، 1420هـ.

(67) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، 1420هـ.

(68) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، 1420هـ/ 1999م.

(69) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ/ 2000م.

(70) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، 1420هـ/ 1999م.

(71) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، 1421هـ/ 2000م.

(72) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام 1421هـ.

(73) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شئون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، 1421هـ.

(74) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، 1421هـ/ 2000م.

(75) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، 1421هـ/ 2000م.

(76) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، 1421هـ/ 2000م.

(77) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، 1422هـ/ 2001م.

(78) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، 1422هـ/ 2001م.

(79) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، 1421هـ/ 2001م.

(80) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، 1422هـ/ 2001م.

(81) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شئون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، 1421هـ/ 2001م.

(82) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شئون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، 1422هـ.

(83) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، 1422هـ/ 2001م.

(84) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض، 1423هـ/ 2002م.

(85) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، 1423هـ/ 2002م.

(86) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، 1422هـ.

(87) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض، 1423هـ/ 2002م.

(88) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، 1423هـ/ 2002م.

(89) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، 1423هـ.

(90) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، 1423هـ/ 2002م.

(91) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام 1424هـ/ 2003م.

(92) رحلة هونغ وماكاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، 1423هـ/ 2002م.

(93) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، 1423هـ/ 2002م.

(94) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام 1424هـ.

(95) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام 1424هـ/ 2003م.

(96) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام 1424هـ/ 2003م.

(97) إلى إريتريا بعد 36 سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام 1424هـ.

(98) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارايبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(99) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام 1424هـ/ 2003م.

(100) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، 1424هـ - 2003م.

(101) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، 1424هـ.

(102) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام 1429هـ.

(103) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام 1424هـ - 2003م.

(104) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية)، مطبعة النرجس في الرياض عام 1427هـ.

(105) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية)، (تحت الطبع).

(106) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام 1426هـ.

(107) قوادي لوب وانتقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) طبع مطابع النرجس عام 1429هـ.

(108) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام 1426هـ.

(109) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام 1425هـ.

(110) خلال أوكرانيا بحثًا عن المسلمين، (من سلسلة الرحلات في بلاد الشمال)، (تحت الطبع).

(111) مقال في زيارة منطقة الأورال، (من سلسلة الرحلات في وسط روسيا)، طبع مكتبة الطرفين في الطائف عام 1430هـ.

(112) بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان، (من سلسلة الرحلات الكاريبية)، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام 1429هـ.

(113) جمهورية القبائل الروسية (رحلات في جنوب روسيا)، نشرته مكتبة الرشد بالرياض.

(114) في غرب سيبريا، مشاهدات وأحاديث في شئون المسلمين (الرحلات السيبيرية)، نشرته مكتبة الرشد بالرياض.

(115) شمال أستراليا، رحلة وحديث في أحوال المسلمين (الرحلات الأسترالية) - (تحت الطبع).

(116) إلمام بالمحيط الهادي من أستراليا إلى جزيرة قوام (الرحلات الأسترالية)، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(117) إلى الشرق الأقصى الروسي (الرحلات الروسية)، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(118) في أقصى شرق الهند (الرحلات الهندية) طبعته مطبعة النرجس عام 1432هـ.

(119) جنوب أستراليا (الرحلات الأسترالية)، نشرته دار الثلوثية في الرياض عام 1430هـ.

(120) رحلة أخرى إلى الحبشة بعد أربعين عامًا، مطبعة النرجس في الرياض، عام 1431هـ.

(121) قول أوفي، في كوسوفا، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام 1431هـ.

(122) القول المجسَّد من الجولة في الجبل الأسود، مطابع النرجس في الرياض، سنة 1433هـ.

(123) رحلة إلى المدينة المنورة قبل ستين سنة: نشرته دار الثلوثية في الرياض عام 1331هـ.

(124) في أعماق الصين الشعبية: رحلة في مقاطعة منقوليا الداخلية وحديث عن الإسلام والمسلمين: طبعته مطبعة النرجس عام 1431هـ.

(125) العودة إلى غرب إفريقية، طبعته مطبعة النرجس عام 1432هـ.

(126) رحلة من بريد إلى الظهران قبل 60 سنة، مطبعة النرجس في الرياض، ونشرته مكتبة الثلوثية، عام 1432هـ.

(127) غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة، تطبعه الآن - 1433هـ - مطبعة النرجس في الرياض.

(128) الإشراف على أطراف من المغرب العربي، طبعته بنفقتها ونشرته في العالم وفي المغرب خاصة وزارة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية، عام 1433هـ.

(129) سفرة إلى تاجيكستان، مطبعة النرجس في الرياض، 1433هـ.

(130) العودة إلى المغرب الأقصى (بين الصحراء والأرض الخضراء)، طبعته وزارة التعليم العالي ونشرته في العالم وبخاصة في المغرب، عام 1433هـ.

(131) تجوال في بلاد البرتغال، مطبعة النرجس في الرياض، عام 1433هـ.

(132) الرحالة العظيم ابن بطوط وشواهد على صدقه، نشرته دار الثلوثية للطبع والنشر في الرياض، عام 1433هـ.

(133) حول العالم في خط متعرج (وهو هذا الكتاب).

(134) الرحلات النيجرية - كنا في (كانو) وجئنا من (أبوجا) الرحلة الثانية إلى نيجريا بعد 26 سنة من الأولى (وهو هذا الكتاب).

(135) كرة أُخْرَى إلى شرق إفريقيا الخضراء بعد 33 سنة، (وهو هذا الكتاب).

(136) السفر والأوبة، من كوبة، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام 1435هـ.

(137) العودة إلى أزبكستان، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(138) شرق أستراليا، من سلسلة الرحلات الأسترالية، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(139) جولة في جزائر البحر المتوسط (تحت الطبع).

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(140) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، 1399هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام 1410هـ.

(141) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام 1398هـ.

(142) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام 1398هـ.

(143) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(144) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم، الرياض، 1403هـ.

(145) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(146) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1405هـ.

(147) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1405هـ.

(148) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، 1414هـ.

(149) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، 1418هـ/ 1997م.

(150) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية، الرياض، 1418هـ/ 1997م.

(151) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، 1419هـ.

(152) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1420هـ.

(153) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، 1419هـ.

(154) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(155) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، 1420هـ/ 1999م.

(156) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، 1420هـ.

(157) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، 1420هـ/ 2000م.

(158) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحبًا لعدد ذي الحجة 1420هـ منها.

(159) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، 1421هـ/ 2001م.

(160) (حَكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، 1421هـ/ 2001م.

(161) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبد العزيز، الرياض، في مجلدين كبيرين.

(162) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام 1421هـ.

(163) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، 1423هـ/ 2002م.

(164) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، 1423هـ.

(165) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبد الله العبودي.

(166) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبد العزيز العامة في الرياض في مجلدين - عام 1425هـ.

(167) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام 1426هـ.

(168) الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها (ثلاثة عشر مجلدًا) نشرته مكتبة الملك عبد العزيز العامة في الرياض، عام 1429هـ - 2008م.

(169) الحوار في الإسلام، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام 1429هـ - 2008م.

(170) دور الأقليات الإسلامية في الدعوة إلى الله، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام 1429هـ - 2008م.

(171) الأقليات المسلمة: الواقع والمأمول، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام 1429هـ - 2008م.

(172) العالم الإسلامي: الواقع والمعاناة، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام 1429هـ - 2008م.

(173) هذا ما استوحيته من الناس، كتاب أدبي طبع في مطابع النرجس في الرياض عام 1429هـ.

(174) جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله في مساعدة الإخوة المسلمين وبخاصة في بلاد الأقليات المسلمة، مطابع النرجس في الرياض عام 1429هـ.

(175) العلاقات بين المملكة العربية السعودية وتركيا، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام 1429هـ.

(176) أخبار الملا ابن سيف نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(177) أخبار قني نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(178) أخبار مطوع اللسيب نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(179) مشاهد من بريدة قبل 75سنة، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(180) المطوع في باريس، نشره النادي الأدبي في الرياض.

(181) الأصدقاء الثلاثة (رواية) طبعتها مطبعة النرجس في الرياض، عام 1432هـ.

(182) كلمات قضت (في مجلدين كبيرين: معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت) نشرته دارة الملك عبد العزيز في الرياض.

(183) معجم النخلة في المأثورات الشعبية، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام 1431هـ - 2010م.

(184) معجم المطر والسحاب، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام 1432هـ.

(185) معجم الأنواء والفصول، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام 1432هـ.

(186) معجم الديانة والتدين، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام 1432هـ.

(187) معجم ألفاظ الصيد والقنص، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام 1432هـ.

(188) معجم السفر والترحال، نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع، في الرياض، عام 1432هـ.

(189) معجم ألفاظ الحرف والصنائع في المأثورات الشعبية (تحت الطبع).

(190) معجم الحيوان عند العامة، نشرته مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض عام 1431هـ.

(191) الشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن حميد كما عرفته في مجلدين: نشرته دار الثلوثية في الرياض عام 1432هـ.

(192) معجم أسر بريدة في 23 مجلدًا، نشرته دار الثلوثية في الرياض، وطبع في مطبعة حاج في بيروت، عام 1431هـ.

(193) المستدين: قصة طبعت في مطبعة النرجس عام 1431هـ.

(194) الأصدقاء الثلاثة: رواية، طبعت في مطابع الفرزدق في الرياض، عام 1432هـ.

(195) العلاقات بين المملكة العربية السعودية وتركيا، طبع في مطابع النرجس، عام 1430هـ.

(196) القضاء والقضاة في المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام 1432هـ.

(197) أهمية الوثائق المحلية في تاريخ الأفراد والأسر، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام 1433هـ.

(198) الرحلات العالمية وآثارها في الدعوة إلى الله، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام 1432هـ.

(199) الشيخ العلامة محمد بن علي الحركان، نشرته دار الثلوثية في الرياض عام 1432هـ.

(200) العلامة عبد العزيز بن صالح إمام المسجد النبوي الشريف، نشرته دار الثلوثية في الرياض، وطبع في مطبعة النرجس، عام 1432هـ.

(201) معجم الأقارب والأصدقاء، نشرته دار الثلوثية للطبع والنشر، في الرياض عام 1432هـ.

(202) معجم الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة في ثمانية مجلدات، طبعته مكتبة الملك عبد العزيز العامة في الرياض عام 1434هـ.

(203) أخبار حمد الصقعبي، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام 1434هـ.

(204) معجم أشجار البساتين ونباتها في القصيم، نشرته مؤسسة صالح بن صالح الثقافية في عنيزة، عام 1435هـ.

(205) معجم وجه الأرض، نشرته دار الثلوثية للطبع والنشر في الرياض.

(206) معجم ألفاظ الحضارة في المأثور الشعبي، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(207) موضي وأخواتها: رواية، طبعت في مطبعة النرجس في الرياض.

خريطة تركستان الشرقية

كلمة حق

بقلم
الأستاذ رحمة الله بن عناية الله
المدير العام للدراسات والمؤتمرات
في رابطة العالم الإسلامي

لقد تشرفت بمطالعة كتاب إلى تركستان الشرقية تحت الحكم الشيوعي، الذي عبر في خلايا سطوره عن حقيقة الأوضاع التي يعيشها المسلمون في تركستان الشرقية في الوقت الحاضر، فقد تمكن فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي بإحساسه المرهف وتعبيراته الصادقة وملاحظاته الواعية التي لم تصدر من شخصه الكريم لكونه رئيس وفد رابطة العالم الإسلامي الزائر لتلك البلاد فحسب، بل تنم عن صدق مشاعره الإسلامية، وتأثره الإنساني بالأحوال والظروف التي تكتنف الإخوة المسلمين في ذلك الجزء من العالم الإسلامي، وكانت ملامح وجهه الحزينة وعبراته المكبوتة وأحاديثه الأليمة واستفساراته المتلاحقة أثناء رحلة فضيلته إلى هناك واجتماعه بالمسلمين والمسئولين تعكس مدى اهتمام الرجل الكبير بالمسلمين التركستانيين، حتى جاء هذا الكتاب تعبيرًا صادقًا عما يعانيه المسلمون من الاضطهاد الشيوعي البغيض.

إن اهتمام رجال جزيرة العرب بتركستان الشرقية يعود إلى قرون عدة سابقة، ويسجل التاريخ أول رحلة عربية إلى هناك قام بها تميم بن بحر المطوعي من نجد إلى بلاد الأويغور فيما بين 760 - 800م، ثم تأتي بعده رحلة أبي دلف مسعر بن المهلهل الينبعي من ينبع النخل في عام 943م، وقد نقل الجغرافيون والمؤرخون العرب والمسلمون معلوماتهم عن تركستان الشرقية وسكانها

التغزغز (الأويغور) والخارلخ (الغارلوق) والخرفية (القديمة) عن هذين الرحالين، كما نجد ذلك في كتب الحموي والمسعودي وابن الفقيه وابن خرداذبة وغيرهم.

والكتاب الذي بين يدينا يمثل استمرارًا لاهتمام العرب الأقدمين ورحلاتهم إلى تلك البلاد من عالم الأتراك وفضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي يعتبر الرجل الثالث بعدهما من شبه جزيرة العرب الذي يسجل رحلاته إلى تلك الأصقاع بعد هذه القرون الطويلة من الرحلة العربية الأولى.

وإن كان دخول قتيبة بن مسلم الباهلي وهو من الطائف لمدينة كاشغر عام 96هـ/ 715م بهدف نشر الإسلام بين أتراك تركستان الشرقية، فإن زيارة وفد الرابطة برئاسة فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي عام 1404هـ/ 1985م كانت نصرة للإسلام واهتمامًا بأمر المسلمين وإعلاء كلمة التوحيد التي رفع رايتها الأولى قتيبة بن مسلم الباهلي قبل ثلاثة عشر قرنًا من الزمن وكلاهما كان توطيدًا للإسلام وإعلاء لدين الله ﷻ وفتحًا للعرب وإعزازًا للمسلمين.

وكلها شواهد تؤكد اهتمام أبناء هذه الجزيرة العربية بالاستمرار في نشر دعوة الإسلام التي رفع رايتها الأولى محمد بن عبد الله ﷺ بأمر من الله ﷻ الواحد القهار، وكذلك إشاعة الخير والعدل والمساواة بين كافة بني الإنسان.

ويعيد التاريخ نفسه بأن أبناء الجزيرة الذين كان لهم الفضل في نشر الإسلام في أنحاء المعمورة سيكون على أيديهم خلاص المسلمين وتجدد مجدهم الإسلامي التليد في الحاضر، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ صدق الله العظيم.

رحمة الله بن عناية الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنه قد أتيحت لي فرصة زيارة الصين الشعبية على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة؛ استجابة لدعوة الجمعية الإسلامية في الصين، وذلك بأن الصين بعد أن شعرت أن التمادي في التعصب الشيوعي جلب الدمار على البلاد والفقر إلى العباد حيث تدنى مستوى الدخل الفردي وقل الإنتاج الغذائي، فضلًا عن إهدار الكرامات الإنسانية وهدم الثقافة الصينية العريقة عن طريق تسلط الغوغاء ممن سُمُّوا شبان الثورة الثقافية على رجالات الصين بالقهر والتحقير وعلى حضارتها بل ثقافتها القديمة بالهدم والتشهير.

فكانت الأديان في الصين قد أضيرت أيضًا فيما أضير، فنال المسلمين مصادرة المساجد وحرق الكتب الإسلامية، وتحريم أي نشاط إسلامي.

وعندما قام نفر من عقلاء القوم في وجه هذه الهجمات البربرية واعتقلوا رؤوسها المدبرة وهم عصابة الأربعة الذين كانوا يتحكمون بالبلاد باسم زعيمها الهالك (ماوتسي تونغ) رأوا أن من أهمها الذي يجنب البلاد الانهيار التام هو الانفتاح على العالم، والحد من غلو الطغيان الشيوعي، فكان من ذلك الرغبة في مد الجسور مع بعض الدول الإسلامية ومنها المملكة العربية السعودية التي ليس لها تمثيل سياسي معها.

لذا أذنت الصين وربما تكون قد أوعزت للجمعية الإسلامية في بكين أن تدعو وفدًا من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة انطلاقًا من اهتمام الرابطة بشئون

المسلمين في العالم، وأفسحت المجال للمساعدات الدينية للمسلمين في داخل الصين من أجل أن يكون ذلك مفتاحًا لعلاقات أخرى قد تكون أشمل وأمتن.

وقد قابلت الرابطة هذا الانفتاح النسبي من الحكومة الصينية بالدخول النسبي إلى بلاد المسلمين في الصين تمهيدًا للدخول في قلوبهم بالإخوة الإسلامية والتعاون الديني الصادق الذي لا يبتغي جزاء ولا شكورًا إلا الشعور بالرضا على القيام بالواجب والتعاون على البر والتقوى الذي أمر الله به المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 2].

فانطلق الوفد الأول من رابطة العالم الإسلامي إلى الصين في عام 1401هـ وكان من المقرر أن أكون رئيسًا له ولكن ظروفًا من ظروف العمل حالت في آخر لحظة دون ذلك فترأسه عضو الوفد الشيخ/ أحمد صلاح جمجوم وزير التجارة السابق.

وفي هذا العام تقرر أن ينطلق الوفد الثاني من رابطة العالم الإسلامي إلى الصين، وأن يزور مقاطعات ومدنًا لم يزرها الوفد الأول.

وتألف هذا الوفد على النحو التالي:

- محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد للرابطة (كاتب هذه السطور) رئيسًا.
- الأستاذ محمد شاه حبيب الله عضوًا.
- الأستاذ عبد الرحمن بن رشيد بن عوين عضوًا.
- الأستاذ إبراهيم بن عبد الله الخزيم عضوًا.
- الأستاذ عبد الرحمن المنيعي عضوًا.

- الأستاذ عبد الله الفوزان، عضوًا.

- الأستاذ رحمة الله بن عناية الله عضوًا وسكرتيرًا للوفد.

وغادرنا جدة إلى كراتشي من أجل الحصول على سمات الدخول إلى الصين من القنصلية الصينية هناك، ومن ثم سافرنا إلى بكين.

وقد قصصت حديث الرحلة إلى الصين في كتاب مستقل عنوانه: (داخل أسوار الصين).

أما هذا الكتاب فإنه خاص بالحديث عن تركستان الشرقية التي قام وفدنا بزيارتها في نطاق زيارته للصين الشعبية.

تركستان ليست صينية:

قالوا لنا إن المقاطعة الأولى من مقاطعات الصين كما يسمونها هنا التي سنزورها هي سنكيانغ ونقول هنا: إن ذلك حسب تسميتهم التي هي تسمية مستوحاة من هذا المعنى.

فهذه المنطقة الإسلامية ليست صينية ولا أهلها بصينيين فهم لا يعرفون اللغة الصينية قبل سيطرة الصينيين على بلادهم إلا كما تعرفها الشعوب البعيدة الغريبة، ودينهم هو الإسلام الحنيف ليس فيهم من لا يدين به، بل ليس في بلادهم من لا يتمسك به ويفتخر بذلك، وعنصرهم أيضًا تركي أصيل، وليس فيهم ولا لهم مما عند الصينيين من الخصائص العنصرية شيء.

ويفصل بلادهم عن بلاد الصين الحقيقية فاصل صحراوي أو شبيه بالصحراوي يؤلف حاجزًا طبيعيًّا أعظم من أكثر الحواجز التي تفصل بين كثير من الدول.

فهذه البلاد التي كان أسلافنا من العرب المسلمين يسمونها منذ أن عرفوها في القرن الأول للهجرة ومنذ أن فتحوا أهم مدنها في ذلك الوقت (كاشغر) على يدي القائد المحنك قتيبة بن مسلم الباهلي في عام 96 من الهجرة، وبعد ذلك كانوا يسمونها (بلاد الترك).

واستمرت هذه التسمية العربية (بلاد الترك) حية على مدى القرون في بطون الكتب العربية، وفي ذاكرة التاريخ الإسلامي، وإن كانت قد تحولت بالترجمة عندما ضعف نفوذ العربية في تلك الأقطار إلى اسم هو بعينه الاسم العربية القديم وهو (تركستان) ومعناها الحرفي (بلاد الترك) فـ(ستان): تعني بلاد بالفارسية وكلمة (استان) أصبحت معروفة الآن عند أكثر الناس في الوقت الحاضر من كثرة الأسماء التي ترد فيها مثل: (أفغانستان)، و(باكستان).

ولقد تلا ضعف اللغة العربية ضعف النفوذ الإسلامي في بعض البلدان التي يقطنها مسلمون بسبب الجهل بروح الدين، وركون المسلمين إلى بدع ومستحدثات لم تكن في السلف من الصالحين الأولين.

فنام المسلمون أو استناموا في الوقت الذي كان فيه غيرهم من الكافرين قد نهضوا وقاموا، فكانت نهضتهم هجمة على بلاد الإسلام ذهل لها المسلمون، ولكنهم لم يستطيعوا ردها أو صدها لأنهم لم يكونوا يملكون من القوة المادية والمعنوية ما يملك أعداؤهم من الروس والصينيين الذين أخذوا يتكتلون ويتجمعون كما تتجمع الثلوج على حدود بلادهم في الوقت الذي كان فيه المسلمون في كثير من أوطانهم يتفرقون، بل يتشتتون ويتشرذمون.

ولما صحا المسلمون في بلاد تركستان على أنفسهم وجدوهم نهبًا بين دولتين كافرتين كبيرتين إحداهما الروس والثانية: الصين أو وجدوا أنفسهم - على حد تعبير مبتغي بلاغة ليس هذا محلها - بين الدب والتنين!

أخذ الدب الروسي الصليبي الجزء الغربي منها، وضمه إلى ما ملكه من بلاد المسلمين التي انتهبها، وأخذ التنين الصيني الجزء الشرقي الباقي.

واستمر المسلمون يسمون بلادهم بتركستان الغربية - تحت الاحتلال الروسي - وتركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني.

وكان ذلك قبل أن يقع هذان الحيوانان الكبيران في هوة الشيوعية، وكان المسلمون في (بلاد الترك) هذه أو بعض المتفائلين منهم - على الأقل - يأملون في أن يأتي اليوم الذي يتخلصون فيه من هذه الشباك الصليبية الوثنية حتى حلت بهما الشيوعية، ففرض الشيوعيون على القسمين التركيين في كلا الجانبين ستارًا حديديًّا، وحصارًا (عقيديًّا) رافق ذلك عهد من الإرهاب والطغيان لم تعرفه البلاد من قبل صاحبه عهد من الشقاء والحرمان لم يذكر مثله تاريخ تلك البلاد.

حتى التسمية قد ضنوا على الإخوة المسلمين هناك بها قسمها الروس إلى جمهوريات اسمية، وخلعوا عليها أثوابًا شكلية ثم سموا الجميع ووافقهم ذوو النفوذ على ذلك أو ذوو النفوذ الثقافي والسياسي القوي في العالم فأسموها: (وسط آسيا) أو (آسيا السوفيتية).

أما الصينيون فقد سموا الجزء الشرقي منها (سينكيانغ)، ومعناها الحرفي: الأرض الجديدة المكتسبة، وجعلوها (مقاطعة) من مقاطعات الصين منحوها الحكم الذاتي، وأقاموا فيها من صنائعهم، بل من صناعتهم أشباحًا من الرجال وأشباه الرجال، فسموهم بأسماء رنانة ليس لها من المعنى إلا ما في الدف الفارغ الذي يكون عظيم الصوت، قليل الغناء في حكومة للمقاطعة أسموها (الحكومة الشعبية).

أما نحن - العرب المسلمين - الذين فتحوا هذه البلاد فتح قلوب، لا

سالب لمسلوب، فقد نسيناها أو نسيها أكثرنا يستوي في نسيانها لدينا اسمها ومسماها، بل شكلها ومعناها؛ لأننا كنا قد ضيعنا بلادًا من بلاد الإسلام هي أقرب منها لبلادنا ونحن لها أكثر ارتيادًا.

بل كادت تركستان تموت حتى من ذاكرة تاريخنا المجيد، لا لأن التاريخ ذو ذاكرة ضعيفة يمحوها الزمن، ولكن لأننا لم تكن لدينا آذان تحب أن تنصت لذاكرة تاريخنا الحافل بالأمجاد.

وحتى أهلها قد نسيهم الناس لولا أن إخوة لهم ولنا أعزة كانوا قد خرجوا من بلادهم هذه بلاد الترك، فانطلقوا غربًا يفتحون ويحكمون، بل يحررون بلادًا من بلاد المسلمين كان قد اعتدى عليها المعتدون.

إلى أن أسماهم بعض المؤرخين بالترك العثمانيين لكي يفرق بينهم وبين الترك الأصلاء، وكانت لهم أسماء تركية عديدة وقد فتح الله بهم حتى (القسطنطينية) مركز الديانة النصرانية الشرقية التي كانت تخوف بلاد المسلمين وتهددها على الأيام، فأصبحت دار سلم وإسلام بعد أن كانت دار حرب وأصنام.

ولا أريد هنا أن أقص على القارئ الكريم قصة التاريخ القديم التركستاني؛ فأثير شجنه وأساه، أو أثير إعجابه بتاريخها القديم، وأثير معه مناه بأن تعود لها ولغيرها من بلاد الإسلام أمجادها التي ضاعت مع الأيام، فلا يغير ذلك من الحقيقة الواقعة الآن شيئًا إلا زيادة الحسرة والأسى.

فهذا الكتاب وبخاصة في هذا الفصل من حديث الرحلة والمشاهدات عن الجولة في تركستان ليس مكانًا لذلك وإنما مكانه - ملخصًا - سيكون في آخر الكتاب للتذكر والتدبر، وليس مطولًا مبسوطًا قصد به البحث والدراسة، فذلك له مكان غير هذا المكان، والله المستعان.

لقد سرت في تسجيل المشاهدات والملاحظات والحديث عما يتعلق بذلك كله على طريقة أخذت نفسي بها في كثير من أسفاري التي شملت أنحاء العالم، فسجلت ما رأيته أو سمعته مما يتصل بذلك في مذكرات يومية، ألفت هذه الأوراق عن تركستان التي ربما شفع لي في أن أخرجها في كتاب كون المعلومات عن تركستان قليلة، بل هي ضئيلة حتى فيما يتعلق بالأحوال المعتادة مثل المعيشة واللباس والعادات التي يراها الغريب.

ولذلك سميت الكتاب: (جولة في تركستان الشرقية تحت حكم الشيوعية)، وأرجو أن أكون قد ألقيت ضوءًا أو أضواء على هذه البلاد المسلمة المهددة بالاضمحلال، وعرفت شعبها المسلم العريق لإخوانه المسلمين بما اتسع له المجال.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

يوم الثلاثاء 16 رجب 1404 هـ- 1 أبريل 1984م.

من بكين إلى أورومشي:

غادرنا فندقنا في ضاحية بكين الواقع على (جبل العطر) كما يسمونه من دون أن نشم فيه طيلة إقامتنا أي أثر للعطر، بل العكس هو الصحيح لأن غرفه كانت لها رائحة غير محببة لا أدري مبعثها إلَّا أن يكون ذلك من إحكام غلقها، وقلة تهوئتها.

سار الموكب السير الوئيد في ضواحي مدينة بكين مع طرق أغلب جوانبها ترابية، وتراب بعضها يبدو وكأنه السماد، ولا شك في أن سبب ذلك هو الجفاف، وقلة الأمطار إلى جانب عدم العناية برصفها وسفلتتها.

ولقد كنا إذا قابلتنا سيارة واضطرت إحدى السيارتين أن تخرج من وسط الطريق الأزفلتي نضطر إلى أن نغلق نافذة السيارة عن الغبار.

ولقد لاحظت أكثر من مرة أن بعض النساء يغطين وجوههن بأقنعة يحسبها من لا علم عنده بحقيقة الأمر أنها من الحجاب الذي يحمل عليه التدين لولا أن المسلمين قلة في بكين ونساؤهم مثل غيرهن من النساء لا يتحجبن، بل لا يخطر على بالهن ذلك؛ لأنهن لا يعرفن الحجاب الشرعي، بل ربما لم تسمع به بعضهن من قبل.

وإنما يغطين وجوههن من أجل وقايتها من الغبار، وذلك على قلة بينهن إلَّا أن عاملات البلدية اللائي يكنسن الشوارع وأغلب من يقوم بهذا العمل من النساء هن يغطين وجوههن بأقنعة ساترة عن الغبار، وكذلك بعض راكبات الدراجات.

سيل الدراجات:

وفي هذه الساعة من صباح بكين حيث يخرج كثير من الناس إلى أعمالهم في هذه البلاد الشيوعية الصارمة يرى المرء كما رأينا اليوم أفواج الناس من راكبي الدراجات، بل سيل الدراجات، إن لم نقل طوفان الدراجات.

ذلك بأن الدراجات في الصين هي وسيلة الركوب الشائعة، وأريد بذلك الدراجات الهوائية المعتادة التي ليس فيها محركات، أما الدراجات ذات المحركات فإنها نادرة ولا يستطيع أن يملكها إلا من كان ذا حظ عظيم في الصين وقليل ما هم.

وأما سيارات الركوب الصغيرة التي نعرفها في بلادنا وسائر بلاد العالم، فإنه لا يملكها إلا الدولة، ولا يستطيع أحد أن يركبها غير موظفيها الكبار وضيوفهم.

وحتى الموظفون الكبار جدًّا فإنهم يركبون السيارات المخصصة للدولة، وليست مخصصة لهم، والحاصل أن (طوفان الدراجات) في شوارع بكين في هذه الساعة المبكرة أمر عجيب لم أر له مثيلًا في غيرها من مدن العالم.

وقد أخبرونا أن العمل في الصين يبدأ عادة من الثامنة حتى الثانية عشرة، ثم يستأنف من الثانية إلى السادسة بعد الظهر.

والعطلة الأسبوعية هي يوم واحد وهو الأحد، أما السبت فهو يوم عمل خلاف ما عليه الحال عندنا وعند أكثر شعوب العالم المتقدمة في الاقتصاد التي تكون العطلة الأسبوعين فيها يومين.

هذا عن العطلة الأسبوعية، أما العطلة السنوية فإن المسلمين خاصة لهم يومًا عيد الأضحى والفطر عطلة ليوم واحد في سائر الصين، ما عدا (سنكيانج)، فإن عطلة العيدين عندهم تستمر ثلاثة أيام، قالوا: وإذا عمل المسلم في أيام

العيدين المخصصة له عطلة حسب الأوامر، فإنه يستحق أن يعطي أجرًا إضافيًا لذلك اليوم علاوة على الأجر المعتاد.

الإشراق ليس في الوجوه:

هذا اليوم مشرق جميل وليس كيوم أمس أو يوم الأحد الماضي عندما كان المطر يهطل أكثر اليوم والبرد قد عاد بنا إلى تذكر أيام الشتاء الباردة في بلادنا.

أو هكذا نحن نرى هذا اليوم المشرق جميلًا كأنما هو يبتسم فيستدعي منا أن نبتسم فيه؛ لأننا لسنا من المحكوم عليهم بالعيش في السجن الشيوعي الكبير.

ولكن أهل الصين الذين نراهم الآن في زحام على جوانب الشارع عجيب وهم يمتطون غوارب دراجاتهم، أو يسيرون على أقدامهم، وكأنما لم يشعروا مطلقًا بجمال هذا اليوم، ولا بإشراق شمسه التي كأنما هي تبتسم لغيرهم، فلم أر ابتسامة واحدة على وجه واحد من هذه الوجوه، بل لم ألاحظ إشراقًا ولا شيئًا من الإشراق على أي منها.

وإنما الكل جامد العواطف قد حزموا أسرة وجوهم، فكأنما حرم عليها أن تنبسط، بل يكاد يخيل إليك وأنت تراهم كذلك أنهم لم يعرفوا الابتسام ولا إشراق الوجوه منذ زمن طويل، وإنما ترى الجميع وكأنهم في مأتم لا نياحة فيه.

فالكل ينظر إلى طريقه، وقد ينظر إلى المشاة من حوله وكأنه آلة صماء، أو حيوان لا عاطفة لديه، ولا شك في أنه لن يجد فيهم ما يغير من طبيعته تلك؛ لأنهم مثله كأنما فقدوا عواطفهم، وبالتالي فقدوا الاهتمام بالأشياء وبالناس.

وحتى منظرنا نحن الغرباء الذين نلفت أنظارهم من كوننا نمتطي سيارات فارهة متتابعة لم يعرف أكثرهم ركوبها، وفي زي لم يره أكثرهم إلا في التلفاز، فلم أر فيهم من الفضول ما هو معقول في مثل هذه الحالة.

وماذا عن النساء؟

هذا عن المشاة وراكبي الدراجات على وجه العموم من رجال ونساء أو شبان وشابات، فماذا عن النساء خاصة في الشوارع؟

إن الأمر بالنسبة إليهن لا يختلف عما هو عليه عند الرجال، فهن لا ينظرن إلى الرجال ولا الرجال ينظرون إليهن.

وأهم ما ينظر الرجل إليه في المرأة، وحتى المرأة تنظره في المرأة هو زيها وثيابها وطريقة تصفيف شعرها وكيفية تلوين وجهها أو شفتيها من أجل التزين.

وهذا كله مفقود في هذه البلاد، فالثياب تكاد تكون متشابهة، والشعور تكاد تكون أيضًا متماثلة في التصفيف، والزينة بالتلوين على الخدود والثغور غير موجودة إلا فيما ندر.

وقل مثل ذلك عن أزياء الرجال.

وقد خبرونا أن الأمر في اللباس كان إجباريًّا أيام حكم (ماوتسي تونغ) المتعصب، ولكنه الآن اختياري غير أن المصانع التي تصنع الثياب للشعب الصيني تخرج أثوابًا متقاربة، وإن لم تكن في أكثر الأحيان متماثلة، والشعب كله من ذوي الدخل المحدود الذين لا يستطيعون أن يشتروا ثيابًا من غير المصانع الحكومية الرخيصة، ولو وجدت الاستطاعة المالية عندهم بطريقة أو بأخرى، فإنه لا يستطيع أن يجد مثل تلك الثياب للبيع في هذه البلاد.

هذا على وجه العموم، وإن كانت الألوان الزاهية ذات الأصباغ الصارخة التي يحبها الشعب الصيني قد أخذت توجد في المصانع، فإن ذلك بقلة وعلى نطاق محدود.

ولباس النساء هو ساتر سابغ لا فتنة فيه ولا تبرج، بل يتألف من سروال سميك طويل واسع من دون إسراف يضرب إلى الكعبين، وفوقه قميص طويل الكمين ولا شيء غير ذلك.

وهذا الأمر من الأشياء الحميدة التي نلاحظها في هذه البلاد الشيوعية.

ومن الأشياء الحميدة أيضًا التي لاحظناها هنا في هذا اليوم وغيره أن التراكض والتشاحن في السير يكاد يكون معدومًا عندهم، فالجميع هادئون ويعرفون للطريق حقه، والجموع تسير وكأنها السيل الذي لا يسبق بعضه بعضًا، أو هي كالجنود الذين يسيرون بسرعة واحدة لولا أن طبيعة مشيهم الهدوء والسكينة.

ومن الأشياء الحميدة أيضًا أنك لا ترى اللباس المتسخ فيهم، فمثلما أنه لا يوجد بينهم من يلبس لباسًا فاخرًا، فإنه لا يوجد بينهم من يلبس لباسًا متمزقًا، أو قذرًا، أو حتى من يظهر عليه البؤس الشديد مثل بعض الناس الموجودين في الهند.

وهذا لا يمنع من ملاحظتك على وجوه أكثرهم أنهم يعانون من نقص التغذية حتى وجوه الشبان والشابات لا تظهر عليها علامات تدفق الدم، وكمال التغذية وإنما ترى شيئًا من علامات الحرمان الغذائي فيها.

فهم في هذا الأمر يصح أن يقال فيهم: إنهم في مرحلة فوق الجوع، ودون الكفاية الغذائية، ولهذا ليس فيهم التفاوت العظيم في حجم الأجسام الموجود وبشكل ظاهر في الهند، وهو موجود أيضًا بوجه أو بآخر في بعض البلدان غير الشيوعية من بلدان العالم الثالث.

وصل الموكب إلى مطار بكين الدولي بعد ساعة ونصف من السير الوئيد.

وكان أول ما لفت أنظارنا فيه أن وجدنا عند بوابات المطار فتيات نظيفات الأبدان والثياب، بل إنهن قد ارتدين ملابس زاهية نوعًا لا توجد على كثيرات من العاملات في الصين وهن يدفعن أمامهن عربات الأيدي وتبين أنهن حمالات الأمتعة، وأنهن من موظفات المطار، فكأن حمل الأمتعة وإن كان عملًا شاقًّا فإنه يناسب المرأة في الصين كما يناسبها العمل في البناء، أو أن هذا من باب المساواة بين الرجل والمرأة في الدولة الشيوعية.

والمطار بأفنيته الداخلية ومكاتبه لا بأس به بالنسبة إلى مستوى البلاد، ولكنه إذا نظرنا إليه على أنه مطار دولة يتألف سكانها من أكثر من ألف مليون إنسان، فإنه يبدو ضئيلًا بل مخجلًا.

وذلك بالمقارنة مع مطار (تايبيه) عاصمة جزيرة (تايوان) التي هي جزيرة صينية حقيقية وأهلها لا يختلفون عن أهل الصين الذين يسكنون الصين الشيوعية، إلا في المبادئ، وهي أن أهالي تايوان لا يريدون الشيوعية، بل هم يحاربونها، فإننا نجده أصغر منه بكثير، بل إن مطار تايوان من حيث سعة مكاتبه ومتاجره وقاعاته يفوق مطار بكين الدولي عدة مرات، مع أن الصين الشعبية تتفوق على جزيرة تايوان في عدد السكان بأكثر من سبعين مرة، وهذا المثل الصغير يمكن أن يعطي صورة لما تفعله الشيوعية في بلد كبير من تخلف وما تفعله الحرية في بلد صغير من تقدم إذا كانت الظروف في البلدين متساوية في الأصل، كما هي عليه الحال في البر الصيني وجزيرة تايوان من حيث السكان والمكان والعنصر والتاريخ والمهارات ما بينهما قبل الانقسام.

وقد أسرع الإخوة المرافقون بإنجاز التذاكر، ثم أمرونا بسرعة الذهاب إلى الطائرة؛ لأن موعد الطيران قد أزف، وحملنا أمتعتنا رغم كثرتها بدون طلب أجر على الزيادة؛ لأننا نحمل مسجلات للصوت وأشرطة عليها تلاوة القرآن الكريم

هدية للمساجد في الصين كما نحمل صناديق من الورق المقوى (الكرتون) فيها تمر من تمر المدينة هدية للمسلمين.

ولمناسبة الهدايا فإننا نحمل أيضًا ساعات جيدة نهدي منها إلى الأشخاص ذوي المكانة المرموقة، وقد أهدينا إلى رئيس الجمعية الإسلامية ونوابه والنائب الأول لرئيس المجلس الاستشاري (إبراهيم باغ جيه رين) من ذلك ساعات وتمرًا من تمر المدينة المنورة.

أما التذاكر فإنها كلها طيلة سفرنا داخل الصين ستدفعها الجمعية الإسلامية الصينية التي هي جهة حكومية أو مدعومة ماليًّا من الدولة، وذلك مع الاستضافة طبقًا لما كانت الجمعية الإسلامية الصينية قد أبرقت إلينا قبل سفرنا من المملكة.

وقد قبلنا عرضها هذا على اعتبار أنه جزء من الضيافة وليس لحاجة توفير قيمة تذاكر السفر ولله الحمد، ولكوننا الضيوف الرسميين لم ألاحظ كيفية معاملتهم للآخرين، وإنما لاحظت شيئًا تافهًا هو أنه من هذه الطائرة النفاثة الحديثة رأيت بغالًا على جانب المطار يستعملها العمال في نقل الأشياء الثقيلة لعدم توفر الآلات اللازمة لذلك.

في الأجواء الصينية:

ولا فخر في هذا العنوان، ونحن ضيوف على الحكومة الصينية في الأرض والجو.

الطائرة النفاثة طراز ليشون 6 فيها قسم للدرجة الأولى في وسط الطائرة على خلاف الشائع عند الشركات الغربية وغيرها من أنحاء العالم بأن تكون الدرجة الأولى في مقدمة الطائرة، وركب فيها من المرافقين الصينيين الأخ الشيخ (صالح إن شي وي) رئيس الجمعية الإسلامية وإمام جامع بكين، أما بقية

المرافقين وهما الأستاذ (لقمان ما شان لي) و(مالك أمين) فهما مع بقية الإخوة أعضاء الوفد في الدرجة السياحية.

والمضيفات في الطائرة فتيات صينيات قد اختاروهن ممن يكون على وجوههن شيء من النضارة، وقد لاحظت أن الدماء تتدفق في وجوههن أكثر من غيرهن، ولا شك في أن سبب ذلك أو جزء منه وجودهن في الطائرة كثيرًا من الوقت حيث يستطعن الحصول على مقدار أكبر من الطعام الجيد نسبيًّا.

وأعلنت إحداهن بلغة إنكليزية ضعيفة بعد اللغة الصينية تقول: إن الطيران إلى أورمشي سيستغرق ثلاث ساعات وخمسين دقيقة، والواقع أنه استغرق أربع ساعات ودقيقتين، ولكنا جربنا من عادتهم بعد ذلك ألا يكون التقدير دقيقًا ربما لكونهم يبنونه على مدة طيران سابق من دون أن يحسبوا حساب اتجاه الرياح وأثرها في سرعة الطائرة ونحو ذلك.

ولقد ركبت بجانب النافذة؛ لأن الدرجة الأولى لم يكن فيها من المسافرين أحد غيري أنا والشيخ صالح؛ وذلك لرؤية الأرض الصينية من الجو؛ لأنها أول مرة أسافر فيها في هذا الاتجاه، وتتألف الدرجة الأولى من ثلاثة صفوف من الكراسي، ولكن الذي كدر عليَّ أن هناك ريحًا باردة جدًّا تتسرب من تحت قدمي لا أدري مصدرها، إلا أن يكون عدم التصاق في جزء صغير من الطائرة وأنا أستبعد ذلك، وعندما لم أطق صبرًا على البرد فيها انتقلت إلى نافذة أخرى في الجهة المقابلة.

كان إقلاع الطائرة في الموعد المحدد من قبل وهو التاسعة والنصف صباحًا، والغريب في الأمر أنهم عندما أردنا الركوب أخذوا منا جوازات السفر، وتركونا بلا بطاقات معينة؛ لأننا سنسافر إلى (مقاطعة) صينية، وكأنما نحن مسافرون إلى بلاد أخرى.

وقد لاحظت أن الركاب كثر في الطائرة وإن لم تمتلئ بهم مع أنها تسير ثلاث رحلات في الأسبوع إلى أورومسي عاصمة سنكيانج أو تركستان الشرقية، وهي رحلات قليلة جدًّا بالنسبة إلى عدد السكان في المقاطعة وبعدها عن العاصمة، بحيث يستغرق السفر إليها بالقطار ثلاثة أيام أو أربع ليال في العادة، مع أن البعد الذي ذكروه في إعلانهم في الطائرة ليس بالغًا فهو ألفان وستّمائة كيلومتر جوي، أما القطار فإنه يستغرق زيادة على ذلك بكثير؛ لأنه لا يذهب قاصدًا، وإنما يحيد يمينًا ويسارًا من أجل المرور ببعض المدن التي تكون على طريقه أو قريبة من طريقه.

ووزعت المضيفة الصينية صحيفة صينية تصدر بالإنكليزية في أربع ورقات اسمها (تشاينا ديلي) كان من أخبار الصدارة في صفحاتها الأولى خبر الابتهاج بسقوط المطر الذي نزل أمس كما كان قد أشاد به قبل ذلك رئيس مجلس الشعب الاستشاري عندما قابلناه يوم أمس.

وبعد قليل من الطيران فارقنا السهل الذي فيه مدينة بكين لنطير فوق جبال غير خصبة المنظر.

وكانت المضيفات يسعين في تقديم طعام الضيافة الذي كان أوله قطعة من البسكويت بالشيكولاتة عليها كتابة باللغة العربية مثل الكتابة بالعربية التي رأيناها على علب عصير البرتقال في الفندق، وذلك كله مما كان أعد للتصدير، يقدمونه في هذه الأماكن التي يرتادها الأجانب عادة.

ثم قدمن هدية الدرجة الأولى وهي حقيبة صغيرة من القماش يعلقها المسافر بيده، للأشياء التي تضيق عنها حقيبته.

ثم جاءت المضيفة بكأس من عصير البرتقال غير جيد وخبزة صغيرة لا يستطيع المرء أن يقطع منها شيئًا؛ لأنها تتفتت في يده ومعها قليل من الزبد

وشرائح من عصب البقر البارد وسلطة أكثرها من المخلل المملح، وهذا كله من المقبلات ثم جاءت بالصحن الرئيسي وهو أرز معتاد معه لحم بقري قليل، قال الشيخ صالح: إنه طعام إسلامي وقد طبخوه بالمرق الغليظ (الكاري) وتفاحة من تفاحهم الذي هو أقل جودة من تفاح لبنان بكثير، ثم شاي أخضر، أو لنقل: إنه شاي صيني.

فالشاي الصيني هو أخضر بمعنى أنه ليس أحمر كالشاي الذي اعتدنا على شربه، ولكنه أيضًا ليس بالشاي الأخضر المعروف في البلدان العربية، وإنما هو خفيف جدًّا لا يقربه سكر أصلًا.

وقد جاءت المضيفة بمنشفة صغيرة مبللة بالماء غير المعطر، وهي عادة لهم في كثير من المحلات المهمة وفي الولائم الرسمية ولا يعطرونها بماء الكلونيا كما تفعل أكثر شركات الطيران العالمية في خدمة ركاب الدرجة الأولى.

ومما يجدر ذكره أن المضيفات يلبسن لباسًا ساترًا ضافيًا لا أثر للفتنة فيه، بل لا أثر لابتغاء الجمال، وإن كان نظيفًا معتنى به وهو مؤلف من سروال طويل وقميص ذي أكمام مثل ألبسة النساء الشائعة عندهم، واللون الذي يلبسونه لمضيفاتهم هو أخضر غامق قليلًا أي ما يسمى بالزيتوني.

يتغدين عند الركاب:

ومن بساطة المضيفات وعدم تكلفهن أنهن أسرعن في تقديم الطعام للركاب رغم أن الرحلة تستغرق أربع ساعات؛ وذلك لأمر تبينته فيما بعد، وهو أنهن أحضرن طعامهن وجلسن في مقاعد الدرجة الأولى معنا وجعلن يأكلن ويتحدثن وكأنهن في بيوتهن، ولا يلقين بالًا للركاب ولا لما قد يستجد من

طلباتهم في الخدمة؛ لأن الراكب لا يجد طائرات أخرى غير هذه الطائرات؛ لأن المنافسة معدومة في الصين في هذا المجال.

والمضيفات موظفات أو عاملات عند الدولة كأكثر الناس من غير الفلاحين ورواتبهن محدودة، وليس هناك إغراء بأن من عمل يلقى زيادة في راتبه؛ لأنه لا مجال لزيادة الراتب، وقد أخبرني أحد الإخوة عن راتب إحدى المضيفات أنها ذكرت أنه ستون ينًّا أي نحو ثمانين ريالًا سعوديًّا في الشهر أو 25 دولارًا أمريكيًّا تأكل منه وتسكن وتلبس وتدفع أجرة الحافلة إلخ.

ومن الملاحظ أن الطيار أبقى إشارة: (التدخين ممنوع) مضاءة طول الرحلة، ولا أدري أذلك أمر مقصود أم من باب عدم العناية، ولكنني لاحظت أنه لا أحد يدخن في الدرجة الأولى التي ليس فيها معنا إلا المضيفات والشيخ صالح ولا من ركاب الدرجة السياحية الذين كنت أراهم من الدرجة الأولى وهم أمامي.

وعلى ذكر التدخين أقول: إنه موجود في الصين بقلة متناهية، ولا أذكر أن بلدًا في العالم يقل فيه المدخنون حسبما رأيتهم مثل قلته في الصين.

ولا شك في أن للدخول الاقتصادية المحدودة أثرًا في ذلك إضافة إلى التحذير المتواصل من الحكومة عن مضار التدخين.

يشربون الماء الحار:

عندما رأيت المضيفات قد فرغن من تناول طعامهن، وأخذن يحدث بعضهن بعضًا طلبت من إحداهن أن تحضر كأسًا من ماء الشرب هكذا، قلت لها بالإنكليزية (درنك ووتر) أي: ماء للشرب فأحضرت لي كوبًا من الماء المغلي، ووضعته أمامي.

وقد استنكرت ذلك فسألت الأخ الشيخ صالح إن شي وي عن الأمر فأجاب: نعم إن ماء الشرب عندنا يعني الماء الحار، فنحن نشرب الماء حارًّا، وسألت الأخ المترجم (لقمان ما شان لي) عنه أيضًا، فأجاب كذلك وأضاف: إن الماء البارد يورث الإسهال، ولذلك نشرب الماء حارًّا.

ولا شك في أن قوله هذا له أصل قديم من عادة للناس في الصين، وهي أن المياه التي تكون في بلاد الأنهار والمياه الكثيرة تكون في الغالب غير نظيفة ولا خالية من الجراثيم، لذلك يكون شربها مورثًا للإسهال أو لغيره من الأمراض، وأما الماء المغلي فإنه لا يكون كذلك فهم يفعلون هذا بالتجربة من دون أن يكونوا يلتفتون للسبب في العصر القديم.

ولقد وجدت لذة في شرب هذا الماء الحار في الطائرة ليس ذلك بسبب الخوف من الإسهال، وإنما للبرد في الطائرة فقد شعرت بالدفء عند شربه.

والصينيون قوم مهذبون مؤدبون في معاملتهم مع الغريب بصفة عامة ومع العرب خاصة، هذا ما لمسناه من القوم الذين هم من الصينيين غير المسلمين.

ومن الأشياء التي دلت على ذلك أنني عندما أردت دخول الحمام في الطائرة أوقفتني المضيفة، ودخلت إلى الحمام وجعلت تمسحه بالأوراق تنظفه من أثر من كانوا قد استعملوه قبلي، مع أن عددهم قليل، ولا أظن أن فيه ما يستدعي للتنظيف إلا أن ذلك منها كان لإكرام ضيف من ضيوف البلاد.

ولعل سبب تنظيفه أيضًا يعود إلى كونه مشتركًا ما بين الدرجتين الأولى والسياحية، فليس في الدرجة الأولى في الطائرة حمام خاص.

فوق صحراء غوبي:

أما المناظر من الطائرة فقد كان الجو غائمًا فيه بعض البخار العالق في الجو على هيئة ضباب في أول الطيران، ولم نكن نرى شيئًا من النافذة.

إلا انه بعد فترة من الطيران صحا الجو، وصرنا نرى أراضي غير خصبة.

ثم أصبح الجو صافيًا تمامًا والمناظر تحتنا مناظر صحراوية لا يختلف منظرها من الطائرة عن مناظر الأراضي في صحرائنا العربية من الطائرة.

وأهم ما فيها أنها أراض جافية تتخللها الوديان الجافة أو مسايل المياه التي ليس فيها إلا الرمال، وقد شكلت في انحدارها من المرتفعات أشكالًا عجيبة ربما يصح أن يقال فيها: إنها رهيبة؛ لأنها مجرد أخاديد أرضية لا حياة فيها.

وكان المنظر ملفتًا للنظر، فسألت المرافقين فقالوا: إنها صحراء (غوبي)، وهي صحراء حقيقية جافة بحيث إننا لا نلاحظ من الطائرة التي هي مرتفعة يذهب نظر الإنسان فيها إلى آماد بعيدة أي أثر لبلدان أو قرى معمورة.

واستمر صحو الجو، واستمرت الصحراء تحت الطائرة على هيئة قيعان - جمع قاع - وحيطان جبلية متطامنة.

ثم رأيت قرية صحراوية لا أثر فيها إطلاقًا لمنظر أخضر، إلا أنه عند التدقيق في المنظر كانت توجد أشجار صحراوية هامدة وأعشاب صحراوية يابسة.

كما ظهر من الطائرة أحواض للزراعة ليس فيه خضرة إطلاقًا، وربما كان اخضرارها لم يحن بعد بعد الشتاء القارص البرد الذي يعقبه ربيع بارد أيضًا، وقد أخبرنا أهل بكين أن البرد استمر هذه السنة في فصل الربيع كما كان في فصل الشتاء، وإنهم بهذا شعروا بأن هناك تغييرًا ملحوظًا في جو الصين يميل إلى برودة الشتاء وطوله.

هذا وعندما طال الطيران وفرغت المضيفات من تناول طعامهن، وبعضهن تمتعن بإغفاءة قصيرة وقد رأيت منهن خمسًا إذ حتى مضيفات الدرجة السياحية قد جئن إلى الدرجة الأولى للجلوس في مقاعدها التي هي خالية إلا مني ومن الأخ الشيخ (صالح إن شي وي).

وقد عادت إحدى مضيفات الدرجة الأولى إلى تقديم الشاي الصيني المر الخفيف الذي ليس فيه من المزايا هنا، إلا أنه ساخن يدفئ الإنسان، وإلا فإن طعم الشاي فيه خفيف أيضًا.

وقد قال لي بعض الصينيين قبل ذلك: إنهم يشربون هذا الشاي بمثابة الماء؛ لأنه يقطع الظمأ، فيغني عن شرب الماء الذي لا يستطيعه بعضهم للشك في نقائه.

وقد عرفت ذلك من كونهم كانوا أحضروا لنا في فندق الضيافة في بكين (زمزميات) أي أوعية يحفظ الماء فيها، والماء الحار يستمر في الغرفة طيلة الليل والنهار، وبجانبه أكياس الشاي الصيني يضعها النزيل في الماء ويشربها، ثم يزيد عليها من الماء الحار كلما طالت عليها المدة، وكثر نقعها فيه.

وقد لاحظت ملاحظة الغريب الذي يلاحظ أشياء تافهة لأول مرة قدرة هذا الشاي الصيني على إدرار البول، فما أن يشربه المرء منا وغالبًا ما يكون أكثر من كوب واحد حتى يذهب للحمام، وهذا أمر مفيد لكثير من الناس الذين تحتاج كلاهم - جمع كلية - إلى التنظيف.

هذا ومع إمعان الطائرة في سيرها تغير منظر الأرض من الصحراوي المغبر أو الكالح إلى أرض خضراء اللون من غير عشب، وإنما ذلك في طبيعتها مع وجود بعض الأماكن المزروعة التي ليست خضرتها بالغة.

ولا يزال أكثر الأشياء ظهورًا فيها مسايل المياه الجافة بين الرمال.

جبال الثلوج أو خزانات المياه:

وظهرت جبال دهماء المنظر مرتفعة في السماء تعلو هاماتها ثلوج ناصعة البياض، وكلما أمعنا في السير ونحن متجهون جهة الشمال الغربي ازداد لونها سوادًا، ومن المعلوم أن مدينة بكين تعتبر مدينة شمالية باردة تنزل عليها الثلوج في فصل الشتاء بانتظام.

فما بالك بسير الطائرة النفاثة إلى جهة الشمال الغربي فيها مدة أربع ساعات!

لا شك في أن البرد سيكون أشد، وأن الثلوج في الجبال ستكون أكثر.

ولن أنسى منظر هذه الجبال العاتية التي تطل على أرض صحراوية أو شبه صحراوية جرداء في عين الناظر من الطائرة في هذا الفصل من السنة، وقد ارتدت حُللًا من الثلج الأبيض الناصع البياض الذي تنعكس عليه أشعة الشمس الشارقة فتزيده بياضًا على بياض.

بل إنها تزيده نورًا حتى ليخيل إليك أنه ذوب النور يتوهج على رءوسها لولا أن تتذكر أن هذه الجبال العاتية هي باردة القمم بل والسفوح بردًا يكاد ينخر العظام، ويسرع بالأسقام.

وزاد إمعان الطائرة جهة الشمال وزادت الثلوج التي تركب هذه الجبال حتى صارت في عين الناظر تكاد تجللها كلها بأردية بيض فضفاضة.

ورغم ما يوحي به هذا المنظر من برد بل قشعريرة، وما قد يدل عليه منظر الأرض من جدب، فإن المرء إذا تأمل هذه الثلوج الهائلة على هذه الجبال الشامخة عرف أنها تنتظر فصلًا دفيئًا تتحلب من دفئه ثلوجها على هيئة جداول

ونهيرات تحمل معها الحياة إلى هذه الأرض الموات.

فيتخيل فصل الصيف هنا مزدهرًا مخضرًّا يافعًا بل معطيًا، بعد فصل الشتاء الجاف المجدب الذي تأخذ الأرض فيه من الناس ولا تعطيهم، وإنما تكلهم إلى ما كانت قد أعطتهم في الصيف الدفيء ليختزنوا فيه ما حصلوا عليه مما ضين به عليهم الشتاء.

فوق أرض الترك القديمة:

كنت أشعر والطائرة تواصل طيرانها برتابة قد توحي بأن الزمن أيضًا يسير رتيبًا لا تغيير فيه، وحتى لا أمل في التغيير فيه، والتغيير الذي أحزننا أنه غير متوقع هو الذي يعيد إلى (بلاد الترك) أو مهد الترك كما أحببت أن أسميها بعض أمالها وأحلامها في العودة إلى الاحتفال والاستقلال، أو على الأقل الحق في اختيار المآل.

وكانت تتنازعني أفكار عديدة عن بعض أعمال أهل هذه البلاد المجيدة، وأيامهم السعيدة التي ولت الأدبار، وأعقبها الليل الذي يعقب النهار، ولكنه ليل طويل لا يرضى أن ينجلي عن صبح جميل.

وأنا أرى (بلاد الترك) القديمة من الطائرة، فأراها في هذا الفصل من السنة قشفة جديبة، ولكني أقول مع ذلك: إنها بلادنا الإسلامية الحبيبة.

وهذا الجدب سيعقبه الخصب، وها أنا أرى مسايل المياه التي تنزل من أكتاف الجبال الشامخة التي تجللها الثلوج، وقد أخذت تلك المسايل ترسل ومضات من نور مياهها التي تنعكس عليها أشعة الشمس الوهاجة، فتبعث في النفس الأمل في الربيع، أو لنقل: في الصيف المُريع - بضم الميم -.

وكان هذا قبل أن تعلن مضيفة الطائرة أنه قد بقيت نصف ساعة فقط على

الوصول إلى مطار (أورومشي) عاصمة سنكيانج أو (تركستان الشرقية) كما يسميها أهلها المسلمون، وقد أمروا بربط الحزام في هذه الأونة المبكرة من البدء في الهبوط.

وأخذت الطائرة تهبط من عليائها، وتخفف من غلوائها، فظهرت سفوح هذه الجبال العالية قد ابتدات الخضرة فيها تطل من قبورها التي دفنتها فيها الثلوج.

وكانت قد استخفتني الفرحة برؤية هذه الأراضي المسلمة العريقة، فالتقطت عدة صور لجبالها التي أظهر ما فيها الثلوج الناصعة، ولسهولها التي ليس فيها معالم تبين، ولكن فوجئت بعد ذلك - ويا للخسارة - بأن مصورتي قد عملت عكس ما رغبت منها فاقتصرت المسافة بدلًا من أن تطولها فظهرت الصورة مبهمة يلفها الضباب أو القتام، كما يلف هذه البقعة من بلاد الإسلام، والله أعلم بما تخبؤه الأيام.

ومن غرابة منظر هذه السلسلة من الجبال العالية أنه يوجد خلفها واد عميق واسع كأنما يلفه الدخان، وهو بلا شك ضباب كثيف وبعد هذا الوادي تأتي سلسلة متواضعة من جبال منقادة ليس على رءوسها ثلوج ناصعة، مما يدل على أن هذه الجبال العالية تحجب الرياح الباردة التي تحمل الثلوج من الشمال، أو لنقل من سيبريا المشهورة ببرودتها القارصة، وبخاصة إذا تذكر المء ما قرأه أو سمعه عن التعذيب في النقي إلى سيبريا خلال فورة الثورة الشيوعية في روسيا.

ووصلت الطائرة إلى قرية ريفية ذات بيوت أغلبها من الطين أو من مادة غير بهيجة مشابهة تبين لي بعد ذلك أنها على قلتها من الآجر غير الأحمر، وإنما الأغلب على الأبنية هنا أنها من الطين الخالص وطينهم ليس بهيج المنظر، وإنما هو ذو لون أغبر.

ولا يختلف مظهر هذه القرية من الطائرة عن مظهر الأبنية والمنازل في قرى وسط المملكة العربية السعودية، وبلدانها قبل الازدهار الاقتصادي الأخير، أي إن الجامع بينهما هو البناء الشامل بالطين.

والغريب في الأمر أن الطين يبنى به هنا رغم وجود هذه الجبال الثالجة الشاتية التي قد توحي بالرطوبة والندى التي لا يصبر عليها البناء بالطين.

وهذه الجبال هي التي تمد المنطقة بما تحتاج إليه من مياه عندما تذوب الثلوج رويدًا رويدًا في أواخر فصل الربيع وأوائل فصل الصيف، فترسل الينابيع التي تروي الأرض بعد أن تفقد ريها من الثلوج الذائبة التي تكون قد شملت سهولها وجبالها في فصل الشتاء الشاتي فيها.

أما المنطقة البعيدة عن الجبال فهي كما تبدو من الطائرة صحراء جافة لا وديان فيها، ولا نستطيع أن نعرف ماهيتها إلا بعد الوصول إليها، والتجول في نواحيها على الأرض كما سيأتي بإذن الله.

ولفت نظري في هذه الصحراء البعيدة عن الجبال الثالجة سلسلة من الهضاب الجبلية المتطامنة المنقادة كالجدران، وتقع فيها وديان فيها أكمات طينية رمادية المنظر تكاد تجزم إذا رأيتها أنك في صحراء حقيقية لا تختلف عن صحرائنا بشيء.

ومع ذلك شاهدت في هذه الجبال بحيرة أو مستنقعًا كبيرًا للمياه، لا أشك في أنه ناشئ من ذوب الثلوج التي تعلو قمم الجبال.

فوق مطار أورومشي:

قربت الطائرة من منطقة المطار ولم تصل إليها بعد، ولذلك رأيت سهولًا لا بأس باتساعها بالنسبة إلى المنطقة الجبلية التي تعلوها الثلوج أكثرها مزروع

بزرع أخضر قصير، وبعضها يبدو أجرد خاليًا من الخضرة، إلا أن ذلك يدل على أن الزراع يراوحون بين الأرض في زراعة جزء منها دون جزء آخر طلبًا لإخصاب الأرض، أو لزرعها في الصيف بمزروعات أخرى.

ثم اتسعت المزارع التي هي ليست بذات خضرة شاملة، إلا أن المزارع ظهرت بمظهر المعتنى بها، ومن ذلك وجود بيوت من اللدائن (البلاستيك) تغطي بعض أنواع النبات، وبعضها ليست على هيئة بيوت من اللدائن، وإنما هي أغطية من رقائق اللدائن قد غطوا بها بعض النبات ليقيه الثلج والصقيع.

ومع هذه العناية بالمزروعات، فإن البيوت الطينية بدت من الطائرة مسطحة السقوف، وليست مسنمة مما يدل على أن المنطقة ليست مطيرة، وإلا لكانت سقوف البيوت على هيئة السنام لتزلق عنها الأمطار.

واتسع السهل - قبل الوصول إلى المطار - وتنحت الجبال، وشرق السهل واد عظيم جاف، ولكن هيئته توحي بأنه يحفل بمياه غزيرة عندما يسيل من مياه الأمطار التي ترسلها إليه الجبال.

وبدت الطرق في هذا السهل الذي يبدو أنه خصب ترابية تحف بها أشجار رمادية مثل سائر الأشجال في المنطقة التي لا ترى فيها عودًا أخضر مع أننا الآن في أواخر شهر أبريل.

ثم رأيت طريقًا أزفلتيًا إلا أن السيارات فيه قليلة، بل إنني لم أر فيه على طوله من الطائرة إلا ثلاث سيارات فقط، وهو يبدو خارجًا من المدينة إلى بعض الأماكن الريفية.

وقلة السيارات أمر عرفناه في المدن الصينية التي يصر الصينيون على أن المدن في هذه المنطقة التركية جزء منها يصيبها ما أصابها من خير أو سوء، وذلك أمر لم يشاور فيه سكانها ولا غيرهم ممن يهمهم أمرها.

في مطار أورومشي:

هبطت الطائرة في المطار بعد طيران استغرق أربع ساعات ودقيقة واحدة.

وقد أعلن مكبر الطائرة أن درجة الحرارة في أورومشي هي عشر درجات مئوية مع أن الساعة هي الحادية عشرة والنصف بالتوقيت المحلي لسنيكيانج وهي الواحدة والنصف بتوقيع بكين التي غادرناها أي إننا الآن في أكثر أوقات النهار دفئًا في هذا الفصل الربيعي لغيرها والشتوي لها، وإن كان أخف بردًا من شتائها وأقل تقشفًا منه.

المطار لا بأس بمدارجه من حيث السعة، وكذلك لا بأس بمنظر بنائه من تلك المدارج، وإن كان الطيار قد كبح جماح الطائرة بقوة عندما نزلت مما يوحي بأن المدارج ليست في القدر الكافي من الطول.

وقد استقبلنا في المطار جمع من الإخوة المسلمين كان أكثرهم من الشيوخ المتقدمين في السن الذين يرتدون الملابس (البخارية) التقليدية القديمة.

فكان منظرها إلى جانب منظرنا نحن الذين نرتدي الملابس العربية الكاملة حتى العباءات، مما يلفت النظر بحيث رأيت اثنين من الأوروبيين أو ذوي المظهر الأوروبي كانا معنا بالطائرة يبادران إلى التقاط الصورة لهذا المشهد الفريد بالنسبة إليهما.

أما نحن فلم نتمكن من أن نصور شيئًا من ذلك عند سلم الطائرة؛ وذلك بسبب الانشغال باللقاء الحار مع هؤلاء الإخوة الكرام، وبالنسبة إلَيَّ خاصة كان من ذلك سبب التأثر الذي أصبت به وأنا أنزل في هذا المطار وأرى منظر إخواني من المسلمين في هذه البلاد الذين لم يغيروا حتى مظاهرهم، فانتابتني مشاعر عميقة أنستني هذه الأمور التي هي تافهة بالنسبة إلى تلك المشاعر العميقة.

وكان عناق هؤلاء الإخوة الأشقاء عند سلم الطائرة أعقبه الانصراف إلى غرفة كبار الزوار في المطار حيث جرى أولًا التعريف بالإخوة المستقبلين، فكان على رأسهم:

- الشيخ الحاج يعقوب دامولا نائب رئيس المؤتمر الوطني السياسي الاستشاري في المقاطعة ورئيس الجمعية الإسلامية فيها.
- الحاج حسين نائب رئيس الجمعية الإسلامية في المقاطعة.
- الحاج عبد الله دامولا رئيس الجمعية الإسلامية ومعنى (دامولا) عالم، وأصل الجملة: دام الله.
- الحاج محمد قاسم ساجينغ جون عضو الجمعية الإسلامية.
- الحاج محمد أمين عضو الجمعية.
- شريف جان دامولا إمام مسجد ورئيس الجمعية الإسلامية في مدينة أورومشي.
- محمد صالح عضو دائم للجمعية الإسلامية في المقاطعة.
- محمد يونس إمام المسجد ونائب رئيس الجمعية الإسلامية في مدينة أورمومسي.
- الحاج عثمان نائب الأمين العام للجمعية الإسلامية في المقاطعة.
- الحاج عبد الرحيم روز عضو دائم للجمعية الإسلامية للمقاطعة.
- محمد سعيد مدير الشئون الدينية للمقاطعة.
- داؤد باز نائب رئيس الجمعية الإسلامية في المدينة.

يعقوب... دامالا، أي: دام الله رئيس الجمعية الإسلامية في إقليم سنكيانج، و(دام الله) هذه تعني في الأصل عالم الدين في اللغة التركية هنا وهي اللغة التي أصبحت تسمى عند الصينيين اللغة (الأيغورية) تبعًا لتسمية الشعب التركي الأصيل عندهم بالشعب الأيغوري الذي هو منسوب لأيغور إحدى القبائل التركية الأصيلة، ولم يبقوا التسمية بالشعب التركي حتى لا يوحي ذلك بالارتباط بشقيقه القريب فيما يسمي بآسيا الوسطى، وما نسميه نحن ببخارى وشقيقه البعيد العثماني في بلاد الجمهورية التركية التي عاصمتها (أنقرة).

وقد بدأ الشيخ (يعقوب دامالا) رئيس الجمعية الإسلامية بالكلام بالتركية، فرحب ترحيبًا حصره التأثر والمرض عن إكماله فيما يظهر، فنهض الشيخ (عبد الله روزي دامالا) نائب رئيس الجمعية فألقى كلمة باللغة العربية أحب أن أثبت نصها هنا استكمالًا لنقل ما حدث، ولأن الرجل موظف حكومي والكلام منه له دلالة خاصة، ومن أجل شيء آخر مهم لدي وهو أسلوبهم في الكتابة بالعربية التي طال عزلهم عن أهلها.

قال الشيخ عبد الله:

أيها السادة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أنتم تفضلتم وجئتمونا بقيادة سيد محمد بن ناصر العبود لزيارة بلدنا ولقاء المسلمين في الصين، وتعبتم بقطعكم مسافة بعيدة جدًّا، نحن نرحب بكم ترحيبًا حارًّا من صميم قلوبنا، ونقول مرة بعد أخرى: مرحبًا بكم أهلًا وسهلًا، أنتم جئتمونا من جوار الكعبة المعظمة بيت الله الحرام، ومن جوار روضة النبي ﷺ مهبط الوحي ونحن مسرورون جدًّا بلقائكم وبتشريف قدومكم.

مسلمو الصين يحبون العرب؛ لأن النبيَّ ﷺ من العرب والقرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين.

المسلمون في الصين ومن جملتهم مسلمو سنكيانغ ذات الحكم الذاتي الإيغورية مشتاقون دائمًا لزيارة بيت الله الحرام وأداء فريضة الحج، ويرجون تبادل الزيارات بين البلدين وبين الشعبين، وإن حالت بيننا وبينكم الجبال والبحار، لكن يجمع بيننا الدين الإسلامي حزبنا وحكومتنا تسمح لهذه الزيارة وتساعد مساعدة هامة، لكن عندنا بعض المشاكل مثلًا مشكلة حل الدولار العالمي ومشكلة اللغة والمواصلات.

وفي السنوات الماضية ساعدت حكومة المملكة العربية السعودية ورابطة العالم الإسلامي مساعدة كبيرة لبعثة الحج الصينية، ولسائر المسلمين من الصين نحن نشكركم على هذه المساعدات شكرًا جزيلًا.

ونرجو أن تكون زيارتكم هذه سببًا مقويًا لتعزيز الصداقة بين البلدين وبين الشعبين، ونرجو من فضلكم أن تكون مساعداتكم أكثر في الاستقبال، ونرجو أن تكون زيارتكم سعيدة، منازلنا منازلكم، وأسرتنا أسرتكم نرجو من فضلكم أن تزوروا كيف تشاءون مطمئنين فارغ البال.

مرحبًا بكم أهلًا وسهلًا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقد رددت على كلمة الشيخ يعقوب فقلت بحضور الرسميين الحكوميين من الصين ما بين مرافقين ومنهم مسلمون وغير مسلمين: إننا عندما وصلنا إلى بكين شعرنا بأننا قد وصلنا بلادًا صديقة، أما في هذه البلاد (سنكيانج)، فإننا قد شعرنا أيضًا بالإضافة إلى ذلك أننا قد وصلنا إلى بلاد شقيقة، فالشعب

الأيغوري المسلم هنا هو شعب شقيق تربطه بنا نحن العرب المسلمين عامة وسكان الحرمين الشريفين روابط التاريخ والثقافة، إلى جانب الماضي الحضاري المشترك.

ثم تكلم الشيخ (محمد صالح قاري) بالعربية وهو يجيد العربية، ولذلك يقوم الآن على إكمال ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة المحلية كما سبق أن ترجم عدة كتب إلى العربية، وكان كلامه وكلام الشيخ عبد الله روزي دامالا بالعربية بمستوى جيد مما أثلج صدورنا كما رأينا اثنين من الإخوة الشيوخ أيضًا يتكلمان بالعربية ولكن من غير طلاقة.

ولقد أجابوا كلهم على سؤال عن المكان الذي تعلموا فيه اللغة العربية بأنها تعلموها في بلادهم هذه، وبعضهم خصص فقال: في كاشغر.

ومدينة (كاشغر) هي مدينة الثقافة العربية الإسلامية في هذه البلاد، وسيأتي الحديث عنها فيما بعد عند الكلام على زيارتها بإذن الله.

من المطار إلى دار الضيافة:

يقع المطار في الجهة الشرقية من المدينة، وتقع دار الضيافة في الجهة الجنوبية الغربية معاكسة لموقعه؛ لذلك لا بد من المرور بالمدينة في الطريق.

نهض القوم من قاعة كبار الزوار في المطار التي هي قاعة معتادة غير فاخرة قدموا فيها الشاي التقليدي الذي هو هنا ليس أخضر تمامًا، ولكنه لا يبدو كذلك؛ لأنهم يضعون منه في الفنجان مقادير من أوراقه قليلة، ولأن نوعه كذلك لا يصبغ الماء بالحمرة.

وخرجنا من بناء المطار إلى الساحة الخارجية التي تلي المدينة، فوجدنا موكبًا من السيارات تتقدمها سيارة سوداء رسمية كالتي ركبناها في بكين تمامًا،

ولولا بعد المسافة لقلت: إنها هي بعينها، ولقد تكرر ركوبي فيها في بقية الرحلة، وهي مخصصة لرئيس الوفد (كاتب هذه السطور) كما خصص للإخوة الزملاء من أعضاء الوفد سيارات أخرى.

وفتح باب السيارة شخص قدموه إليَّ بقولهم: إنه (نور محمد أمين) خادمك وحارسك، فقلت لهم شكرًا، وما بي حاجة إلى حارس فالله سبحانه وتعالى هو الذي يحرسني من المكاره وله الحمد والمنة.

وأما حراسة الناس فلتكن للسياسيين، وأرباب الأموال الكثيرة الذين يخشى عليهم من أن يطمع أحد في إزالتهم عن أمكنتهم أو في النيل من أموالهم.

وتبين بعد ذلك أن الأخ المذكور هو من رجال الأمن في البلاد.

كما قدموا سائق السيارة باسمه (عثمان ياسين) فهو مع الإخوة القائمين على خدمة الوفد من المسلمين بخلاف السائق والمرافقين في بكين فهم من الصينيين غير المسلمين.

ولا غرو في ذلك؛ لأن هذه البلاد بلاد إسلامية، وهي كانت كذلك وظل أهلها على ما هم عليه من مجد للإسلام والمسلمين، وإن كان قد زاحمهم على الوجود فيها طارئون من الصينيين الذين أسموهم بالخان أو الخانيين.

وظهر من منظر الشوارع والأشجار، بل والمنطقة بشكل عام أنها أكثر من بكين جفافًا، ولا شك في أن السبب في ذلك شدة البرد التي لا تزال آثاره ماثلة للعيان حتى الآن من كون الأشجار لا تزال مجرد أعواد تبدو كالهامدة، بل كل شيء يكاد يكون خاليًا من الخضرة ما عدا بقعًا صغيرة من الأرض فيها أوراق صغيرة من أوراق القمح التي كأنما بدأت تطل من الأرض على خوف أو استحياء.

وكذلك بدا الناس أكثر شعورًا بالبرد هنا من ارتدائهم الملابس الشتوية الكاملة التي شعرت أنها فوق ما يحتاجونه في اتقاء البرد، ولكنهم يلبسونها بحكم التعود على حالة البرد الشديد التي كانت سائدة من قبل.

والطريق من المطار إلى المدينة (مزفلت) ولكنه غير جيد.

ونسيت أن أقول: إن الوقت متأخر هنا عن وقت بكين بساعتين؛ وذلك لبعد هذهالمدينة عن مدينة بكين الشديد إلى جهة الغرب الشمالي.

في مدينة أورومشي:

كتبت اسمها بالشين قبل الياء؛ وذلك لكون أهلًا ينطقون به بحرف لا يوجد له مماثل من الحروف العربية، ورأيت أن أقرب حرف له هو حرف الشين.

دخلنا أطراف المدينة مع هذا الشارع القادم من المطار، وتبين أنه هو الشارع الرئيسي في المدينة، وإن كانت توجد فيها شوارع مستقيمة غيره كما عرفنا ذلك فيما بعد.

فكان أول ما لفت نظري مما أشعرني أننا الآن ندخل بلدة إسلامية هو منظر بعض النساء اللاتي غطين رءوسهن بغطاء ساتر كالمنديل السميك لا يستعمله إلا المسلمات.

وهنا في ضواحي المدينة زاد عدد السيارات، وإن كان لا يزال قليلًا جدًّا، ولاحظت أن سير السيارات هنا أسرع مما عليه الحال في بكين يستوي في ذلك سيارات الموكب الذي نحن فيه والسيارات الأخرى، فالناس هنا أكثر عصبية في قيادة السيارات إن صح التعبير.

وتكاد تلمس من الشارع فرقًا أيضًا في راكبي الدراجات والمشاة الذين هم من بكين كأنهم الآلات كما قدمت.

وهنا تجد الناس ليسوا كذلك، فالناس هنا يبدون أقل هدوءًا في الشارع في هذه الناحية، وإن شئت قلت: أقل نظامًا، وربما شعرت أن طبائعهم أكثر حدة؛ وذلك بسبب كون سائق سيارتي في الموكب يلح على السيارات الأخرى، ولا يستجيبون لإلحاحه بسرعة مما لم أر مثله أيضًا في بكين، وبخاصة عندما يريد أن يتجاوز سيارة أخرى.

ولاحظت قلة استعمال الدراجات هنا بالنسبة إلى كثرتها في بكين، ولا شك أن من أسباب ذلك كثرة السكان في بكين بالنسبة إلى هنا بطبيعة الحال، فسكان بكين تسعة ملايين وسكان أورومشي مليون واحد، وشيء آخر وهو كثرة العربات التي تجرها الدواب من الخيل والحمير والبغال؛ لأنها تكاد تعتبر مدينة ريفية بخلاف بكين.

ومررنا بعربة تجرها بغال قوية؛ لأنها تنقل الأشياء الثقيلة بمثابة سيارة الشحن التي لا يستطيع الأفراد أن يملكوها.

وفي ضواحي المدينة صار الطريق اتجاهين تفصل بينهما جزيرة من الأشجار الهامدة التي لا يزيد منظرها على منظر الأعواد الجافة؛ وذلك لأنها لم تورق عقب الشتاء بعد.

وعلى جانبي الطريق أبنية كبيرة (عمارات) أسمنتية حديثة من طوابق متعددة بنتها الحكومة أو الجهات التابعة لها تؤجرها على عمالها وموظفيها بأجرة رخيصة، وإلَّا فإنه لا سبيل لهؤلاء ولا لأمثالهم إلى تملك بيت خاص بهم، فهم لا يستطيعون لذلك سبيلًا، وحتى مجرد الأمل في ذلك لا يراود أحلامهم؛ لأنه ضد النظام الشيوعي في هذه المرحلة التي يسيطر فيها الفقر وقلة المساكن في المدن.

ثم وصلنا من الشارع الرئيسي إلى منطقة فيها حوانيت كبيرة كلها مملوكة للدولة أو تابعة لها، بمعنى أن الأبنية والبضائع هي للدولة، وأن العاملين فيها هم في الحقيقة عمال وموظفون للدولة، ولا يوجد محل كبير يملكه الأفراد.

وهذا في وسط المدينة الحديثة الذي تقتصر حداثته على وجود عدد محدود من الأبنية الحكومية التي وصفتها مع وجود أبنية قديمة ذات بناء قوي وإن لم تكن عالية، وذلك مما كان موجودًا في البلاد قبل الشيوعية.

والسيارات الموجودة في هذا القسم الحديث من المدينة هي قليلة أيضًا، وكلها من الشاحنات والحافلات، و(الجيب) التي تقوى على السير في الطرق الوعرة.

أما سيارات الركوب الصغيرة فلا تكاد ترى، وأما سيارات الأجرة فإنها غير موجدة، وقد تأكدت من ذلك بعد ذلك.

الحروف العربية:

ومن الأشياء التي شدت انتباهي إليها شدًّا كبيرًا، وجعلتني أشعر بالزهو والفرح هنا، ولك أن تسميه زهوًا ساذجًا، أو فرحًا متسرعًا ولا تقل: عاطفيًّا؛ لأن الفرح كالحزن لا بد من أن يكون عاطفيًّا.

ولكن المرء إذا رأى لغته منشورة في بلاد بعيدة أو حتى رأى ما يدل على اهتمام الناس بها في أقطار نائية، فإنه لا بد من أن يفرح لذلك، بل أن يزهو ويفخر.

لذلك أسرعت أستجلي أمر لافتات كثيرة على أبنية كبيرة وصغيرة في الشوارع مكتوبة بالعربية، فوجدت ما لا يحتاج الخبير إلى أن يخبر به، وهو أن الحروف هي حروفنا العربية وإن كانت المعاني هي معانٍ أعجمية، فهي معاني

لغة أمة مسلمة عريقة في إسلامها، وهي الأمة التركية التي لا تزال تعيش في المنطقة التي هي في الحقيقة (مهد الترك).

ورغم كون الناس هنا هم الأتراك الأصلاء، وإن شئت قلت: هم الأتراك الأنقياء مثلهم في ذلك مثل العرب الذين يسكنون الجزيرة العربية بالقياس إلى العرب الذين يسكنون في الأمصار الأخرى خارج الجزيرة مع عدم التنقص من قدرهم بشيء.

فهم هنا لا يسمون لغتهم اللغة التركية، وإنما يسمونها اللغة الأيغورية نسبة إلى قبيلة تركية كبيرة من أهل هذه المنطقة يقال لهم: الإيغور، وقد أخذ الصينيون بهذا حتى في تسمية الإخوة الأتراك هنا تسمية صينية رسمية، فهم عندهم (الأيغور) لا الأتراك.

ولا شك في أنهم فعلوا هذا من أجل عدم الاعتراف بالصلة القديمة التي تجمع ما بين هؤلاء القوم وبين أبناء عمومتهم من الأتراك في دولة تركيا التي عاصمتها (أنقرة).

حتى بلادهم هجروا تسميتها القديمة التاريخية، بل العريقة في التاريخ (تركستان) التي تعني بلاد الترك إلى (سنكيانج) التي معناها بالصينية الأرض الجديدة المكتسبة.

ولقد فتر زهوي وفرحي بهذه الحروف العربية حين فكرت بأنها للغة أعجمية، غير أن ذلك زايلني عندما فكرت أنها لغة قوم من إخواننا المسلمين اتخذوا حروفها أدوات للمعاني في لغتهم؛ لأنها الحروف التي تعلموا بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهي إذًا - على هذا الاعتبار - حروف لغة إسلامية، وكفانا فخرًا أن تكون حروف لغتنا كذلك.

ومن الطريف السار هنا أنهم يكتبون هذه الحروف العربية في اللافتات فوق اللغة الصينية على اعتبار أن هذه اللغة الإيغورية هي اللغة الوطنية هنا.

ومن المفارقات غير السارة أن يتذكر المرء أن هؤلاء المسلمين قد أبقوا على الحروف العربية للغتهم التركية في هذه البلاد النائية عن العربية وأهلها، وتحت الحكم الصيني الذي أصبح شيوعيًا بعد ذلك فصبغ الثقافة في البلاد بصبغة ثقافية شيوعية أو كاد.

فهم لا يملكون من أمرهم كثيرًا على أن إخوانهم الأتراك الذين ملكوا زمام أمرهم كله، وكتب الله لهم العز والسلطان بسبب ما قام به أوائلهم من نصرة الدين الإسلامي الحنيف قد ألغوا كتابة لغتهم بالحروف العربية، واستبدلوا بها الحروف اللاتينية، وذلك رغم قربهم من البلدان العربية والإسلامية، ومعرفتهم بأن الجزء الأكبر من تاريخهم الذي يفخرون به إنما هو مدون بهذه الحروف العربية.

ولن أدخل هنا في بحث يطول عن الخسائر الحقيقية التي لحقت بهم من هذا الفعل، ولا عن الأرباح التي يزعمون أنهم حققوها من ذلك، ولكننا نقول متسائلين: أين منزلة دولة تركيا الآن مما كانت عليه في السابق؟ ونترك الإجابة على ذلك للمنصفين مع التنصيص على أننا لا تبلغ بنا السذاجة أن نزعم أن سبب وانحدار تركيا، وسقوط مجدها هذا مجرد استعمال الحروف اللاتينية بديلة عن الحروف العربية.

في دار الضيافة:

واصل الموكب طريقه الذي يشق مدينة (أورومشي) شقًّا فدخلها من جهة الشمال الشرقي، ثم خرج منها إلى ضاحية في الجنوب الغربي.

وتطل البيوت الطينية القديمة من كل جهة مر بها الموكب ما عدا الشارع الرئيسي الذي هدمت بعض بيوته الطينية، وأصبحت بديلة عنها أبنية حكومية متعددة الطوابق كما تقدم.

وقد خرجنا عن المدينة كلها إلى ناحية من الريف ذات أشجار متشابكة هامدة في منظر غير بهيج، ثم دخلنا إلى فناء مكشوف واسع مغروس بأشجار مصفوفة لا تزال هامدة أيضًا، وفي داخله عدد من الأبنية، فوقف الموكب عند البناء الرئيسي فيها.

وأجلسونا في قاعة للجلوس فيه مؤثثة بأثاث عصري ليس فيه أثر للطراز الصيني.

وهنا اجتمع حشد من الإخوة منهم من كان معنا في استقبالنا في المطار، ومنهم من جاء من المدينة وكانت جلسة طيبة أنستنا الحاجة إلى الراحة بعد هذا السفر الطويل بالطائرة.

وكان الحديث ممتعًا مع هؤلاء الإخوة الكرام الذين لم نكن نحلم بأن يتاح لنا هذا الاجتماع المبارك بهم، وخصوصًا كون جميع المعلومات التي نسمعها منهم تعتبر معلومات جديدة ومفيدة لنا.

وكان عدد من الشيوخ والطاعنين في السن منهم يتكلمون معنا بما يعرفونه من اللغة العربية مما تعلموه في المدارس الإسلامية أو المساجد في صغرهم، فيضيف ذلك على الجلسة طلاوة ويزيدها حلاوة.

وكانوا يتحدثون وأنا أتأمل وجوههم، فأجدها وجوه (البخاريين) الذين نعرفهم في بلادنا، ونعني بهم أهالي تركستان الشرقية والغربية، لا فرق بينهم وبين (البخاريين) إلَّا فرق في النضارة في الوجوه، وفي مظاهر التغذية على

الأبدان، فهم في بلادنا أفضل منهم هنا بالإضافة إلى ما أضفاه الشتاء الطويل في هذه البلاد على وجوههم من قشف وخشونة.

ثم دعانا المسئولون عن دار الضيافة إلى الغرف، فوجدت غرفتي جناحًا مؤلفًا من قاعة للجلوس فيها تلفاز وقاعة أخرى للمكتب فيها أدوات للكتابة، وغرفة للنوم، وحمام كبير قديم الطراز فيه رداءان للحمام و(روبان) وعدد من المناشف الكبيرة يدل ذلك على الإحساس بالبرد من أجل أن من يدخل الحمام، فإنه عليه أن يحتاط عن البرد بما ذكر.

وبقية الإخوة والمرافقين في غرف جيدة مناسبة.

ودار الضيافة هذه مبنية بسخاء مما جعلني أسألهم عنها أهي قبل الشيوعية أم بعدها؟ فأجابوا إنها بعد التحرير كما يسمون كل ما كان بعد الشيوعية، فكأنهم يسمون الشيوعية تحرير الصين من أهل الصين، وقد أسموا دار الضيافة هذه باسم (بان ين) وقالوا: إنه مأخوذ من اسم مدينة صينية استولى عليها الصينيون بعد لائ أبان ثورتهم الشيوعية.

وقد سأل أحد الإخوة المرافقين أحد الموظفين عن هذا المكان، فقال: إنه كان قصرًا لأحد البرجوازيين.

ومن نافذة غرفتي في هذه الدار التي تقع وسط حديقة هامدة واسعة رحت أستجلي المنطقة، فأجد أنها تبدو كالصحراوية، وتطل عليها على البعد جبال عالية، تجلل هاماتها الثلوج وأينما اتجه المرء ببصره يرى هذه الثلوج على الجبال التي لا تحاصر المدينة، وإنما تفسح لها المجال، وهي مصدر خير ونماء لهذه المنطقة؛ لأنها تتلبد عليها الثلوج في الشتاء، ثم تبدأ بالذوبان في آخر فصل الربيع فتمدها بالينابيع التي تخضر منها الزروع وترعى عليها الماشية.

وإلا فإن المنطقة من دون هذه الينابيع والجداول تكاد تكون صحراوية.

وقد كنت سألتهم عن هذه الأشجار متى تورق أغصانها؟ فقالوا: إن ذلك يكون في شهر مايو.

وعندما استقر بنا المقام في دار الضيافة كان شعوري كما لو كنت في بلادي القصيم في آخر الشتاء، حيث الرياح الباردة تصفر من خلال الأبواب والنوافذ التي لا بد من إغلاقها اتقاء للبرد.

غداء المسلمين:

وكان الغداء متأخرًا بسبب وصولنا متأخرين، وكان طعامنا في منطقة إسلامية لا يخشى المر ء فيه حرامًا وكان طعامًا دسمًا سخيًّا فيه الأرز البخاري والطيور ولحم البقر وأنواع من الخضرات غريبة علينا، ونوع خاص بالمسلمين هنا أشبه ما يكون بالسمبوسك، ولكنه رطب وخبز مثل خبزنا، وهذه أول مرة نراه منذ وصولنا إلى الصين؛ لأن خبز الصين نوع آخر يجعلونه كرات ككرات العجين الأبيض.

وأما الفاكهة فإنها التفاح الذي تنتجه هذه المنطقة، وهي تنتج منه مقادير كبيرة.

وعاملات المائدة كلهن من التركيات اللاتي سترن رءوسهن بمناديل صغيرة، وقلنا: من التركيات؛ لأننا نكره أن نقول من التركستانيات، فننسب إلى المنسوب إليه.

والطباخ أيضًا هو مسلم من أهل هذه البلاد.

في سوق أورومشي:

كنت أمني نفسي في جولة كاملة في مدينة أورومشي هذه العاصمة المسلمة تبدأ بسوق المدينة، ثم تستمر في أزقتها وأحيائها القديمة.

ولقد تمنع الإخوة المسئولون عن الوفد في الاستجابة لذلك؛ لأن الفقرة لم تكن في برنامج الوفد، ولغرض آخر لم يفصحوا عنه وعرفناه بعد ذلك، وهو أن الحالة في المدينة لا تسر من يريد أن يثني على أهل الصين، وذلك فيما يتعلق بالناحية العمرانية عامة، وفيما يختص بحالة المساجد بصفة خاصة، ولكنني ألححت عليهم بذلك فاستجابوا له.

فخرج الموكب في الساعة الرابعة تتقدمه السيارة العسكرية ومعي مرافقي العسكري الذي هو من رجال الأمن، وذكروا أنه الحارس الخاص لي الأخ (نور محمد أمين)، وتركنا دار الضيافة التي تقع في منطقة ريفية وفي أشجار يابسة تعصف بها الريح، ولا تبعد عن قلب المدينة إلا بمسافة لا تتجاوز خمسة كيلومترات.

وعندما أقبلنا على وسط المدينة كان أهم ما استرعى انتباهي منظر مسجد في مكان بارز من شارع عام بمنارته الملفتة للنظر.

فأوقفونا عند سوق حكومي يسمونه سوق الألبسة القومية، ويقع في مبنى خاص واسع قد خصصوا كل قسم منه باسم قومية من القوميات الموجودة في هذه المقاطعة وأغلبها تركية الأصول إلا أن هناك تباينًا بينها إما في اللهجات أو في الانتماء القبلي.

وأول ما يلاحظه المرء هذه الحروف العربية التي تكتب بها اللغة الوطنية في هذه المقاطعة، وهي مكتوبة على كل المعروضات تقريبًا.

وهناك نماذج من الألبسة التاريخية فيه ليست للبيع وإنما هي لمجرد العرض.

ولقد كنا نؤمل أن نتفرج برؤية هذه المدينة وأهلها، ولكن الوضع انقلب فأصبح أهلها يتفرجون برؤيتنا، فقد كانت ملابسنا العربية والموكب الطويل من السيارات الصغيرة التي لم يتيسر لكثير من المواطنين ركوبها فيما مضى من حياته إلى جانب شعورهم بأننا من المملكة العربية السعودية قد جلب ذلك كله إلينا أعدادًا كبيرة من الناس من كبار وصغار ورجال ونساء أخذوا يتبعوننا ويحملقون في وجوهنا ويتابعون كل حركة أو سكون تصدر منا، مما أفسد علينا متعة المشاهدة، ولكي يضفوا على المعرض طابعًا جذابًا صنعوا نماذج لما كان يستعمله أهل هذه البلاد في القديم من أدوات وأشياء مهمة لهم من ذلك رحل للفرس يستعمله المغول الموجدون في هذه المقاطعة خاصة، وكذلك خيمة قازاقية مما يستعمله البدو من القازاقيين سكان هذه البلاد في الوقت الحاضر.

ولم نجد البضائع فيه رخيصة.

وتركناه لنتمشى في سوق مفتوح يغص بالناس، فلم نستطع مجرد التجول بحرية؛ لأن الجماهير ازدحمت علينا فأسرعنا بالدخول إلى سوق حكومي آخر في مخزن كبير مؤلف من طبقتين رأيناه مكتظًا بالناس؛ لأنه يبيع بضائع مختلفة.

ولم نر فيه جديدًا فخرجنا إلى الشارع في محاولة للسير فيه كما يسير الناس في المحلات المعتادة، ولكن الجمهور زاد من التجمع حولنا، فكان الحارس والمرافقون يحاولون إبعادهم مما يغريهم بالتجمهر وبدفع غيرهم إلى الانضمام إليهم لا سيما عندما عرف من لم يعرف من قبل أننا من المملكة العربية السعودية، حيث صارت طائفة منهم يحاولون أن يظفروا بسلام ومصافحة أو حتى مجرد لمس الثياب، فكان المرافقون يمنعونهم من ذلك حذرًا من أن يسبب تزاحمهم حول الوفد ضررًا.

ولقد بلغ التأثر بنا مبلغه حينما أجهشت امرأة في حدود الأربعين من عمرها بالبكاء، وتبعها رجل كهل حتى صار له نحيب أشعل التأثر في باقي الجمهور الموجود في الشارع، وبلغ الزحام مبلغه بحيث لم أستطع أن ألتقط صورًا ولا حتى أن أرى ما أريد رؤيته؛ لأنني أصبحت لا أرى إلا الجمهور الغفير الذي التف حولي وأطبق علينا بإحكام، فنصحنا المرافقون بسرعة الانصراف واقتنعنا بذلك غير أن الرجوع إلى دار الضيافة بدون أن نكتسب علمًا أمر صعب، فطلبت منهم أن نزور بعض المساجد فأعذروا بأن الزحام كبير، وأن الفضوليين سيتبعوننا ولا يدعوننا نرى شيئًا.

مسجد الوسط والتخريب الشيوعي:

وهنا تبرع أحد الإخوة من أهل البلاد، فقال هنا مسجد قريب منكم، وهو مسجد الوسط تستطيعون أن تسيروا إليه على أقدامكم، ولم يكن ذلك بالمستطاع لشدة الزحام فركبنا السيارات التي لم نكد نصل إليها؛ وذلك لكثرة الذين كانوا يتقدمون الجمهور ويحيطون به.

ووقفنا عند مسجد الوسط الذي كان قريبًا جدًّا من السوق كما أخبرونا واسمه مسجد (أوته تور كوبرك).

ورأينا المسجد أو على الأصح بقايا المسجد، فلقد صادره الشيوعيون إبان طغيانهم فيما يسمى بالثورة الثقافية التي قامت بها عصابة الأربعة، وأغرت الشبان وصغار السن بتخريب كل ما هو قديم، ولو كان ثمينًا من أجل أن تبدأ بناء الصين على أسس شيوعية (تقدمية) كما يقولون مع أننا رأينا التأخر بعينه في الصين، كما سيأتي من الكلام وكما أوضحته في كتاب: (داخل أسوار الصين) الذي خصصته للرحلة في المقاطعات الصينية التي زرناها.

لم يبق من المسجد في الحقيقة إلا منارة في مدخله إذْ هو على عادة أهل هذه البلاد في بناء المساجد في القديم أن يجعلوا حول المسجد فناء مكشوفًا محاطًا بمنازل للعاملين في المسجد، وربما لبعض المقيمين فيه من طلبة العلم الذين يعيشون فيه إلى جانب المرافق العامة فيه، ويكون لهذا الذي يصح أن يسمى بمجمع المسجد مدخل خاص على الشارع أو الزقاق يجعلون فوقه منارته أو مقصورته تكون رمزًا لوجود المسجد.

وقد خربه الشيوعيون كلية وخربوا مرافقه المحيطة به حتى لم يبق إلا هذه القبة أو المقصورة فوق مدخله.

ثم أعادته الحكومة الحاضرة للمسلمين وهو أنقاض كما تقدم، فجعل المسلمون يجمعون على فقرهم النقود الضئيلة إلى مثلها لعمارة المسجد، وأخذ الذين ليس عندهم نقود يعاونون في تعمير المسجد بأنفسهم، فيعملون كما يعمل العمال المستأجرون وهم محتسبون لا يبتغون أجرًا إلا من الله تعالى.

ولقد رأيناهم كذلك بعضهم ينقل الحجارة المبعثرة، ويبعدها عن مكان البناء، وبعضهم يعمل غير ذلك.

وعندما وصلنا إليهم وعرفهم بنا بعض المرافقين دهشوا، ولم يتمالك أحدهم نفسه، فأجهش بالبكاء وظل ينتحب من فرط التأثر وآخر لم يستطع أن يكتم دموعه، ولم يرد أن يراه الناس يبكي فانصرف وهو يخفي وجهه بيديه عن العيون.

ولقد بلغ التأثر بهم والزحام الكثيف حولنا إلى حد لم يكن هناك مجال للتحدث معهم بشيء، وكان ممثلو الحكومة معنا يحثوننا على سرعة الانصراف حذرًا من أن يلحق بنا أذى على حد قولهم، والحقيقة أنهم لم يريدوا أن يكون

الحديث في هذا المشهد الحافل ومع وفد أجنبي رسمي عن تخريب قام به الشيوعيون في بيت من بيوت الله مع أن مبلغ الخراب الذي حَلَّ بالمسجد فوق كل كلام ولا يحتاج إلى أي تعليق.

وبالنسبة لي لا أستطيع أن أصور الخراب الذي حصل في المسجد ولا أنقاضه لكثرة الناس، ولكنني أوعزت إلى أحد زملائي في الوفد وهو الأخ إبراهيم الخزيم أن يفعل ذلك، وقال: إنه فعل.

ويقع المسجد في حي قديم جميع بيوته من الطين وأغلبه من طابق واحد، وقد ذكرني بالبيوت التي كانت موجودة في البدان النجدية قبل أربعين سنة، وقبل أن تعرف البلاد التطور الحالي.

وكانت أغلى أمنية لي أن أتجول بحرية في هذه الأحياء من غير مرافقين ولا رسميات ولا جماهير محتشدة، ولكنني لم أستطع ذلك.

فعدنا إلى دار الضيافة وأنا أشعر بالحرمان من معلومات أنا بحاجة إليها.

وكانت استراحة قصيرة ثم كان العشاء في السادسة رغم أننا قد تغدينا متأخرين فموعد العشاء عندهم في السادسة، وبخاصة في الحفلات أو المآدب الرسمية لا يقبل التأخير.

في بيت الله:

ثم كانت صلاة المغرب في بيت من بيوت الله حيث انتقل الموكب إلى المسجد بعد الانتهاء من تناول العشاء.

وكان في الاستقبال حشد من الإخوة المسلمين، رغم كون الناس قد انصرفوا من أسواق المدينة؛ لأن العمل ينتهي عادة في السادسة.

ويقع المسجد في حارة (يانغ خان)، وتقع في وسط المدينة في الجزء القديم منها.

كان على رأس المستقبلين إمام المسجد الشيخ (محمد شريف عبد الغفور)، وهو أحد الذين كانوا استقبلونا في المطار جزاهم الله خيرًا.

وقد أخبرونا أن المسجد بني منذ ثمانين سنة، وأنه يحتاج إلى بعض المرافق، من ذلك: تكملة سوره، وأماكن الوضوء وقاعة للاجتماعات، وسألناهم عما إذا كانت توجد لديهم مدرسة أو فصل دراسي لتعليم الكبار أمور دينهم؟

فقالوا: لا مكان فلا مدرسة - على حد تعبيرهم - وقد وعدناهم ببذل مساعدة عاجلة محدودة للمسجد مع العمل على إرسال مساعدة أكثر من ذلك في المستقبل كما هي طريقتنا في مساعدة المساجد والمشروعات الإسلامية المحتاجة للمساعدة.

ومن الطريف أننا عندما وصلنا إلى المسجد رأيناهم يغسلون مداخله ومقدمته غير المفروشة، وطلبوا منا أن نتمهل قليلًا في دخول المسجد حتى يفرغوا من ذلك مع أن أذان المغرب قد حان.

ثم أذن المؤذن لصلاة المغرب أذانًا شجيًّا أطربنا بل أشجانًا وبخاصة عندما تذكرنا أن هؤلاء الإخوة المسلمين الذين ينادون بحي على الصلاة هم من المبتلين بحكم الكفار، وأنهم ظلوا يرزحون تحت ذلك الحكم، وما زالوا منذ أكثر من قرن من الزمان ولكنهم غير ذلك لم يتخلوا عن هذا النداء الحبيب، بل إنهم ازدادوا تمسكًا به وحرصًا عليه، ولأن المنادي منهم كان يجد على مر السنين من يستجيب نداءه ويردد أصداءه.

ثم أمَّ المجتمعين للصلاة الشيخ (عبد الله داملا) ودامال، أو دامولا أصلها (دام الله)، ومعناهم بلغتهم الإيغورية عالم الدين كما سبق، فصلى معنا في المسجد صفان مع أن المسجد غير عريض أقدر مجموع المصلين بأربعين شخصًا.

وكانوا قد ألحوا عليَّ في أن أؤمهم في الصلاة، فامتنعت جريًا على عادة أخذت بها نفسي في أنحاء عديدة من العالم.

فالإمام الراتب في نظري أحق من غيره بالإمامة، وأنا أريد أن أرى كيف يؤم بالناس، وكيف يؤدي الناس صلاتهم خلفه، ثم كيف يفعل ببعض الأذكار والمراسم المحدثة التي أخذ بعض المتأخرين أنفسهم بفعلها بعد انتهاء الصلاة، وقبل ترك أماكنهم في الصف.

وبعد الصلاة ألقيت فيهم كلمة مرتجلة ترجمها إلى لغتهم الأخ رحمة الله بين عناية الله سكرتير الوفد وأحد الموظفين في رابطة العالم الإسلامي، وقد تضمنت الكلمة بعد التعريف بالوفد، ومهمته هنا الوصية بتعليم أولادهم تعليمًا إسلاميًّا حتى لا يذوبوا في المجتمع الشيوعي الملحد، وقلت لهم: إنهم أمانة في أعناقكم سوف تسئلون عنها أمام الله تعالى يوم القيامة.

مناقشة البرنامج:

ثم كانت العودة بعد ذلك إلى دار الضيافة ومناقشة برنامج الوفد مع المسئولين في الحكومة والجمعية الإسلامية، وقد تبين لنا من المناقشة أنهم لا يريدون الإكثار من رؤية المساجد؛ لأن أكثرها يقع في حارات من المدينة مهملة.

وهذا هو ما عرفناه بعد ذلك من سبب عدم رغبتهم في أن نرى المزيد من

المساجد، إضافة إلى أن بعض تلك المساجد على حالة لا تسر إما بسبب الخراب الذي ألحقه بها الشيوعيون إبان الثورة الثقافية ولم يستطع المسلمون إصلاحه، أو لم يرد المسئولون ذلك أو لكون المسلمين على حالة من الضعف لا تمكنهم من ذلك.

وقد طلبنا إضافة زيارة بعض البلدان المهمة في هذه المقاطعة الإسلامية بغية الاطلاع والحصول على المزيد من المعلومات، فلم يوافقوا على ذلك متعللين بحالة الطرق أو بضيق الوقت.

يوم الأربعاء 17 رجب 1404هـ 18 أبريل 1984م:

صحوت مبكرًا فسمعت الأخبار من الإذاعة المصرية ثم من الإذاعة السعودية، وهي آخر أخبار يوم الثلاثاء، وذلك قبل صلاة الفجر من هذا اليوم الأربعاء.

وكانوا قد أخبرونا أن طعام الفطور سيقدم في السادسة والنصف، فلما حان الموعد المحدد نزلت من الغرفة، فلم أجد شيئًا يتحرك ولا وجدت أثرًا للاستعداد لتقديم الطعام في القاعة، ولا سمعت حركة في المطبخ، فعدت إلى غرفتي وقضيت وقتًا في الكتابة حتى صارت الساعة السابعة والنصف، فنزلت أتحرى الأمر، فوجدت العاملات قد بدأن العمل في تنظيف المكان وترتيب الأثاث.

وهن كلهن من المسلمات كما أخبرونا من قبل، إلا أنني رأيت واحدة اليوم لم أرها من قبل تعمل فيما لا تعمل فيه المسلمات وهو مسح الأبواب والنوافذ من الداخل والخارج، مع أن الجو في الخارج بارد جدًّا في هذا الصباح، وكانوا قد أشعلوا المدافئ في الليل، وهي من الأنابيب التي تجري فيها مياه حارة.

فوجدت الأخ الشيخ (عبد الله روزي داملا) نائب رئيس الجمعية الإسلامية قد حضر وقد أصبح ملازمًا لنا طول إقامتنا في إقليم سنكيانغ هذا، فسألته عن قولهم: إن الفطور سيكون في السادسة والنصف ونحن الآن في السابعة والنصف ولم يقدموه بعد؟

فأجاب: إن المراد أنه في السادسة والنصف بتوقيت بكين، وقد بقيت على ذلك ساعة كاملة! وهذا من العيب أن تكون التبعية لبكين حتى في أوقات الطعام.

وقد تكررت لنا بعد ذلك مثل هذه عندما أخبرونا بموعد قيام الطائرة، فكانوا يجعلونه بتوقيت بكين لا بتوقيت سنكيانغ، وإن كان هذا أقل أهمية من مواعيد الطعام.

وسألته عن هذه الفتاة التي تخرج في هذا الصباح البارد تنظف النوافذ والأبواب من الخارج؟ فأجاب: إنها من قومية (خان) أي إنها صينية كافرة فسألته عن مرتبها؟ فناداها وسألها باللغة الصينية التي يعرف منها قدرًا قليلًا أقل بكثير مما يعرفه من اللغة العربية التي كان الكلام معه طوال الوقت بها.

فأجابت: إنه اثنان وستون ينًّا وثلاثة عشر سنتًا!

فقال بعضهم: إنها لا بد ان تكون قد حسبت لها علاوة أو مكافأة، وإلَّا فإن راتب العامل في المعتاد هو أقل من هذا.

ويساوي مرتب العاملة هذه التي تمارس هذا العمل الشاق ثلاثين دولارًا أمريكيًّا أو مائة وخمسة ريالات سعودية، أي أنها تتقاضى في اليوم الواحد ثلاثة ريالات تأكل منها وتشرب وتدفع أجر التنقلات واللباس وغير ذلك.

وعندما وجدت أن الخادمتين المسلمتين تعملان وقد أبعدت عنهما هذه الصينية الكافرة، أخرجت من جيبي بعض النقود فأعطيتها إياهما فرفضتا قبولها.

وتكلمت مع الشيخ (عبد الله روزي دامالا) الذي كان حاضرًا فقال: إنهما تقولان: إننا نعمل لكي يكون ضيفنا مسرورًا منا لا من أجل النقود.

وعرفت بعد ذلك أن العمال والخدم في الصين لا يقبلون من الضيوف نقودًا؛ لخوفهم من العقاب الشديد إذا اكتشف أمرهم؛ لأن بعضهم كانوا رفضوا قبول النقود، ثم أخذوها بعد ذلك من يد أحد الإخوة المسلمين الذين وثقوا بهم عندما وزعنا عليهم بعض النقود على سبيل الصدقة والحلوان (البقشيش).

معرض القوميات:

يتضمن البرنامج في هذا اليوم وهو البرنامج الرسمي لوفدنا من قبل مضيفينا زيارة (معرض القوميات)، وهو معرض للقوميات التي تعيش في هذه المقاطعة (سنكيانغ) كما قالوا، والشيوعيون سواء في الصين أو في الاتحاد السوفيتي أو حتى في يوغسلافيا - يشجعون السكان على إبراز هويتهم القومية؛ لأن ذلك فيه ما يشبع نهم الإنسان لشيء غير مادي، وذلك بمثابة التعويض عن الدين بزعمهم، ولأن ذلك فيه أيضًا تفتيتًا للشعب وتقسيمًا له إلى قوميات.

والقوميات هنا في سنكيانغ أكثرها من أصول واحدة تتكلم اللغة التركية القديمة على تفاوت بينها في اللهجات والتعابير، وتدين بالدين الإسلامي الحنيف.

وبعضها يدين بالدين الإسلامي وينفرد بلغة خاصة به.

وسوف نصف ما شاهدناه في هذا المعرض، ومن ذلك بعض المعلومات العامة المختصرة عن هذه القوميات.

يقع المعرض في بناء حكومي كبير أظنه أقدم من الشيوعية هنا، ويتضمن أشياء معروضة من أجل الاطلاع عليها، وليس فيه شيء يباع.

استقبلنا مدير المعرض وعدد من الموظفين في المعرض بناء على ترتيب حكومي مسبق، فكانوا يحاولون أن يرشدوا الضيوف ويشرحوا لهم ما يخبروننا عنهم، غير أن الإخوة الذين معنا يتكفلون بالشرح والإيضاح أكثر الأحيان؛ لأن الشرح على المعروضات هو باللغتين الإيغورية التي تكتب بالحروف العربية والصينية التي يحسنها بعض المرافقين، وبعضهم هي لغته الأصلية مثل الذين قدموا معنا من بكين.

كان أول ما اطلعنا عليه من المعروضات نماذج لداخل البيت (الإويغور) الذين هم الأتراك من سكان هذه المقاطعة وأكثرية سكانها.

وقد لفت نظري في غرفة الضيوف أن فيها ما يشبه الأدراج من الجص المزخرف توضع فيها الأواني، وهي شبيهة بل مطابقة لما كان موجودًا عندنا في نجد مما نسميه (الكمار)، وربما كانت هذه كلمة تركية وهو رفوف جصية مزينة توضع في المقهاة التي هي غرفة تناول القهوة على هيئة رفوف توضع فيها أواني صنع القهوة وغير ذلك من الأواني، وغرفة في داخل المنزل صوروا فيها رجلًا كهلًا أمامه مصحف أو كتاب وابنه الصغير واقف بجانبه وامرأته تصنع الطعام.

وأهم ما يوضح ذلك ملابس القوم وطريقة جلوسهم، حيث لا تجود كراسٍ في الغرفة التي بداخل المنزل، وإنما هي مفروشة بفرش من السجاد كالتي كانت عندنا في القديم، وقد ذكروا أن الأيغور في المقاطعة هم أغلبية السكان.

قومية القازاق:

ثم ركن لقومية أخرى وهي قومية (القازاق)، وقد اختاروا أن يعرضوا لهم خيمة كبيرة مغلقة محكمة، وفي هذه الخيمة امرأة تصنع الأقط من اللبن بما هو قريب مما تفعله الأعرابيات عندنا، وذلك بغلي اللبن على النار.

وفي هذه الخيمة الواسعة خزانة من الخشب لحفظ الملابس والأغراض الأخرى، وصناديق خشبية صغيرة.

وحول الخيمة غنم وكلب غريب الشكل وصقر للصيد يشبه النسر لكبر حجمه، فهو أكبر من الصقر الذي يتخذ عندنا للصيد.

وقد أخبرونا أن القازاق يقيمون في مثل هذه الخيام في الصيف، أما في الشتاء فإنهم يرجعون إلى بيوت الطين لشدة البرد.

والتتار:

كل من قرأ أخبار التتر أو التتار فالاختلاف في اللفظ، وكلا اللفظين يستعمل في كتبنا التاريخية في النظم والنثر، فإنه لا بد من أن يتشوق إلى رؤية الخلف لأولئك القوم الذين كانوا همجًا يخربون الديار ويقتلون الناس ولا يرحمون ضعيفًا ولا كبيرًا ولا امرأة ولا طفلًا.

بل إنهم يفرطون في التخريب حتى إنهم يخربون مدينة كاملة بأسرها كخوارزم مثلًا.

ثم ناهيك بما فعلوه في بغداد وغير بغداد إلى أن استقر بهم المقام، فزايلوا حياة البداوة وشظف العيش، وهدى الله بعضهم إلى الإسلام، فأصبحوا ملوكًا من ملوك المسلمين، ورجع بعضهم إلى منطقته أو ما يقرب منها وهو من المسلمين بعد أن كانوا قد فارقوها وهم من الوثنيين، أو لنقل من الهمجيين الذين ليس لهم دين.

ولذلك عندما رأيت لافتة كتب عليها أن هذه نماذج من حياة قومية التتر في سنكيانغ، أسرعت بالاطلاع عليها.

وكان أهم ما عرضوه لهم أخفاف - جمع خف - ثقيلة جدًّا، قالوا إنهم يلبسونها هكذا من أجل وقاية الأقدام من أذى الثلوج، وكذلك حلي يدل على السذاجة وعدم الدقة في الذوق الرفيع في الصنعة وملابس، وقالوا: إن عدد التتر في سنكيانغ هو أربعة آلاف نسمة فقط.

وقومية الخوي:

وهم الصينيون القدماء في الإسلام، هكذا يمكن تعريفهم، وإن كان من المعروف أن فيهم عناصر من غير الصينيين في الأصل، بل ربما أكثريتهم أو جزء

منهم كذلك؛ لأنهم المسلمون الذين وجدوا في الصين منذ أزمان طويلة، وفيهم من أصله عربي ومن أصله فارسي أو تركي وهكذا.

وكلهم أصبحوا (خوي) ولغتهم هي الصينية لا يعرفون غيرها.

ومن الطريف في تقسيمات الصينيين للقوميات أن قومية (خان) التي هي القومية الكبرى في الصين، ويدين أفرادها بغير الإسلام من البوذية والكونفوشية وغير ذلك، وبعضهم يعيش بلا دين، وبعضهم مذبذب بين ذلك، إذا استغنى وحسنت حاله صار بلا دين، وإذا أصابته مصائب واحتاج إلى العزاء الروحي تدين بدين باطل كما أخبرنا بذلك جماعة من علية القوم من الصينيين غير المسلمين.

فإذا ما كان شخص معدودًا من قومية (خان) غير المسلمة ثم أسلم، فإنه يصبح من قومية (خوي) لا يتزوج إلَّا منهم، ولا يأكل إلا مما يأكلون من طعام المسلمين.

فكأن الدين نقله من قومية إلى أخرى.

وأذكر بهذه المناسبة أن شخصًا من أسرة كبيرة من قومية (خوي) المسلمة هذه قال إنه من الثابت، بل من القطعي عنده وعند أهل ناحيته أنه من أصل عربي؛ لأن جده الثامن كان رجلًا عالمًا قدم من بلاد العرب، وأقام في الصين في التبليغ، ثم صارت له ذرية وتلاميذ من طلبة العلم الذي يعرفون أصله وكتبوا ما يتعلق به، وقد أصبح ذرية هذا الرجل في الوقت الحاضر من قومية (خوي).

بل إن كلمة (خوي) نفسها ربما كانت ذات أصل عربي، وربما كانت مشتقة من الأخوة وأن (خُوي) هي (أَخَويٌّ) العربية بفتح الخاء وكسر الواو، ثم ياء نسبة مشددة وهي المَنسوبة إلى الإخوة.

إن اللفظ قد استرعى انتباهي، ولكنه في حد ذاته لا يكفي للحكم بعروبة الكلمة، لذلك سألت طائفة من العلماء والمشايخ في الصين كما تعنيه كلمة (خْوي) في اللغة الصينية؟ فلم يعرفوا لها معنى، بل أصبحت علمًا على هذه الجماعات المسلمة القديمة التي تتكلم الصينية وتسمى قومية (خوي).

وقومية خوي في هذه المقاطعة عددهم قليل رغم كثرتهم في الصين، بل إن له مقاطعات في الصين خاصة يحكمونها دون غيرها من كفار الصين مثل مقاطعة (نينغ شا) ومقاطعة (لينشيا)، وكلتاهما في الشمال الغربي من بلاد الصين، فهم في هذه المقاطعة لا يزيد عددهم على خمسمائة وستين ألف نسمة طبقًا لما هو مكتوب هنا.

قومية تاجك:

و(تاجك) جماعات من السكان دينهم الإسلام، ولكن لغتهم فارسية أو مأخوذة من الفارسية وليست تركية أو (إيغورية) كلغة أكثرية السكان هنا.

وربما كان السبب في ذلك أن طائفة منهم يسكنون على حدود (سيكنيانج) مع أفغانستان، ومن هنا كان تكلمهم بالفارسية.

وذكروا أن عددهم في مقاطعة سينكانغ ستة وعشرون ألفًا.

وقد عرضوا مما يخص التاجك بُسطًا من الصوف الذي ينسجونه ويستعملونه، ونوهوا هنا بأنهم ليسوا من الأثرياء بمعنى أنهم لا يملكون ثروة ذات أهمية.

والأوزبك:

والأوزبك موجودون هنا وإن لم يكونوا كثيري العدد، فهم لا يزيدون على اثني عشر ألف نسمة حسبما دونوه هنا.

وأهم ما يلفت النظر في الركن الخاص بهم أنهم عرضوا نماذج من لغتهم التي هي في الحقيقة لهجة من لهجات اللغة التركية، وهي مكتوبة بالحروف العربية مثل لغات ولهجات معظم المسلمين هنا الذين يكتبونها بالحروف العربية، وقد لاحظت عدة كلمات من لغتهم فهمت معانيها منفردة مثل كلمة (خبز)، وما يلاحظ أن معظم القوميات الصغيرة هنا موجودة بشكل أكثر في الاتحاد السوفيتي؛ لأن الصين والروس كانوا قد تعاونوا على تقطيع أوصال البلاد الإسلامية في هذه المنطقة.

فمثلًا القازاق لهم في روسيا أو لنقل على وجه الدقة: في الاتحاد السوفيتي

جمهورية غازاقستان وتاجك لهم جمهورية تاجسكتان والأوزبك كذلك لهم جمهورية في الاتحاد السوفيتي اسمها (أوزبكستان)، وهي في الحقيقة من تركستان الغربية، وإن كانت هذه الجمهوريات على حد قول الشاعر:

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخًا صولة الأسد[1]

وماذا عن الروس؟

وحتى الروس جعلوا لهم قومية هنا، ولكنهم ذكروا أنهم جماعات هاجرت إلى هذه البلاد من روسيا بعد القرن الثامن عشر على حد تعبيرهم، وإن عددهم يبلغ في سنكيانغ ألفي نسمة.

والمغول:

والمغول أيضًا: اسم مجلجل في التاريخ العربي، ولكنه كان مقرونًا بالخوف والوجل مثل اسم التتار.

والواقع أن المغول والتتار اسمان مترادفان في التاريخ العربي القديم، ولكن أهل تلك الناحية أو لنقل: الأتراك يفرقون الآن بين الاسمين، وليس العكس، وبعضهم يقول: إنهما أبناء عم، ولكنك إذا سألت أحدًا من ذوي الأصل التركي القديم الذي يرجع إلى أحد هذين الجدين عن أصله، فإنه يقول: إنه من التتار. ولا يحب أن يقول: إنه من المغول.

وبطبيعة الحال المراد بالمغول هنا الأقلية من المعاصرين الموجودين في هذا الإقليم (سيكانغ)، وإلا فإنه توجد مقاطعة للمغول في الصين إلى أقصى الشمال من الصين اسمها (منغوليا) الداخلية وهي غير منغوليا الخارجية التي

(1) وقد استقلت تلك الدولة وأصبحت دولًا حقيقية عندما انفرط عقد الاتحاد السوفيتي.

هي ذات استقلال صوري وتابعة للاتحاد السوفيتي، فهي كبلاد الأتراك (تركستان) قد اقتسمتها الصينيون والروس فيما بينهم.

وقد عرضوا لهؤلاء خيمة رمادية اللون بداخلها دورة للمياه أو مكان لقضاء الحاجة؛ وذلك لشدة البرد في بلادهم، فقد تعودوا على عدم الخروج من الخيمة لقضاء هذه الحاجة، وفيها نار تتأجج عليها ما يشبه العصيدة وخارجها مثلوا اثنين من المغول وهما يتصارعان وقد أبرز المثال أو النحات عضلاتهما والشراسة الظاهرة في أعينهما بشكل يبعث على الخوف، لا سيما إذا كان من يراها يعرف التاريخ القديم لأسلاف المغول.

وهناك خيل مسومة ولكنها ليست عظيمة الأجساد، فالمغول يعتنون بالخيول والفروسية وفي داخل خيمة أخرى نصبوها أيضًا عرضوا طيورًا جوارح للصيد من صقور وفخاخ - جمع فخ، وبندق منصوبة بجانبها، وذلك ليبرزوا محبة للمغول للصيد.

وجعلوا تمثالًا أو حيوانًا محنطًا غريبًا يستعمله المغول لما تستعمل له البقر، فيربونه ويشربون من لبنه، ويأكلون لحمه يسمى (قطاز) وهو بالجاموس أشبه منه بالبقر ولكنه غيره.

وذكروا أن عدد المغول في مقاطعة سنكيانغ مائة ألف وعشرة آلاف.

وماذا عن القرغيز؟

والقرغيز: جيل من الناس بمعنى شعب عرفناه في أفغانستان، ولم أكن أعرف أنه يوجد منه أناس في هذه المنطقة، وحدود الصين تلتقي بحدود أفغانستان، والمراد بحدود الصين هنا حدود مقاطعة سنكيانغ الإسلامية هذه.

ويتكلم القرغيز لهجة من لهجات اللغة التركية المسماة هنا بالأيغورية، ويبلغ عددهم في سنكيانج مائة وخمسة عشر ألف نسمة.

أقليات غير مسلمة:

وهناك أقلية صغيرة يقولون إنها غير مسلمة منها (شيوي)، وعددهم 27 ألف نسمة، وقد نوهوا بأنهم ذوو ثقافة عالية، ثم قالوا: إنهم بوذيون.

وأما قومية مانشو أصلهم من منشوريا وهم بوذيون أيضًا، ولا يزيدون عددهم على تسعة آلاف.

و(واغور) وعددهم أربعة آلاف نسمة وهم مشهورون بأنهم صيادون يعيشون في المناطق الشمالية الباردة، ويبيعون ما يصطادونه ويتعيشون بذلك، وديانتهم البوذية.

وفي نهاية الاطلاع على هذا المعرض المهم بالنسبة إلينا وأمثالنا من الغرباء، ودعنا مدير المعرض الأخ (عبد الكريم محمد علي يام) وكذلك الإخوة المسلمون الموظفون في المعرض.

حجر السماء:

إلا أن مدير المعرض بعد أن ودعنا عند الباب الخارجي مع بعض المرافقين عدل عن الرجوع: فقالوا إنه يقول: هل تحبون أن تروا (حَجَر السماء)؟ فقلت: أي نعم، ولم لا؟

فنحن تعجبنا أحجار الأرض العجيبة، ونحب أن نراها، فكيف بحجر السماء؟

فذهب معنا مدير المعرض إلى حديقة المتحف، وهي واسعة فيها غابات من أشجار الظل، إلا أنها كلها يابسة، بل هامدة كأنها لم تمسها حياة من قبل.

ولما أبديت عجبي من ذلك ومن كونها لم تورق مع أننا الآن في فصل الربيع في بلادنا، قالوا: لا تنسى أننا نقع في الشمال من جبال الهملايا، وإن أدنى سيبيريا منا ليس ببعيد بحيث لا يزيد على ألف وستمائة كيلومتر، ووصلنا (حجر السماء) فوجدتهم قد نصبوا له مائدة خرسانية كبيرة.

وهو نفسه حجر لا تفرق بينه وبين الحجارة المعتادة إذا رأيته على البعد، أما حين قربنا منه ولمسناه، فإننا وجدناه غير ذلك فهو يبدو في ثقله وقلة المسام فيه كالحديد المصهور، ولونه لا يبعد عن ذلك هو أدهم اللون أي إن لونه هو اللون البني الفاتح كما يقول عوام الكتاب.

حدثونا عنه أنهم وجدوه في عام 1958م في جبال (التاي)، وأنهم لا يعرفون تاريخ سقوطه على الأرض، وإنما وجدوه على حالته هذه في تلك الجبال، ثم نقلوه إلى مكانه هنا.

وقالوا: إن الخبراء أثبتوا أنه ليس من الحجارة الموجودة على الأرض، وأنه لا بد أن يكون أحد النيازك التي سقطت على الأرض من السماء، وقالوا: والدليل على ذلك أنه وهو في حجم غير كبير يزن ثلاثين طنًّا ونصفًا.

والحقيقة أنه غريب اللون والتركيب، ولكننا لم نستطع أن ننفي ما قالوه أو نثبته؛ لأنه ليست لنا خبرة بمثل هذه الأمور.

إلى الجمعية الإسلامية:

سار الموكب من معرض القوميات، ومررنا بحوانيت بعضها ظاهر عليه الضعف ورقة الحال، وبعضها كبير حافل بالبضائع، فقالوا: إن الأولى هي

حوانيت شخصية بمعنى أنها مملوكة لأفراد، أو أن الباعة فيها هم من الأفراد مع ملكية العقار نفسه للدولة، أما الكبيرة فهي للدولة كلها.

وهم في كل مناسبة يلفتون نظري إلى هذه الحوانيت الصغيرة، بل الحقيرة ويقولون بزهو واعتزاز: إنها شخصية لما يدل ذلك عليه من عودة عن الشيوعية ورجوع للملكية الفردية، ولو كان ذلك على نطاق محدود وبصفة جزئية.

ثم وصلنا إلى مبنى كبير حكومي من الأسمنت أصفر الطلاء يسمونه (مبنى شئون الأمة) وعليه لافتة كتب عليها (الجمعية الإسلامية الدينية) ولوحة أخرى (لجنة شئون القوميات).

دخلنا مقر الجمعية الإسلامية في الطابق الثاني منه، فأجلسونا في غرفة استقبال ذات مقاعد أثاثها عصري متوسط ليس للطراز الصيني فيه نصيب.

ومن الغريب أن في غرفة الاستقبال هذه سريرًا للنوم، فعجبت من ذلك، ورأيت أنه من الفضول سؤالهم عن ذلك، حتى رأيت في الطابق نفسه مكتب الشيخ (عبد الله روزي دامالا) نائب رئيس الجمعية الإسلامية وفي جانب منه سرير للنوم، فسألته عنه فيما بيني وبينه؛ لأنه يعرف العربية، فقال: هذا سرير أنام عليه هنا في مكتبي؛ لأنه لا بيت لي في هذه المدينة، فأنا من قرية تابعة لمدينة (كاشغر) وإن كنت أقيم هنا، مع أن الشيخ عبد الله من الموظفين الكبار إذ بلغ راتبه مائة وخمسين ينًّا كما أخبرنا.

فقلت في نفسي: إذًا يكون هذا السرير القطني مبيتًا لأحد الموظفين الذين ليست لهم بيوت في هذه المدينة.

المعهد الإسلامي والعارية:

بعد أن شربنا الشاي الصيني المعتاد في غرفة الجلوس قالوا لنزر (المعهد الإسلامي)، وكانوا قد نوهوا بذلك من قبل، وتبين أن (المعهد الإسلامي) ليس معهدًا معتادًا له فصول ومراحل دراسية كما هي عليه الحال في سائر المدارس والمعاهد، وإنما هو على هيئة دورة لتدريب أئمة المساجد لمدة محددة، والثاني أنهم استعاروا له مقره هذا من هيئة حكومية لا يدرون متى تطلب منهم أن يتخلوا عن المكان فيصبح المعهد بلا مأوى.

لذلك يريدون أن يبنوا له بناءً خاصًا به ضمن المركز الإسلامي الذي سيقيمونه من تبرعات المسلمين.

وجدنا الدارسين المشتركين في دورة تدريب الأئمة على مقاعد جيدة في غرفة جيدة نظيفة إلا أنها تكاد تضيق بهم.

ووجدت من ملامح وجوههم ما أنساني النظر أو التفكير بالبناء أو الأثاث، ذلك هو الخشوع والسكينة الإيمانية البادية على وجوه هؤلاء الإخوة من أئمة المساجد والمرشحين للإمامة، فعلى وجوههم إشراق وفي حركاتهم طمأنينة ظاهرة، وهم نظيفو الأبدان والثياب بقدر ملفت للنظر.

وأغلبهم من كبار السن ذوي اللحى الكبيرة وعلى رءوسهم العمائم وجميع الدروس مكتوبة بالحروف العربية سواء منها ما كان بالعربية أو باللغة الوطنية.

تكلم الشيخ محمد قاسم نائب رئيس الجمعية الإسلامية في سنكيانغ، فرحب بالوفد ترحيبًا حارًا، ثم تحدث عن الأوضاع الدينية هنا، فقال: إن الإسلام بخير وهم متمسكون بدينهم وكان العلم مزدهرًا هنا إلا أن ذلك توقف لسنوات طويلة، بل إن الدين تغير في نفوس بعض الناس بسبب الجهل بالدين، ولذلك أقمنا هذه

الدورة لتدريب الأئمة لتبصيرهم في أمور الدين، ومدة هذه الدورة ستة شهور، وجميع نفقاتها هي تبرعات من عامة المسلمين، ولذلك نحن لا نستغني عن مساعدتكم على هذا العمل الإسلامي المهم، وخاصة أننا ننوي بناء المعهد الإسلامي الذي سيلتحق به طلاب العلم ويدرسون دراسة منتظمة.

وقال: إن عدد الدارسين في هذه الدورة هو ستون طالبًا.

وقد عقبت على كلمته بكلمة شكرته فيها على الترحيب، وأثنيت على خطوتهم في إقامة هذه الدورة التدريبية التي نتمنى أن تتحول بعد ذلك إلى معهد إسلامي، وخطبت في الدارسين من أئمة المساجد مذكرًا إياهم بأن عليهم واجبًا عظيمًا في تبصير إخوانهم المسلمين في أمور دينهم؛ لأنهم يعتبرون الصفوة الذين يعرفون من أمور الدين أكثر من غيرهم، وأن واجبهم ليكون مضاعفًا في هذه البلاد وأمثالها التي ليس فيها حكومة إسلامية، فإمام المسجد منهم هو الإمام وهو المفتي وهو المرشد وهو المسئول عن تعليم الصغار وإرشاد الكبار سواء بنفسه أو بحث القادرين على التعليم غيره، ولذلك فإن من المحتم عليهم أن يبذلوا جهودهم في تحصيل العلوم الإسلامية حتى يبلغوها غيرهم.

ثم قلت: إننا في رابطة العالم الإسلامي سوف نساعدكم بما نستطيع سواء في ترميم المساجد أو في إقامة المعهد الإسلامي.

وقد سر الإخوة الدارسون وهم في فصلين.

وكان الكلام يدور وهم يملأون أكواب الشاي الصيني المعتاد، وقد وضعوا عليه من ذلك الحب الذي يشبه السمسم، ويضعون غطاء الكوب عليه مما لا إلى جانب واحد حتى يرشح ذلك الحب، فلا يتجمع عند شفتي الشارب.

وقد طلب أحد الإخوة من أعضاء الوفد ماء للشرب، فجاءوا به كالعادة

حارًّا لا يمكن شربه إلا بعد أن يترك فترة من الوقت، وقالوا: هكذا ماء الشرب عندنا يكون حارًّا؛ لأن ذلك أحسن للصحة، فالبارد يحدث الإسهال.

وقبل مفارقة المكان تلا أحد الإخوة الدارسين في دورة تدريب الأئمة آيات كريمة من القرآن الكريم، كانت ختام الجلسة وهي تلاوة مرتلة جيدة، ولم يكن بعد ذلك إلا دعاء أمن عليه الجميع وبعضهم لم يتمالكوا دموعهم، ويتضمن التضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يعز الإسلام والمسلمين، وأن يوفق المسلمين قيادة وشعوبًا إلى العمل الصالح حتى يصبحوا جديرين بنصر الله الذي وعد به من ينصره.

ثم انتقلنا لتفقد مساكن الطلبة الذين يسكنون في هذه البناية في الطابق الثاني ضمن الغرف المخصصة للجمعية الإسلامية؛ لأن أكثرهم من الغرباء عن مدينة (أورومشي)، فهم من أنحاء مختلفة من مقاطعة سينكيانغ.

ثم شاهدنا المصلى في غرفة كبيرة في الطابق الثالث، حيث يصلي الجميع جماعة.

وقد أخبرونا بالتفصيل عن نفقات الدورة فقالوا: إن ذلك كله من الجمعية الإسلامية التي تحصل عليه من التبرعات إلا أن حكومة المقاطعة تساعد على كل دورة بسبعين ألف ين.

مسجد شان شي الكبير:

و(شان شي) هي مقاطعة في الصين اضطهد أهلها المسلمون في القديم، فهاجروا منها وجاءوا إلى هذه المقاطعة المسلمة سنكيانغ أو (تركستان الشرقية)، وسموا مسجدهم هذا على اسم منطقتهم (شان شي)، ولذلك قال المرافقون في التعريف بالمسجد: إنه للمسلمين من قومية (خوي)، فهو إذًا ليس

للإويغوريين الذين هم من الأتراك.

ومعنى كونه لهؤلاء دون أولئك أنهم الذين قاموا عليه، وإلَّا فإن الصلاة فيه مباحة للجميع كما هو ظاهر.

انطلق الموكب إليه من مقر الجمعية الإسلامية مع شارع واسع هو أحد الشوارع الرئيسية في مدينة (أورومشي)، فلاحظت كثرة المشاة في هذا اليوم، وفيهم طائفة من المسلمات اللائي يجعلن مناديل تغطية الرأس على رقابهن كما تفعل بعض الباكستانيات، وأما الصينيات فإنهن كثرة في الشارع هذا أو أمثاله، ولكن المرء يعرفهن على البعد من شكلهن الظاهر الذي هو الوجوه المنتفخة والوجنات البارزة والعيون الصغيرة.

والمسلمات يمتزن على البعد بحسن المظهر ورشاقة الأجسام بالنسبة إلى الصينيات.

ولا يزال على جانبي هذا الشارع بعض البيوت الطينية القديمة التي أزيلت مثيلاتها منه، وأقيمت بديلة عنها أبنية حكومية متعددة الطوابق.

ثم تركنا الشارع الواسع ودخلنا في حيٍّ طيني قديم جميع بيوته من الطين، وهي صغيرة غير معنى بها وأرصفته مهملة خالية من الزفت، بل من التسوية فتجد تراب الشارع فيه أماكن منخفضة وأماكن مرتفعة بحيث يشق عليك السير فيه إلا إذا راعيت موضع قدميك بعناية.

ولذلك وجدنا إخوتنا المسلمين في انتظارنا قرب مسجد (شان شي)، وهم ينظفون الزقاق الذي يفضي إلى المسجد، ويكنسون ما قرب منه من المسجد.

وقد وضعوا لافتة ترحيب بالعربية على مدخل المسجد.

وقف الموكب وسط حشد من الإخوة المسلمين شاركهم فيه على غير دعوة جماعة من سكان هذه البيوت الطينية المجاورة التي ذكرتني ببيوت الطين الرديئة التي كانت موجودة في مدن نجد قبل نصف قرن، وأكثر سكان البيوت هؤلاء يظهر من لباس نسائهم وهيئة رجالهم أنهم من المسلمين.

وهذا أمر معروف السبب إذ اعتاد الإخوة المسلمون في الصين أن يسكنوا فيما قرب من المسجد في أحياءَ تكاد تكون إسلامية خالصة في المدن الصينية ذات الأغلبية الكافرة، إلا أنهم هنا ليسوا بحاجة لذلك، وبخاصة في وسط المدينة؛ لأن أكثرية سكان هذه المنطقة منها من المسلمين (الإيغوريين).

وفي ساحة المسجد الواسعة استقبلنا عدد من الإخوة المسلمين كان أكثر من استرعى انتباهي منهم الأخ الشيخ (محمد صالح ماكوي ين) إمام المسجد، وعندما رأيته تذكرت الصور التي كنت قد رأيتها لعلماء الصينيين القدماء وحكمائهم، فهو نحيف الجسم طويل ذو لحية بيضاء طويلة مستدقة بمعنى أنها ذات شعر قليل، ولكنه طويل، ولم أعجب من ذلك؛ لأنني كنت قد عرفت أنه صيني وليس من الإيغوريين الأتراك.

وقد لفت نظري قوة صوته التي تبين أنه ليس فيه حاسة قوية على حالها غيرها، فهو يبلغ التسعين من العمر وقد ثقل سمعه، وضعف جسمه وإن كان لا يزال يعمل ويتنقل.

خرائب المسجد:

كنا نقف في ساحة المسجد، ونحن في الحقيقة نقف بين خرائب المسجد، فقد احتله الشيوعيون إبان عصابة الأربعة وعملوا فيه تخريبًا، ولا أدري سبب ذلك، إلا أن يكون الحقد على المسلمين أو إنه ليس كذلك وإنما هو الحقد

على الدين أي دين إذْ إنه من الإنصاف أن نقول: إن الجميع أخبرونا أن الثورة الثقافية إبان طغيان عصابة الأربعة لم تقتصر في إيذائها وتخريبها على دين دون دين، أو تراث قديم دون تراث قديم آخر، بل شملت بالتخريب وبالتهديم كل أولئك؛ لأن القائمين على الثورة على زعمهم يريدون أن يقيموا الثورة الشيوعية الثقافية على فراغ من التراث القديم.

فالمسجد الذي نشاهد في الحقيقة مركز، وليس مسجدًا منفردًا وهذه عادة قديمة للمسلمين من أهل الصين أن يجعلوا المسجد في باحة واسعة من الأرض يقيمون عليها منازل للعاملين في المسجد من إمام ومؤذن وخادم، ويجعلون فيه غرفًا تكون كالفصول الدراسية، أو مأوى لطلبة العلم أو الغرباء، إضافة إلى فناء خارجي لا بأس بسعته.

وهذا ما أغرى الشيوعيين المتعصبين في عهد الثورة الثقافية بالاستيلاء على المساجد القديمة الكبيرة؛ لأنها توفر لهم ولأتباعهم مساكن وأماكن لا يستطيعون الحصول عليها بسهولة، وإن كان القصد الأول هو التخريب وليس الحاجة المجردة للمنازل.

فالمسجد رأيناه أنقاضًا أكثرها لم يرفع، ورأينا عمالًا يعملون في إزالة بعض الأنقاض من سقفه، ويظهر أن برنامج زيارة الوفد فاجأ المسئولين عن المسجد أو المسئولين في الإدارة الحكومية، فأرادوا إزالة بعض الأنقاض من اللبن وغيره عن السقف، أو ربما كانوا بذلك أن يظهروا سقف المسجد أو على الأصح ما بقي منه قائمًا للزائرين.

وتنتشر مرافق المسجد وملحقاته دائرة به، وأكثرها خراب أيضًا إلَّا القليل، ومن ذلك غرفة للجلوس طلبوا منا أن نذهب إليها للاستراحة والحديث، وعندما دخلناها دهشنا لما رأينا.

فقد رأينا كرم المسلمين مجسمًا على مائدة طويلة حافلة أشبه ما تكون بموائد الكرماء الأغنياء من العرب، وعليها كل ما لا يخطر ببالك من الأطعمة اليابسة العاجلة كأنواع الكعك والبسكويت الذي يصنع في هذه البلاد والمكسرات أنواع متنوعة والفاكهة المجففة أنواع أهمها الزبيب الذي تنتجه جنوب البلاد بكثرة والخوخ والمشمش المجفف، وأما الفاكهة الطازجة فالتفاح بنوعيه الأحمر والأبيض وينتج في المقاطعة كلها بوفرة وبسهولة، والكمثرة الجيدة ونوع جيد لم نأكله على مائدة قبل هذه المائدة وهو نوع من البطيخ (الشمام) ونسميه في بلادنا الخربز أو الجرو، وهو جيد جدًّا لفت نظري، فلم أستطع مغالبة الفضول في السؤال عنه كيف يبقى هكذا مع أن الوقت الآن ربيع عندهم أشبه بالشتاء عندنا الذي لا ينمو فيه مثل هذا البطيخ أصلًا؟ ولا يمكن حفظه سالمًا هكذا في الثلاجات الكبيرة التي لا تكاد توجد عندهم؟

فقالوا: إنه من موسم العام الماضي قبل فصل الشتاء، وأن لهم طريقة في حفظه طبيعية توارثوها عن أسلافهم منذ القرون فهم يضعونه في مكان تحت الأرض أشبه بالغرف، ويضعون فوقه الثلج الطبيعي، ولكنه لا يمسه وإنما يكون فوقه بعيدًا عنه قليلًا لئلا يفسده، ثم يأكلون منه طوال الشتاء، بل يأكلون منه حتى يأتي الموسم الآخر.

كانت المائدة حافلة كما قلت بالأطعمة الخفيفة، وهي حافلة أيضًا بكبار القوم من المسلمين، ومنهم واحد كانوا يعظمونه، وكان يتصدر للكلام وهو لذلك أهل وهو الأخ (داود فاضل) نائب رئيس الجمعية الإسلامية المحلية لمدينة (أورومشي).

فتحدث هو والجميع يوافقون أو يضيفون وأحيانًا يزيد الشيخ (محمد صالح) بسنيه التسعين الحافلة بالخبرة والمعلومات، أو ينقض.

قالوا: إن هذا المسجد قديم يرتفع تاريخ تأسيسه إلى ما بين خمسمائة وستمائة سنة، ولقد أعيدت عمارته عدة مرات في تلك القرون وكانت آخرها التي هو عليها قبل التخريب منذ مائة سنة.

وفي طغيان عصابة الأربعة خربوه التخريب الذي تشاهدونه والذي يحتاج إصلاحه بل إعادة بناء الكثير من مرافقه إلى مال كثير وجهد كبير.

ولقد رأيتهم يبذلون جهدهم إذ العمال موجودون مع أنه يجوز أن يكونوا أحضروهم لمناسبة زيارة الوفد، ولكن الذي لا يكون كذلك كونهم أحضروا أخشابًا ضخمة غليظة مستقيمة كأنها العمد العظيمة وهي مطروحة على الأرض بأعداد كبيرة جاءوا بها للمسجد، لكي يقيموها مقام ما خربه الشيوعيون من أعمدة المسجد وأخشابه القوية، وذلك حتى يعيدوه على هيئته التاريخية القديمة.

ورأيناهم أحضروا مقادير كبيرة من الحجارة، لتبنى بها أساسات الملحقات المخربة للمسجد، وكذلك أكوام من لبن الآجر.

وودعناهم متأثرين من ترحيبهم بنا، ومن حماستهم لعمارة المسجد، وإن كنا نعرف أن ذلك يحتاج إلى عمل كبير عازمين على أن نقدم لهم مساعدة رمزية حاضرة، وإن نعد لهم مساعدة لبناء المسجد مجزية ولكنها مؤجلة.

الزقاق الواسع والزقاق الضيق:

كانوا قد قالوا: إن الفقرة التالية هي زيارة مسجد (ان تشيانغ) ومعناه الزقاق الواسع، ولقد كان لمعنى هذه الكلمة وقع في نفسي خاص بسبب ما رأيته اليوم من الأزقة غير الواسعة.

غير أنهم لأمر ما عدلوا بنا عن زيارة المسجد وقالوا: إننا سنزور إمامه أي إمام مسجد (خان تشيانغ) في بيته.

فسار الموكب قليلًا في زقاق غير واسع لا يتسع لأكثر من سيارة واحدة، ثم وقف ونزلنا وقالوا: لا بد من السير قليلًا على الأقدام؛ لأن السيارات لا تستطيع أن تصل إلى بيت الإمام.

عندما وقف الموكب كان هناك طائفة من المسلمين، وبجانبهم بعض المسلمات اللائي حملن أولادهن على أيديهن، وكنت أظن ذلك مصادفة غير أن الإخوة من أهل البلاد قال: إن بعض النسوة يأتين بأولادهن إلى حيث طلبة العلم أو أهل الدين رجاء أن تصلهم بركتهم.

ولا أدري صحة ذلك غير أنني أستغفر الله وأتوب إليه من أن أدعي بركة تصل مني إلى أحد، وأنا الخطَّاء المثقل بالذنوب الذي يحتاج إلى عفو ربه، وكان بين الواقفين إمام المسجد الشيخ (محمد نور الدين جن روكوي)، فاستقبلنا بتأثر بالغ وصافحنا ويده تكاد ترتعش، وكذلك كان التأثر باديًا على عموم الإخوة المسلمين الذين كانوا في الاستقبال.

ثم تقدمنا الإمام إلى بيته مع أزقة ضيقة جدًّا، وكان لا يزال في ذهني اسم (الزقاق الواسع) الذي ذكروا أنه اسم للمسجد الذي يؤم الناس فيه هذا الشيخ الجليل وفي هذه اللحظة كنا نقارب الوصول إلى بيت الإمام الذي يقع في زقاق ضيق جدًّا، بحيث لا يكاد يتسع لشخصين ماشيين، ولقد عجبت لذلك وكيف بنوا بيوتهم هكذا في زمن كان حمل الأثقال فيه على الدواب، وهذا الزقاق لا يتسع لمرور دابة واحدة عليها حملها.

وليس ذلك خاصًّا بالزقاق أو الأزقة في هذا الحي، بل إن كل ما فيه قريب من ذلك مثل البيوت التي هي بيوت طينية غير جيدة، وكلها من طابق واحد، ومبنية من الطين على طراز قديم لا يوجد عندنا إلا في القرى وفي أحياء الفقراء من المدن في الزمن القديم.

ودخلنا في بيت الإمام الذي لا يتنافر وضعه مع وضع الزقاق الضيق جدًّا الذي يقع فيه ولا مع الحي الذي يقع فيه هذا الزقاق، فهو من الطين كسائر بيوت الحي، وهو ضيق وصغير ولكن صدر مضيفنا الإمام الشيخ محمد نور الدين كان أوسع من القصور التي رأيناها وبخاصة قصر الضيافة الحكومية في أورومشي، فقد غمرنا بفضله من الترحيب الحار إلى الضيافة السخية.

الضيافة التركستانية:

هؤلاء الإخوة الذين نسميهم في بلادنا بالبخاريين، وقد وفدوا إلينا مهاجرين معدمين عرفنا فيهم العزوف عن السؤال والاستجداء مهما بلغت بهم الحاجة، وإنما كانوا يعملون أعمالًا توفر لهم لقمة العيش حتى ولو كانت صغيرة مثل شحذ السكاكين والأمواس أو إصلاح الأحذية أو نحو ذلك.

ولكننا لم نعرف أحوالهم في بلادهم، ولا الطبائع الأصيلة فيهم حتى فوجئت بضيافتهم السخية التي تفوق الموائد في الضيافة العربية، بالنسبة إلى كثرة ما يقدمونه من طعام وما يسبق المائدة أو يلحقها من مآكل وفواكه.

وهذا كله يتضاعف العجب منه إذا تذكرنا أنهم يعيشون تحت نظام شيوعي يفقر الأغنياء، ولا يسمح للفقراء بالغنى.

لقد ذكرت هذا الأمر عندما رأيت مقدمات مأدبة الغداء التي سيقيمها الشيخ محمد نور الدين للوفد، إذْ دخلنا إلى بيته الضيق الذي شغله كله بموائد منصوبة قد وضع عليها مقدمات المأدبة التي اعتادوا هنا تقديمها على الطعام، وكنا عندما دخلنا البيت الضيق رأيت بقايا ذبيحة، فهمس المترجم المرافق الأخ لقمان في أذني بقوله: إن الشيخ ذبح خروفًا، وذبح الخروف هنا يساوي ذبح بعير في بلادنا، وإذا كان الذي ذبح في مثل رقة الحال التي عليها الشيخ محمد نور

الدين وأمثاله كان العجب من ذلك مضاعفًا.

غير أنني رأيت المائدة عليها الكعك الذي يصنعه المسلمون في هذه البلاد والفواكه المجففة من التين والزبيب والخوخ وأنواع أخرى لا نعرفها مع الفواكه الأخرى الطازجة كالتفاح والكمثرى، وشيء رأيته عند المسلمين خاصة وهو سكر النبات، والشاي الذي وضع فيه الحب الذي يشبه السمسم ويقولون: إنه مفيد جدًّا للصحة، وكذلك أنواع من الحلوى المحلية، وحتى الأشربة فإنها أنواع متعددة، وعندما رأيت الموائد حافلة بهذا الشكل ظننت أن هذا هو الغداء إلا أنني لم أر عليها لحمًا أو ما وضع فيه اللحم.

ولذلك عندما أمعن الإخوة في الأكل من هذه المقدمات أشار إليهم أحد المرافقين أن تمهلوا؛ لأن المأدبة لم تبدأ بعد.

هذا والإمام جزاه الله خيرًا يكرر الترحيب، ويظهر البشر والحبور بإخوته القادمين من المملكة العربية السعودية.

وكان مما يلفت النظر عند الجلوس على المائدة أن بيت الإمام كله بما فيه غرفة الجلوس وغرفة النوم، ولم أر فيه غيرهما إلا ممرًّا ضيقًا لا يصل مجموع مساحته الستة أمتار مربعة، وقد امتلأ بالموائد حتى إنه وضع المائدة الرئيسية فوق سرير النوم، وخصصوها لي ولبعض أعضاء الوفد واثنين من كبار القوم من أهل البلاد.

ويظهر أن السرير خال من الشريط الذي ينخفض إذا ضغط عليه ويرتفع إذا لم يكن على ظهره أحد وهو (الستستة)؛ لأنه كان صلبًا تحتنا.

كما لاحظت أن القوم مثلنا في المملكة أخذ بعضهم يعزم على من امتنع عن الجلوس على المائدة ليفسح المجلس عليها لمن هو أكبر منه، فكانوا يتجاذبون

بعضهم ببعض بالأيدي كل منهم يريد أن يتأخر عن الجلوس، وبالتالي يتأخر عن الغداء مؤثرًا غيره بذلك.

ومن الملاحظ أيضًا أن أكثرهم يسعلون، وذلك من أثر البرد في هذا الفصل، وفصل الشتاء الذي سبقه مثلما كان يحصل في بلادنا في القديم عندما كانت وسائل مكافحة البرد ضعيفة.

وبدءوا رفع هذه المقدمات من الأطعمة ليحلوا محلها المائدة الرئيسية، فكان الطبق الأول شربة فيها نوع محلِّي من الشعيرية وفيه قطع اللحم اللذيذ ثم تتابعت الأطباق، فكان اللحم أنواعًا منوعة ما بين مسلوق ومشوي ومقلي.

فكانت مائدة سخية هنية، وكانت الأحاديث عليها طلية.

وودعنا الإمام ذا الصدر الرحب، ونحن نعجب من مائدته الكبيرة هذه في مثل حالته المادية.

كما ودعنا أهل هذا الحي القديم المهمل ذي الأزقة الضيقة بالإعزاز والإكرام؛ لأنهم فيما يظهر من حالهم هم من أهل الإسلام حتى نساؤهم يظهر عليهن ذلك من المناديل البيض التي سترن بها رءوسهن.

وقبل الوداع سألتهم عن اسم حيهم هذا؟ فقالوا: إنه (تشن تشان) فقلت لهم: شكرًا ولو كان الاسم غير ذلك من جنس ذلك، لما ازددت له إلَّا نكرًا؛ لأن ألفاظ اللغة الصينية على عدم فهمنا لها مثل اللغات الأجنبية الأخرى، فإن كلماتها المؤلفة دائمًا من متحرك بعده ساكن هي بعدم الفهم أحرى.

معلومات عن مساجد أورومشي:

كانوا قد قالوا لنا: إن عدد المساجد في مدينة أورومشي يبلغ 156 مسجدًا.

فطلبنا من القائمين على البرنامج أن يسمحوا لنا بالتجول على المساجد؛ حتى نطلع على حالتها، ومن خلال الجولة نرى أحياء المدينة وحاراتها التي تقع فيها المساجد، ولكنهم لم يريدوا ذلك، وتعللوا بضيق الوقت وازدحام البرنامج، كما تعللوا بأن الجمهور لن يمكننا من الزيارة إذْ سيتجمهر حولنا وبخاصة في الحارات القديمة، حيث الشوارع غير واسعة، ويلزم الوفد أن يسير على الأقدام.

ولذلك أوعزت إلى اثنين من الإخوة في وفدنا أحدهما الأستاذ إبراهيم بن عبد الله الخزيم عضو الوفد والثاني الأخ رحمة الله بن عناية الله سكرتير الوفد، وهو من أصل تركستاني من أهل هذه البلاد، ويعرف لغلتهم كما يعرفها أحدهم، ولا يزال أفراد أسرته هنا ومنهم أخته في مدينة (كاشغر).

وقد تركنا الزميلان قبل الظهر، وقاما بجولة على المساجد استمرت إلى ما قبل العصر، وأعطوا المعلومات التالية التي حصلا عليها عن المساجد بطريق المشاهدة ورأي العين.

1- مسجد ننزوكو: في حي ننزوكو، وإمامه الشيخ عابد داملا ومؤذنه الشيخ تخته قنذور.

المنازل الأمامية للمسجد من أوقاف المسجد، إلا أن الحكومة قد صادرتها، ويطالب الأهالي بإعادتها للمسجد، وقد تبرع أحد رواد المسجد وهو توره يوسف بمبلغ 2500 ين لشراء غرفة مجاورة للمسجد لإيجاد مكان للوضوء، والمسجد قديم ومدخله سيئ يكاد يقع من قدمه، يحتاج إلى ترميم وإصلاح

المدخل وعمل مكان الوضوء في الغرفة التي تم شراؤها بالإضافة إلى بساط ومكبر للصوت.

2- نور لوق مسجد: في حي شينع شن أرخانغ وإمامه الشيخ عبد القادر داملا ومؤذنه الشيخ أمين إسماعيل ومن القائمين بشئون المسجد والحافظين لكتاب الله محمد تخته وعبد الحميد قاسم.

المسجد كبير وقديم وسقفه من الخشب، ويحتاج إلى سور يصل مدخل المسجد برواق المسجد، كما يحتاج إلى البساط وميكرفون ودواليب لحفظ المصاحف وإلى المصاحف والكتب الإسلامية.

3- مسجد ساي باغ: في حي ساي باغ وإمامه الشيخ حمزة عباس قاري ومؤذنه الشيخ قائد.

وهو مسجد حديث البناء وجيد التأثيث تنقصه المصاحف والكتب الإسلامية ودواليب لحفظها، بني بمساعدة المسلمين في الحي.

4- مسجد شي خابا: في حي شي خابا وإمامه الشيخ عبد الرشيد نور الدين مخدوم ومؤذنه الشيخ تخته.

والمسجد قديم وسقفه الخشبي متهالك يتطلب الإصلاح والترميم، ويحتاج إلى الفرش والمصاحف.

5- مسجد نامنغ: في حي نامنغ وإمامه الشيخ محمود ترسون ومؤذنه الشيخ ترسون قائد.

مسجد كبير يقع في وسط المدينة، ويؤمه أكثر من 2000 مصل لصلاة الجمعة كما ذكر الإمام ذلك.

والإصلاح جاري فيه حيث يعمل العمال في إصلاح أرضية المسجد وحيطانه، ويحتاج إلى سور يربط مدخل المسجد بالرواق وإلى فرش ومصاحف وكتب إسلامية.

6- **مسجد خوتي كي:** في حي خوتي كي وإمامه الشيخ عبد الحميد قاري ومؤذنه الشيخ موسى.

ويبدو أنه تعرض إلى التخريب، ويحتاج إلى ترميم السقف وإصلاح النوافذ والأبواب وإلى بساط وميكرفون ومصاحف.

7- **مسجد خوتن أو مسجد بيت الله:** في حي ليمان خان وإمامه الشيخ نظام الدين حسن ومؤذنه الشيخ أمين تخته، المسجد مبني حديثًا وهو أحدث مسجد في العاصمة وتأثيثه جيد، ويحتاج كغيره إلى المصاحف والكتب الإسلامية والفرش، وبني على حساب أهالي الحي من المسلمين، ويقال: إنه تكلف أكثر من مائتي ألف ين.

8- **مسجد شي داسي:** في حي شن شي وإمامه الشيخ ماجاوير ومؤذنه الشيخ كولي شن، وهو مسجد لقومية خوي الإسلامية.

يقال: إن المسجد صادرته الحكومة أثناء الثورة الثقافية، استخدم لمدة عشرين عامًا مصنعًا لإنتاج الكراتين، ولا تزال المباني التي أقيمت في فناء المسجد قائمة، وهي خالية تحتاج إلى إزالتها وتسوية الأرض بين مدخل المسجد ورواقه وإجراء الإصلاحات في السقف.

9- **مسجد آق:** في شارع آزاديول وإمامه الشيخ عبد الحق تيمور ومؤذنه الشيخ حسين.

الإصلاح والترميم جار حاليًا فيه، ويحتاج إلى سور يربط مدخل المسجد بالرواق كما يحتاج إلى الفرش والمصاحف.

10- مسجد تورمان: في شارع اردة جو وإمامه الشيخ عبد الله قاري ومؤذنه الشيخ عبد الجليل تخته نياز.

أعيد هذا المسجد إلى المسلمين في العام الماضي، ولا يزال الصينيون من غير المسلمين يحتلون فناء المسجد الذي أقيمت فيه المساكن، ويقول المسلمون: إنهم لا يزالون يلحون على الحكومة بإخلاء فناء المسجد من هؤلاء المستوطنين الصينيين.

المسجد قديم جدًّا وقد أسند السقف بأعمدة خشبية لوقف انهياره، ويحتاج إلى ترميم كامل.

11- مسجد بن واسي: في شارع اروه جوه وإمامه الشيخ جه سي وين، ومؤذنه الشيخ موينغ شا، وهو مسجد لقومية خوي الإسلامية.

والمسجد قديم يحتاج إلى ترميم سقفه وحياطنه وتسوية فناء المسجد وتبليطه وإلى الأثاث والمصاحف.

انتهى.

جلسة المباحثات:

عقدت هذه الجلسة الموسعة بين وفد الرابطة وبين الجانب المسلم في هذه المقاطعة، وذلك في الساعة الثالثة من بعد الظهر، واستمرت ثلاث ساعات.

وقد حضرها من أهل (سنكيانغ): تركستان الشرقية:

1- الشيخ عبد الله روزي دامالا نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ.

2- الحاج محمد أمين كنجي نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ، من أنشطهم وأخلصهم.

3- دونغ جي جونغ: سكرتير الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ.

4- الأستاذ محمد سعيد مدير إدارة الشئون الدينية لمقاطعة سنكيانغ.

5- محمد شريف داملا رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة أورومشي.

6- الشيخ داود فاضل نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة أورومشي.

وبحضور المرافقين للوفد من الجمعية الإسلامية الصينية المركزية في بكين وهم:

1- الشيخ صالح آن شي وي نائب رئيس الجمعية الإسلامية.

2- الأستاذ لقمان ما شان لي.

3- الأستاذ مالك أمين.

وتم مناقشة المواضيع الآتية في بحث مستفيض:

أولًا: المعهد الإسلامي:

قال الجانب الصيني: ستقيم الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ مبنى للمعهد الإسلامي على الأرض التي اشترتها بمبلغ سبعين ألف ينًّا ومساحتها هكتاران، وسيضم هذا البناء مسجدًا يتسع لأربعمائة مصلٍّ مع أماكن للوضوء وبناؤه أربعة أدوار يكون دوران منها سكنًا لطلاب المعهد والدور الثالث قاعات

دراسية والدور الرابع قاعة اجتماعات، كما يضم المبنى المقترح مكتبة مع سكن منفصل لأسر عشرين شخصًا من العاملين في المعهد الذي خطط له بأن يتسع لمائة وستين طالبًا.

وقد سبق أن تلقت هذه الجمعية الإسلامية الصينية المركزية في بكين مبلغ 250 ألف ين نصيبها من تبرع الرابطة الذي حمله وفدها الأول لها، بمبلغ نصف مليون دولار أمريكي، عام 1981م، وبذلك تواجد في صندوق الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ مبلغ ثلاثمائة ألف ين لبناء هذا المعهد الذي يكلف مليونًا وتسعمائة ألف ين، أي ما يعادل 950 ألف دولار، وعلى هذا ستحتاج الجمعية إلى مليون وستمائة ألف ين.

اشتروا الأرض من الحكومة بـ 70 ألف ين، وهي هكتاران، وعوضوا الفلاحين الذين يفلحونها.

وعدتهم الرابطة لإرسال المدرسين لتعليم الدروس العربية في سنكيانغ (تركستان الشرقية)، وسيبدءون العمل في المشروع في أول مايو القادم بـ300 ألف التي عندهم.

بيد أن الجمعية تفكر في إقامة مقر لها أيضًا ضمن هذا المعهد، كما اقترحت الحكومة المحلية للمقاطعة ذلك.

أفاد وفد الرابطة بلسان رئيسه بأن الرابطة ستساعد بقدر الإمكان في إقامة هذا المعهد إذا بدأت الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ بالتنفيذ.

ثانيًا: دورة تدريب للأئمة والخطباء، تنفق عليها الرابطة.

وقال المسئولون: بأن إقامة دورة تدريبية للأئمة والخطباء تحتاج إلى مكان لسكن الطلاب والمدرسين وإلى قاعات دراسية وعلى هذا تفضل الجمعية بأن

يتم هذا الأمر بعد الانتهاء من بناء المعهد الإسلامي، وأن تتكرم الرابطة بإرسال الكتب اللازمة للدورة في الوقت الحاضر.

ثالثًا: عرض وفد الرابطة أرسال المدرسين لتعليم اللغة العربية وعلوم الدين من قبل رابطة العالم الإسلامي، فأجابه المسئولون بأن الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ (تركستان الشرقية) تفضل أن يتم هذا الأمر بعد الانتهاء من إنشاء المعهد أيضًا حتى توجد الفصول الدراسية، ويتواجد الطلاب في المعهد نفسه، وكذلك يمكن إيجاد مساكن للمدرسين فيه، وستشعر الجمعية رابطة العالم الإسلامي بمتطلباتها من المدرسين والكتب الدراسية والدينية في الوقت المناسب.

رابعًا: القرآن الكريم وترجمة معانيه باللغة الأيغورية (التركستانية): قال الجانب الصيني: يوجد في سنكيانغ (تركستان الشرقية) ما يقرب من ثمانية ملايين مسلم، وعلى هذا تفكر الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ (تركستان الشرقية) طبع خمسمائة ألف نسخة من الترجمة الإيغورية لمعاني القرآن الكريم التي قام بوضعها الشيخ محمد بن صالح رئيس قسم الدراسة الدينية في جامعة سنكيانغ، كما أن المسلمين في حاجة ماسة إلى المصاحف، ويمكن للرابطة أن تساهم في هذا المشروع بتأمين مطبعة للجمعية الإسلامية في سنكيانغ تقوم بطبع المصاحف والكتب الدينية، كما يمكنها أن تساهم ماديًا في طبع الترجمة المذكورة، أما إرسال المصاحف وغيرها من الكتب الإسلامية، فيمكن ذلك عن طريق الجمعية الصينية المركزية في بكين.

خامسًا: ترميم وإصلاح المساجد: عرض وفد الرابطة الإسهام في ترميم المساجد التي خربت زمن الثورة الثقافية (التعيسة)، وطلب معرفة رأي المسئولين في الجمعية الإسلامية في هذا الأمر.

فأجابوا: ستقدم الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ بيانًا بالمساجد إلى تحتاج إلى الإصلاح والترميم في سنكيانغ إلى الرابطة عن طريق الجمعية الإسلامية الصينية المركزية في بكين.

سادسًا: الحج والحجاج:

قال وفد الرابطة: الحجاج الذين تبعثهم الجمعية الإسلامية الصينية ضمن بعثة الحج الرسمية والحجاج الذين يدعوهم أقاربهم لأداء فريضة الحج من المملكة العربية السعودية عن طريق الرابطة أو من ذويهم في باكستان وتركيا لا يلاقون صعوبات؛ لأن وفد الجمعية الإسلامية تستضيفه الرابطة وسائر الناس أقاربهم يتكفلون بمصاريفهم واحتياجاتهم، كما أن الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ يمكن أن ترسل بيانًا بالأشخاص الذين يرغبون في أداء فريضة الحج إلى الرابطة عن طريق الجمعية الإسلامية الصينية المركزية في بكين قبل الحج بمدة كافية؛ لكي تتوسط الرابطة لدى حكومة المملكة العربية السعودية في منحهم تأشيرات الحج كما هو المتبع.

وبما أن المسلمين يلاقون صعوبات في تبديل العملات المحلية بالدولارات، يمكن معالجة هذا الأمر جزئيًّا بالطيران مباشرة من أورومشي إلى إحدى الدول العربية والإسلامية القريبة من المملكة العربية السعودية مثل بغداد في العراق أو الشارقة في الإمارات العربية أو إسلام آباد في باكستان، ومنها ينقلون إلى مكة المكرمة بأحد خطوط الطيران الأخرى.

ولأن سفر الحجاج من تركستان الشرقية إلى بكين، ثم الذهاب إلى مدن عبر كراتشي أو إسلام أباد يكلفهم مبالغ كثيرة وإلى عملات أجنبية، وهذا أمر صيني داخلي لا تتدخل رابطة العالم الإسلامي فيه، ويمكن الجمعية أن تبحثه مع المسئولين في الحكومة الصينية، كما أن الرابطة مستعدة لدراسة ما لدى

الجمعية من آراء وأفكار حول هذا الموضوع، لأن رابطة العالم الإسلامي لو فتحت الباب لجميع المسلمين الذين يحتاجون إلى العملة، لكان ذلك واسعًا يصعب القيام به، مع أن الحج لمن استطاع إليه سبيلًا.

فذكروا أن الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ ستدرس هذا الموضوع مع المسئولين في الصين ثم تفيد بمرئياتها حول ذلك.

وقال محمد كنجي: حبذا لو تمت توعية الناس بأن الحج مع الاستطاعة؛ لأن بعض الناس يبيعون بيوتهم التي لا يملكون غيرها وأرضهم الزراعية التي يعيشون عليها ليحجوا، فقلنا: يجب أن يفهموا أن الحج لمن استطاع إليه سبيلًا، وأنه يجب أن تكون نفقة الحج متوفرة عند الشخص بعد تأمين نفقة معيشته ومعيشة أسرته التي يعولها، ومن ذلك إيجار المسكن لهم.

وبهذا انتهى هذا الاجتماع الذي كان الكلام فيه بحضور أناء من الرسميين المسئولين الحكوميين، فكانت النتيجة على قدر ذلك، إلا أن الإخوة المسلمين هنا صادقون في طلب الدعم والمساندة للمشروعات الإسلامية، وهم بحاجة إلى المعاضدة وقد وعدناهم خيرًا.

مأدبة رئيس المجلس الاستشاري:

أقام رئيس المجلس الشعبي الاستشاري في مقاطعة سينكيانغ إسماعيل ياسينوف مأدبة عشاء للوفد.

والمجلس الاستشاري في المقاطعة هو كاسمه استشاري يعمل على استعراض الآراء والأفكار التي يطرحها أعضاؤه، ثم يقدم ذلك مصحوبًا بما يراه إلى المؤتمر الشعبي الوطني العام.

وإسماعيل ياسينوف شخصية مهمة هنا، فقد سبق أن شغل منصب نائب رئيس الحكومة في هذه المقاطعة، كما كان رئيس بعثة الحج الصينية في عام 1401هـ، لذلك صار بعضهم يقرن اسمه بلقب الحاج.

كان موعد المأدبة هو الساعة السادسة كما هي العادة المتبعة عندهم، مع أن الشمس لم تكن غربت بعد، بل إنه يكون قد بقي على غروبها حوالي الساعة، وكنا ننتهي من العشاء قبل أن تغرب الشمس وقد حضر الأخ إسماعيل ومعه جماعة من علية القوم من المسلمين، ومنهم موظفون كبار قبل أن يحين الموعد بقليل، وكان حضر معهم أيضًا طائفة من الإخوة، فانتهزت هذه الفرصة فتكلمت فيهم بكلمة مبسوطة استثرت فيهم نخوتهم نحو مستقبل دينهم وقلت لهم: إن كثيرًا من إخوانكم المسلمين في البلاد الإسلامية الذين يعرفون تاريخ أجدادكم العظام في نصر الإسلام يتساءلون عما فعلتم أنتم في هذه الأيام، وهل أنتم ستكونون خلف خير لسلف خير.

وقلت: إن الإسلام يتقدم الآن ولله الحمد حتى في بلاد ليس لها ماضٍ إسلامي عريق كأستراليا ونيوزلندا وجزر فيجي مثلًا، فهل يعقل ألا يكون الأمر كذلك في بلاد عريقة في الإسلام كأهل سينكيانغ؟ وقلت لهم: إن كتبنا العربية التاريخية مليئة بسير العلماء الأعلام والمجاهدين العظام من أهل بلادكم، وإننا لنرجو أن تحفل كتبنا العربية المتأخرة بسير مثل سيرهم.

وقد قلت فأبديت القول وأعدته: إن أولادكم أمانة في أعناقكم، فماذا أنتم فاعلون في هذه الأمانة؟

هذا وقد حضر المأدبة، واستمع إلى هذا الحديث من أعيان البلاد، وموظفي الحكومة جاء لمقابلة رئيس وفد الرابطة وأعضائه كل من:

- الحاج عبد الرحيم لطيف نائب رئيس المجلس الوطني الشعبي لمقاطعة سنكيانغ.

- محمد أمين تخي رئيس دائرة الثقافة القومية لمقاطعة سنكيانغ.

- خوجه أحمد عبد الله موفد رئيس لجنة شئون القوميات لمقاطعة سنكيانغ.

- الحاج يعقوب داملا نائب رئيس المجلس الاستشاري ورئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ.

وبعد السلام وتبادل الكلمات الترحيبية بين رئيس وفد الرابطة والحاج إسماعيل ياسين، قام الجميع إلى مأدبة العشاء التي أقامها الحاج إسماعيل ياسين رئيس المجلس الاستشاري لمقاطعة سنكيانغ تكريمًا لوفد الرابطة.

وقد ألقى الداعي الحاج إسماعيل ياسين كلمة ترحيب مكتوبة:

...

كانت المأدبة تركستانية - إن صح التعبير - أصيلة فهي سخية ووفيرة، وشملت عدة موائد كانت منصوبة تَحلَّق حولها المدعوون، وقد تبين لي ما عرفته قبل ذلك بأن سخاء هؤلاء القوم من الترك المسلمين لم ينوه به الناس كما فعلوا بسخاء أقوام آخرين مع جدارته بذلك.

وكانت كلمة الداعي الترحيبية، وكلمتي الجوابية بعد أن اكتمل وضع الأطباق الأولى التي تكون على المائدة بمثابة المقدمات للطعام، وقبل ابتداء الأكل هذه عادتهم في مآدبهم بالصين أن يتبادلوا الكلمات ضيوفًا ومضيفين قبل الأكل.

وفي بعض الموائد كانوا يبدءون بأكل مقدمات المائدة وأغلبها يكون من المكسرات والمقبلات والأطعمة القليلة الباردة، ثم يوقفون الأكل ويبدأ المضيف بالترحيب بضيفه فيرد عليه الضيف ثم يعودون إلى الأكل.

التصفيق للخروف:

ضمت المأدبة بعد المقدمات والمقبلات لحمًا من لحم الدجاج وأسماكًا مختلفة، قالوا: إنهم يصطادونه من بحيرة في منطقة منخفضة دافئة في بلادهم، وإلا فإن العادة عندهم هي البرد الشديد.

فقلت لهم: هذا هو ما أحسسناه بأنفسنا فما هو سببه مع أن ارتفاع الأرض ليس عاليًا جدًا؟ فقالوا: إنه الموقع البارد فبلادنا ذاهبة جهة الشمال، وليس بين بلادنا وبين أدنى سيبريا المشهورة ببردها إلا ألف وخمسمائة كيلو متر، فقلت: إن هذه مسافة غير طويلة، وكان المتوقع أن يكون بلادكم إذًا أبرد مما عليه؟ فأجابوا: هذا صحيح، غير أن هناك جبالًا بيننا وبين سيبيريا تحد من البرد الذي ترسله سيبيريا إلينا.

وقالوا: إن البلاد تظل خمسة أشهر من كل عام مثلجة ثلجًا مطبقًا، بحيث لا يكون هناك شيء يزرع ولا ماشية ترعى، وإنما يأكل الجميع مما كانوا قد اختزنوه في شهور الصيف والدفء.

كانوا يقولون ذلك وأطباق المائدة تتوالى من أضلاع لحم الغنم المسلوق، وقبضان من لحم مشوي تكون قطعة صغيرة ويمسك الآكل منهم بيده القضيب الحديدي الدقيق، فيأكل منه بأطراف أسنانه حتى يأتي على ما في القضيب (السيخ) من شواء.

وذلك لكونهم لا يستعملون السكين التي يقطع غيرهم بها اللحم ولا الشوكة التي يخرط بها الشواء من القضيب الحديدي إلى صحته، وإنما يستعملون الأعواد الصينية إلَّا في السوائل فإنهم يستعملون لها ملاعق صينية من الخزف قصيرة الأيدي تكاد توجد في الصين كلها على نمط واحد.

وطبق آخر هو السبانخ المعروف، ولكنه مطبوخ مع الفطر (المشروم) وهو يستعمل عندهم بكثرة، وهناك محشو بشيء رقيق كأنه رقاق الخبز لولا أنه لين ناعم.

ثم جاءوا بالحلوى في وسط الطعام وبعدها البطيخ الأخضر أي الشمام، وهو نوعان أحمر الوسط وآخر أخضر، وكله مما كانوا قد خزنوه من العام الماضي.

وفي أثناء المائدة لم أشعر إلا بالقوم يصفقون وقد اشرأبت أعناقهم، وسمروا عيونهم في الجهة التي يأتي منها الطعام وهي غير الجهة التي تقابلني، ولم يتركوني أسألهم عن الأمر، وإنما سارع الذين يعرفون العربية منهم بقولهم: خروف، خروف، انظر لقد جاءوا بخروف كامل، وكان الخروف - بالفعل - كاملًا قد شووه أو صلوه على النار، حتى رأسه موجود عليه، وقد حملوه على مائدة من موائد إحضار الطعام، وقد بلغ بهم الإعجاب به إلى درجة أن طلبوا أن نقوم بتصويره.

وعند انتهاء المأدبة ودعنا رئيس المجلس الشعبي ومرافقوه بالهدايا التي بادلناهم إياها بهدايا أخرى، وكان المطر يهطل وهو أمر حمدوه؛ لأنهم في حاجة إليه وليس المطر كثيرًا عندهم في هذه المنطقة، وبخاصة في هذا الوقت من السنة، وإنما معظم الرطوبة فيها تأتي من ذوبان الثلوج.

يوم الخميس: 18 رجب 1404هـ 19 أبريل 1984م:

أصبحنا على جو شات سألت عن درجة الحرارة هذا الصباح فأخبروني إنها درجتان فوق الصفر، ثم كان الإفطار سريعًا من أجل الخروج للمطار للسفر إلى مدينة (كاشغر) الذي كان مقررًا في البرنامج من قبل.

زيارة كاشغر:

والحقيقة أنني كنت طول الليل أحلم بهذا اليوم الذي سأسافر فيه إلى مدينة كاشغر، تلك المدينة التركستانية كما يقال في الغالب التي كان قد فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي.

ولقد قارنت ما بين حالتنا ونحن نبدو ممتنين من الحكومة الصينية على سماحها لنا بزيارة هذه المدينة الإسلامية التاريخية، ونهنئ أنفسنا لهذه الزيارة، بل نهنئها عليها وكأنما كانت فتحًا آخر لهذه المدينة.

وعندما تذكرت هذا المعنى في الليلة البارحة قبل النوم صغرت نفسي في عيني، بل صغر كل المسلمين المعاصرين في عيني إذْ كيف نهنئ أنفسنا، وكاد بعضنا يمتلئ فخرًا لا لشيء إلا لكونه سيتمكن من زيارة هذه المدينة الإسلامية، مع أن الدين الإسلامي العظيم يجعل بلاد الإسلام كلها بلادًا للمسلمين كلهم، فتكون زيارة كاشغر على هذا الاعتبار كزيارة مدينة معتادة في مصر من الأمصار الإسلامية.

ولقد كان تأثري بالغًا حينما سمعت أحد الإخوة من المسلمين الصينيين يقول لي: إنكم أول وفد إسلامي يتمكن من زيارة كاشغر، بل أول وفد أجنبي يزورها زيارة رسمية على الإطلاق، وإنكم بهذا تعتبرون من الفاتحين، وتمثلت بقول الشاعر:

لقد هزلت حتى بدت من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس

يا لله للعجب! أيكون سفرنا إلى مدينة من مدن المسلمين فتحًا؟ وإذا كان يعتبر كذلك من الناحية الافتراضية، فما وجه المقارنة بينه وبين فتح المسلمين الأوائل لها بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي؟

أبعد فتح الحروب الذي أعقبه فتح القلوب، يكون الفخر بفتح الجيوب؟

وتضاءلت نفسي، بل تضاءلت مهمتنا كلها في نظرها، وغلبني التأثر حتى حولت تفكيري وجهة أخرى!

أفطرنا هنيئًا مباركًا فيه عند هؤلاء الإخوة المسلمين، وكانت فاتحة إفطارهم العسل المصفى الذي يأمن المرء عليه من الغش.

ثم خرج الموكب مبكرًا ورأيت أكثر الناس يركضون في الشارع الطويل ما بين دار الضيافة وقلب المدينة؛ وذلك طلبًا للدفء ولقلة وسائل الركوب عندهم.

بل إن كل من رأينا في هذا الصباح الباكر كان يتحرك بسرعة، حتى الجنود الذين يرون في هذه المقاطعة بكثرة، فإنهم كانوا يهرولون في سيرهم، أو يركضون، ما عدا أشجار الطريق التي لم تتحرك بهذه السرعة إلى الاخضرار، وربما كان يعوقها البرد الشديد في هذا الصباح وأمثاله عن ذلك، وهذا لم يمنعها من محاصرة الطرق التي نسير فيها بمنظرها أي الأشجار غير السار؛ لأنه يدل على الموت بدلًا من أن يدل على الحياة.

ووصلنا داخل مدينة أورومشي فأسرعنا أيضًا نخترق شوارعها التي تقوم عليها الأبنية الحكومية ذات الطوابق المتعددة التي لا يزيد عدد طوابقها على أربعة في أكثر الأحوال، وتفصل بينها في كثير من الأحيان بيوت الطين القديمة

التي كانوا قد زينوا بعضها بزينة من الجص الأبيض لا تزال بقاياه ظاهرة عليها.

وهناك بيوت قليلة في الشوارع الجانبية استطعنا أن نراها بوضوح من الشارع العام بسبب عدم كثافة المرور في هذه الساعة المبكرة من الصباح، وهي مبنية بلبن الآجر الذي هو الطين المحروق، أو المشوي وأغلبها من طابق واحد وبعضها من طابقين، والحقيقة أن جل المدينة حسبما رأيناه منها مبني بالطين يلي ذلك في الكثرة الآجر، وأخيرًا الأسمنت المسلح الذي لا يستطيع البناء به إلا الحكومة.

ووصلنا المطار ودخلنا بناءه من الداخل أي من جهة المدينة، فرأيته جيدًا حتى إن الحائط الذي يفصل بين قاعة الدخول إلى المبنى وبين الساحة الخارجية التي تقف فيها الطائرات كله من الزجاج بارتفاع يعادل ارتفاع ثلاثة طوابق من البناء.

ووجدنا أيضًا أن عدد المسافرين فيه ليس كثيرًا، وذلك رغم كون المدينة تكاد تكون منعزلة عن باقي أنحاء الصين من ناحية المواصلات، بحيث لا يصلها إلا القطار البطيء، بل إنها تكاد تكون كذلك حتى بالنسبة إلى أنحاء هذه المقاطعة التي هي عاصمتها وهي مقاطعة سنكيانغ أو (تركستان الشرقية).

واستقبلتنا مضيفة أرضية جميلة من أهل هذه البلاد سألها أحد الرفاق عن اسمها، فأجابت: جميلة!

فقال: إنني أريد الاسم لا الوصف، فأنت جميلة من دون شك. فلم تفهم ذلك؛ لأن (جميلة) هو اسمها الحقيقي، وإن كانت لا تعرف معناه بالعربية، فقالت مندهشة: اسمي (جميلة فيض الله).

ولاحظنا أن الإعلانات في المطار جميعها مكتوبة بالصينية رغم كون الأكثرية من الناس هنا لا يفهمون الصينية، وأن لهم لغتهم (الإيغورية) الخاصة.

وكذلك كانت مكبرات الصوت مفتوحة على إذاعة بكين التي تذيع بالصينية أيضًا بصوت مرتفع مزعج.

ولم نلبث إلا قليلًا في القاعة الخارجية حتى دخلنا قاعة المسافرين، وكان التفتيش عند دخولها شديدًا، إذْ كانوا يفتشون الركاب تفتيشًا آليًّا، ثم يفتشون بعض الحقائب تفتيشًا يدويًّا، وكانت الإجراءات لهذه الرحلة التي هي داخلية أشبه ما تكون بالإجراءات للرحلة الخارجية إذْ يطلب من كل راكب أن يبرز جوازه أو بطاقته الشخصية (الهوية)، فيدقق الموظفون الذين هنا أكثرهم من العسكريين الذين يرتدون الزي العسكري يدققون النظر فيها ويوازنون بين صورة الراكب وبين صورته الحقيقية.

ولاحظت أنهم يشددون الملاحظة على مواطنيهم الصينيين أكثر من غيرهم، حتى مرافقونا الذين هم من الرسميين الصينيين الموثوق بهم كانوا يشددون في فحص أوراقهم.

وتجدر الملاحظة أن جميع الموظفين المفتشين هم من الصينيين، وليس فيهم من التركستانيين أو الأيغوريين كما يسمونهم الذين هم أهل المقاطعة أحد، وهو أمر يبدو منسجمًا مع كون الإذاعة كلها من مكبرات الصوت تذيع بالصينية، وكون اللافتات في المطار بالصينية كذلك.

المرافق العامة أيضًا:

دخلنا إلى قاعة المسافرين التي يخرجون منها إلى الطائرة وهي متوسطة السعة فيها مقاعد خشبية صقيلة، ولكنها غير مريحة.

ودخلت الحمَّام فإذا به غاية في الإهمال، بل هو مثال على ذلك، فليس فيه ماء ولا ورق للتنظيف، وبابه ليس عليه مزلاج يغلقه الداخل دونه.

وأما الحوض الخارجي الذي يخصص لغسل الأيدي في المطارات، ويكون فيه في العادة الصابون والمناشف، وأحيانًا يكون التنشيف فيه بالبخار، فإن هذا الحوض الصيني هو يتيم فهو واحد وفيه صنبور صدئ ينبعث منه ماء بارد يكاد يكسر الأصابع، وفيه مكان فارغ كان فيه صنبور آخر، ولكنه كان قد سقط، ولم يبدلوه بغيره، وليس في الحمام كله مرآة.

ونظرًا إلى أن المطار هو مطار مقاطعة كبيرة فقد تبادرت إلى ذهني مقارنته بحمامات المطارات في الولايات الأمريكية المتحدة، فكان لا وجه للمقارنة.

والذي لا أزال أعجب له هو كون الشيوعية جاءت في الأصل كما يزعم أصحابها لإسعاد عامة الشعب في النواحي المادية؛ لأنها تحارب الاتجاهات الدينية خاصة والروحانيات عامة، ومع ذلك فإن الذي رأيته في الصين أن المرافق المادية للناس سيئة جدًّا، بل هي في بعض الأحيان مضرب المثل في السوء، وبدلًا من أن تكون مصدر سعادة للشعب تكون مصدر شقاوة، وإذًا يتساءل المرء عن السعادة التي وفروها للشعب ما دام الأمر كذلك.

وكما تكرر عجبي من هذا الأمر المهم تكرر من شيء أقل أهمية، بل هو تافه بالنسبة لما قبله، وهو أن ماء الشرب عندهم يأخذونه من إناء يغلي فيه صنبور يأخذون منه الماء يتطاير منه دخانه ويشربون، ولا يوجد في المطار ماء بارد للشرب.

لا سفر اليوم:

طال مكثنا في قاعة المسافرين ومللناه، وقد لاحظ الإخوة المرافقون ذلك علينا فأحضروا إبريقًا من الشاي الصيني الساذج الذي لم يخالطه مخالط، وبقينا في القاعة حتى العاشرة والنصف وكنا حضرنا المطار في السادسة والنصف؛ لأنهم كانوا قد أخبرونا أن موعد المغادرة هو السابعة والربع، ولم تقم من المطار أثناء هذه المدة إلا طائرة صغيرة واحدة لا أدري اتجاهها ولكنها حسب ما أخبرونا في حجم طائرتنا التي كان من المقرر أن نسافر عليها.

وهنا أخبرنا أهل المطار أن السفر قد تأجل إلى الواحدة والنصف ظهرًا، وإننا لذلك سوف نبقى في المطار ونتناول الغداء فيه.

وعللوا التأخير بأن الجو في كاشغر وفي (آقسو) التي تنزل فيها الطائرة قبل كاشغر غير مناسب بسبب العواصف التي تمنع النزول.

وخرجنا مسرعين من هذه القاعة إلى قاعة كبار الزوار في الطابق الثاني من مبنى المطار، وهي قاعة جيدة، كل ما فيها مرتب وجميل وفيها حمامات جيدة كالتي تكون في المطارات المعتنى بها، وذلك أنها قد أعدت لخاصة القوم من موظفين ومسئولين كبار وضيوفهم، وليست لعامة الناس كقاعة المغادرة التي سبق ذكرها.

وقالوا: إننا سنبقى هنا بينما يعدون الغداء.

وجاءوا بالشاي الصيني وقهوة قالوا: إنها صينية أيضًا، وهي خفيفة جدًّا محلاة بقليل من السكر بخلاف الشاي الذي لا يقربه السكر مطلقًا.

وقد وفروا أسباب الراحة في هذه القاعة حتى إنهم وضعوا المطبوعات الصينية فيها، وهي التي تطبعها الدولة وتوزعها في العالم بلغات مختلفة منها العربية، التي وجدنا فيها أعدادًا من مجلة (بناء الصين) بالعربية.

ومن الطريف أن أحد الإخوة الذين معنا من أهل هذه المقاطعة عندما رأى فرحنا بالمجلة العربية جاء مسرورًا وهو يحمل مجلة مصورة بيده، ويقول: عربي، عربي. وتبين أن الفرحة في غير محلها إذْ كانت تلك المجلة بلغة (القازاق) التي لا تزال تستعمل الحروف العربية في كتابتها وعنوان المجلة الذي قرأناه عليها (خلق) وهي كلمة (خلق) بمعنى الشعب في الفارسية، ومنها تسمية جماعة (مجاهدي خلق) المعارضة للخميني في إيران بمعنى (مجاهدي الشعب) واسم الحزب اليساري في أفغانستان (حزب خلق) لهذا المعنى.

ثم تناولنا الغداء من مطعم في الطابق نفسه نظيف رأينا فيه طائفة من الطيارين وضباط الجيش يتغدون، فعرفنا أنه للخاصة أيضًا.

وكان غداؤنا على مائدتين وحدنا من أجل أن يكون الطعام كله من طعام المسلمين، وخادمة المائدة مسلمة من أهل هذه المقاطعة اسمها (رحيمة) إذا قورن مظهرها بمظهر الخادمات الصينيات الموجودات في المطعم فاقتهن في الجمال، بل لا وجه للمقارنة بينها وبينهن، وبخاصة الإشراق الموجود في وجهها وهو مفقود في وجوه الصينيات، وربما يكون سببه أن المسلمات لا يشربن الخمر، إضافة إلى نور الإيمان في وجوه المؤمنات منهن.

وفي الساعة الثانية عشرة، وبينما كنا نتغدى أعلنوا تأجيل السفر بصفة نهائية، قالوا: إن السبب في ذلك وجود عاصفة في الطريق تمنع من الطيران.

إلى قرية نان شي:

بعد أن تأجل السفر إلى موعد يحدد فيما بعد وقال الإخوة المرافقون: هيا إلى دار الضيافة، قلت لهم: إنني أرغب في جولة خارج مدينة (أورومشي)، ولا رغبة لي في العودة إلى (دار الضيافة) الآن، وكانوا يودون الراحة، ورافقتهم أكثر

أعضاء الوفد، أما أنا فقد رافقني بعضهم وذهبت بسيارتي الضيافة إلى قرية اسمها (نان شي) هي في الحقيقة ليست بعيدة عن المطار كثيرًا، ولكنني كنت أريد أن أرى طبيعة البلاد.

فانطلق طريق أسفلتي من طريق المطار وسط مزارع أكثرها قمح شتوي قد بدأت يطل من الأرض كأنما بدأ بالنشور بعد موته في الشتاء الطويل.

وبيوت الفلاحين كلها من الطين ذات سقوف ممالة إلى جهة واحدة حتى تسهل إزالة الثلج عنها في الشتاء، وإلا فإن المنطقة ليست مطيرة كما تقدم.

ومررنا بقطار واقف أخبرونا أنه قطار بكين أي الذي يسافر بين (أورومشي) وبكين، وقالوا: إنه يقطع المسافة بين المدينتين في أربع ليال وثلاثة أيام مع أن المسافة كلها (ألفان وستمائة وتسعون) كيلومترًا، ولكنه يقفُ في عدة أماكن وهو غير سريع؛ لأنه يسير بالبخار.

تقع الجهة الريفية التي خرجنا إليها في الشمال الغربي من مدينة (أورومشي)، والمنظر فيها صحراوي لعدم وجود النبات بسبب البرد والجفاف كما تقدم.

ومن المناظر ذات المعنى التي رأيتها في الطريق منظر جماعة من الرجال يستخلصون من مجرى واد جاف حصباء للبناء يفعلون ذلك بأيديهم كما يفعل الأقدمون من دون أن تكونَ هناك آلات حديثة، ورجل قوي شاب يرعى ثلاثًا من الغنم لا تزيد، وقوم مجتمعون على شجرة يقطعونها بفئوسهم.

وفي هذا الريف أيضًا أشجار من أشجار التفاح اليابسة قالوا: إنها تورق في شهر مايو ثم مررنا بمصنع جيد للآجر.

ووصلنا سوق القرية المقصودة (نان شي) والسوق مثل البيوت من الطين

وبعضها مجصص، وقد وضعوا على السقوف كميات من التبن، وهو أمر تكررت رؤيته، وذلك إما لوقايتها من الثلج أو لوقاية التبن من التعفن فلا تأكله الدواب.

وأما السوق فإنه الذي أبحث عنه؛ لأنه سوق (شخصي) كما يعبرون بمعنى أن الباعة فيه يبيعون لأنفسهم، وليسوا موظفين عند الحكومة كما هو الحال بالنسبة إلى المتاجر الكبيرة والمتوسطة.

فكان من المعروضات فيه التي كلها قليلة القيمة، نزرة المقدار: حبوب من حبوب البذر في أكياس صغيرة وخضروات أهم ما فيها البصل والكرفس.

ورأينا مطاعم عدة من مطاعم المسلمين مكتوبًا عليها ذلك، بحروف أحدها للمسلمين من قومية (خوي)، بمعنى أن أهله من أولئك القوم، وإلا فإن المسلمين من جميع القوميات يأكلون فيه، وآخر كتب عليه اسمه باللغة الإيغورية، وذكروا أنه للمسلمين من الإيغور، وهم التركستانيون من أهل هذه المقاطعة.

وكلها مطاعم شخصية؛ لأنها صغيرة وكل المطعام والبضائع الشخصية عليها رخصة حكومية بارزة تدل على أن الحكومة قد رخصت لأربابها بالبيع والشراء.

اللحم الشخصي واللحم الحكومي:

لفت المرافقون أنظارنا بقوة إلى لحم من لحم الغنم معلق، وهم يقولون: شخصي، شخصي، ولم أفهم ذلك أول الأمر، وإن كنت قد سمعت به حتى عرفت أنه لحم مملوك لأحد الأشخاص وليس للحكومة، وأنه يبيعه بالسعر الذي يريده حسب قانون العرض والطلب.

فسلمنا على البايع؛ لأنه من إخواننا المسلمين، وسألوه عن سعر الكيلو، فأجاب: أربعة ينات ونصف، ويساوي هذا حوالي سبعة ريالات سعودية إلا ربعًا.

قالوا: هذا هو سعر اللحم الشخصي الذي يستطيع أن يشتري منه المرء ما

يشاء من حيث المقدار، ويستطيع مالكه أن يبيع منه ما يشاء من حيث المقدار بما يشاء من حيث السعر إذا استطاع أن يجد مشترين.

وأما اللحم الآخر الذي هو اللحم الحكومي فإنه أرخص من ذلك بكثير، إذْ سعر الكيلو الواحد منه هو ين واحد، ولكنه يكون في العادة أقل جودة من اللحم الشخصي أو الآخر، وهو إلى ذلك محدود المقدار، إذ الحكومة قد قررت لكل شخص حصة من اللحم يشتريها إذا أراد، ولا يزيد علَيها وأظنهم قالوا: إنها كيلو ونصف في الشهر للشخص الواحد، والشراء منه بالبطاقات كما هو ظاهر.

ولاحظنا في جزء من هذا السوق أن بعض الحوانيت الصغيرة هي شخصية أيضًا أي يملكها أشخاص إلا أنهم قالوا: إن الحكومة تتقاضى منهم ضرائب مثلهم في ذلك مثل الآخرين الذين يعملون في التجارة لأنفسهم، وهي ضرائب تصاعدية تكثر إذا كثر الدخل من البيع والشراء، وتقل إذا قَلَّ.

ولكن لا شيء يعرض للبيع ولو كان زهيدًا بدون ترخيص من الحكومة، لذلك رأيت أهل البسطات، وهي البضائع القليلة التي تبسط على الأرض بمعنى تنشر عليها للعرض قد وضعوا عليها ورقة الرخصة الحكومية في أماكن بارزة.

وفارقنا هذه القرية الريفية التي لم أر فيها ما يسرني إلا الاطلاع على شيء غريب، وإلا فإن منظرها ليس بهيجًا؛ لأنها من الطين الذي لونه لون الرماد، وتوجد طائفة من غير المسلمين في سكانها ظاهر ذلك على الوجوه والملامح، وهذا ما يجلب الكدر إلى المسلم الذي يرى بلاد المسلمين تستباح بالسكنى من غير أهلها رغمًا عنهم.

كما أن القرية ليس في شارعها الرئيسي أسفلت فضلًا عن الشوارع الفرعية.

وذكروا أنها تبعد عن ضواحي مدينة (أورومشي) خمسة وعشرين كيلو مترًا.

وفي طريق العودة قابلنا بعض الفلاحين في الطريق وهم يركبون عربات تجرها البغال أو الخيول، ورأيت خرافًا من خرافهم، فإذا بها غارقة في الصوف بحيث يبدو حجمها على البعد كبيرًا وما هي كذلك، ولكن تراكم الصوف فوقها من أجل وقايتها من البرد الشديد في هذه البلاد هو الذي يجعلها تبدو كبيرة جدًّا.

فوق الجبل الأحمر:

لا أدري أكان اسمه هكذا قبل الشيوعية الحمراء (الجبل الأحمر)، أم إنه سمي بذلك بعدها، وعلى أية حال فإن هذه التسمية له صحيحة المعنى؛ لأن لونه أحمر بالفعل.

وهو تلة صخرية حمراء صغيرة لا تستحق تسمية جبل، وربما كان الخطأ من الترجمة فاسمه بالصينية (خون سان) وباللغة الوطنية وهي الإيغورية (تزلتاغ) بهذا المعنى، ويقع في أغلب القسم الحديث الفاخر من مدينة (أورومشي) والحداثة هنا نسبية، إذْ أغلب الأبنية عليه كانت موجودة قبل الشيوعية، وفيها حوانيت كبيرة كلها أصبحت حكومية، وزادته الحكومة شيئًا من الأبنية ذات الطوابق المتعددة مما تحتاجه للإدارة.

وقد وصلنا إليه عندما تركنا قرية (نان شي) بقصد التفرج برؤيته والاطلاع على هذا القسم الذي أسموه فاخرًا من المدينة من فوق قمته.

ويجف به ميدان صغير، والواقع أن المرء يرى منه أماكن وأبنية جيدة من مدينة (أورومشي) وكلها حكومي كما سبق، ومنها فندق غير فاخر، كما يرى حركة السيارات في المدينة وهي قليلة جدًّا إذا نسبت إلى سكان (أورومشي) البالغ عددهم مليونًا من النفوس تقريبًا، ومع ذلك يشعر المرء بضجة السيارات؛ لأن السائقين يستعملون أبواق السيارات بكثرة.

ولكن المنظر الذي كان أكثر إمتاعًا لي عندما صعدنا إلى قمة هذه التلة - هو منظر الجبال الدهم ذات العمائم البيض التي وضعها الشتاء القارس على رءوسها وهي تطل على مدينة (أورومشي) وتكاد تحيط بها، ولكنها لا تخنقها، بل تبتعد عنها وهي تعدها بصيف هنيء روي حين تومي لها بعمائمها هذه التي لا تلبث أن يدركها الصيف بدفئه، فتذوب وتتمزق مرسلة الخصب والنماء إلى الأرض التي تشكو جفاف الشتاء.

ولقد رأيت القوم هنا ينظرون إلينا، ونحن بالملابس العربية، ويتجمهرون حولنا بشكل فضولي مما أعاد إلى ذاكرتي منظر أهالي بلدتي بريدة عندما يتجمع الصبيان، والأحداث منهم حول الأجانب الذين كانوا يزورون البلدة على ندرة، وفي أوقات متباعدة قبل خمسين سنة.

ورأيت هنا من هذه التلة في شوارع (أرومجي) ما لم أكن أراه في بلدتنا في ذلك الحين، ولا في هذا الحين وهو منظر نساء يكنسن الشوارع وقد تلثمن اتقاء للغبار، ومعهن المكانس ذات الأيدي الطويلة حتى تبعدهن عن الغبار، وهذا أمر شائع في مدن الصين التي تعدم فيها وسائل التنظيف الآلية مثل السيارات التي تكنس الشوارع في مدينة الرياض عن طريق سحب الغبار أي: (شفطه) من الشارع ولا تحتاج إلَّا إلى عامل واحد هو سائقها، وهي تؤدي ما يؤديه أكثر من مائة كناس من هؤلاء الذين لا يعمل أكثرهم إلا في إزاحة التراب الدقيق إلى جهة جانبية من الشارع فتعيده الريح، وأقدام المشاة مرة ثانية إلى مكانه من الشارع.

إلا أنه يلاحظ هنا أن العمال الذين يكنسون الشوارع ليسوا كلهم من النساء كما في الصينية الصميمة، وإنما يوجد هنا بعض الرجال مع النساء، وهم أيضًا متلثمون أي يغطون أفواههم وأنوفهم بخرق تقيهم الغبار.

ولقد رأيت بجانب هذا الحي المعتنى به من المدينة أحياءً قديمة فيها أزقة وبيوت طينية متأخرة، فأردت أن أصورها؛ لأنها هي التي تمثل الجانب الأكبر

من مدينة (أورومشي) غير أنني تركت ذلك مجاملة لمضيفينا ومرافقينا الذين سيكون في هذا الأمر إحراج لهم، سواء أتركوني أصور أم منعوني من ذلك.

وكان الجو صاحيًا والشمس محببة للنفس غير أن الهواء إذا هب كان باردًا مما ذكرني بأيام الشتاء الشامس في القصيم.

وعدنا إلى الفندق في الثانية والنصف من بعد الظهر، فوجدنا خادمات الفندق يعملن في إعداد الغرف لنا بعد أن كن علمن أننا سنسافر اليوم، وقد منحناهن حلوانًا بطريقة سرية سلمناه لأحد الإخوة من المسلمين الذين يعرفون لغتهن الإيغورية، وإلا لكن رفضته خوفًا من الحكومة.

وهن مسلمات عرفت اسم اثنتين منهن وهما (خاصيَّة) - بتشديد الياء من الخصوص، وهذا مأخوذ من العربية، وهي متزوجة - و(كلبهار) - بمعنى زهر الربيع الفارسية -، وتعملان في تقديم الطعام، وترتيب الغرف عندما يغادر الضيوف الفندق كالمعتاد.

وتتقاضى الواحدة منهن راتبًا في حدود (55) ينًّا:

وهو ضئيل جدًّا، إلا أنه يتماشى مع مستوى الأجور في الصين كلها، ولذلك صار مما تقرر في أذهان الناس أن أغنى طوائف الشعب في الوقت الحاضر هُم الفلاحون لأنهم يعملون في أرضهم، ويستفيدون من ذلك زيادة في دخولهم، بخلاف موظفي الحكومة وعمالها الذين لا يستطيع المرء منهم أن يعمل عملاً آخر يزيد في دخله.

وقد بقيت في الفندق في هذا المساء أُسوِّد أوراقي بمثل ما تقرأه الآن، وكانت الفقرة التي وضعوها في البرنامج لهذه الأمسية بعد أن تخلفنا عن السفر هي زيارة (مستشفى لقوميات) وقد اعتذرت عن الذهاب إليه.

يوم الجمعة 19/ 7/ 1404هـ - 20 أبريل 1984م:

أصبحنا على أمل السفر إلى مدينة (كاشغر) الإسلامية العريقة، وهو السفر الذي لم نتمكن منه أمس، وأخوف ما نخاف ألا نتمكن من صلاة الجمعة في (كاشغر)، وهو أمر استعد له إخواننا المسلمون هناك، وبلغوا الإخوة، أخبروهم بوصولنا، وبأنهم ينبغي أن يخبروا كافة المسلمين بذلك، وقد أخبر الإخوة هنا أن الهواتف كانت تتعاقب من أهالي (كاشغر) عن أسباب عدم مجيئنا الذي كان قد تجمعت من أجله جماهيرة غفيرة منهم في المطار، ثم انفضت غير مقتنعة من أسباب التأخير، فبعضهم قالوا: إنه سبب سياسي، وليس بسبب الجو؛ لأن اجتماعنا بالأعداد الغفيرة من المسلمين في مطار كاشغر أمر ربما تصعب السيطرة عليه من الناحية الأمنية.

وبعضهم قال: إن الحكومة لم تكن تتوقع أن يستعد الناس له هذا الاستعداد، وإلا لما كانت سمحت بزيارة الوفد لكاشغر أصلًا، مثلما كانت تمنع الوفود من ذلك في الماضي.

إلى كاشغر:

غادرنا دار الضيافة مبكرين، وذلك عند الساعة السادسة بعد أن كنا قد صلينا الفجر في موعده في الخامسة إلا ربعًا، وأفطرنا في الخامسة والربع قبل طلوع الشمس بكثير.

وذلك على أمل أن يتحسن الجو فنسافر دون عائق.

وعندما دخلنا قاعة المسافرين الرئيسية في المطار، كان مما يلفت النظر فيها في هذا اليوم دراجة هوائية معتادة لأحد رجال الشرطة أو الحراس الذين يلبسون لباس الجنود، وإذاعة بصوت مرتفع بل مزعج من بكين وهي تذيع أناشيد

بالصينة في هذا الصباح الذي هو أحوج ما يكون عندهم إلى أغنية تذكر جمال الزهور، أو تتغنى بالسلام، والركاب الذين حضروا إلى المطار للركوب في هذا اليوم هو أكثر منهم بالأمس بكثير، ولاحظت شيئًا لم ألاحظه أمس وإن كان مما قد تتقزز منه النفس، وهو أنهم وضعوا تحت الموائد والمقاعد أواني فخارية للنفايات الصغيرة، ورأيت الناس يتفلون فيها، يقصدونها لذلك، ورأيت واحدة منها في قاعة كبار الزوار أيضًا.

بلدة آق سو:

ركبنا في طائرة صغيرة ذات محركين مروحيين اثنين فيها ستة وأربعون مقعدًا، ونحن ومرافقونا نؤلف جزءًا لا يستهان به من ركابها، فنحن أعضاء الوفد سبعة ومعنا ثلاثة مرافقين من بكين هم (صاح ان شي وي) و(لقمان ما شان الي) و(مالك أمين)، وثلاثة انضموا إليهم من (أورومشي) هم عبد الله روزي داملا، ومحمد سعد من إخواننا الإيغور أو التركستانيين والأول نائب رئيس الجمعية الإسلامية والثاني من الشئون الدينية في المقاطعة ومعهم الأخ عبد الكريم ... من قومية (خوي).

أما بقية الركاب فإن أكثرهم صينيون، وأقلهم من أخواننا التركستانيين، وتعرفنا على بعض الركاب أنهم كانوا معنا في الانتظار في المطار يوم أمس، ومنهم جندية واحدة أو ضابطة في الجيش لا يدل مظهرها الخارجي على أي الرتبتين؛ لأنهم لا يضعون على الكتف أو الصدر علامة تميز الضابط من الجندي، وإنما يضعونها صغيرة خفية على القبعة.

أما الخدمة فإنهم جعلوا في الطائرة مضيفتين صينيتين أصلًا وفرعًا، كما أن الإعلان عن الرحلة وما يتعلق بها في الطائرة كله باللغة الصينية وحدها، ولم يذيعوا شيئًا باللغة الإنكليزية، اللغة العالمية للطيران، ولا باللغة الإيغورية اللغة

المحلية في هذه المنطقة التي منها غادرت الطائرة وفيها ستنزل.

وكان قيام الطائرة في السابعة والنصف، وأكثر ما يزعج فيها صوتها الذي كنا قد نسيناه منذ أن هجرنا طائرات (الداكوتا) و(الكنفير)، وهي الطائرات المروحية التي كنا نستعملها قبل التطور الاقتصادي الأخير في بلادنا.

كان أول منظر عام من الطائرة عند قيامها منظر الجفاف في الأرض؛ وذلك بسبب البرد، مضافًا إليه طبيعة الأرض أيضًا، وذلك فيما عدا القمح الذي بدأ الاخضرار في حقوله كما سبق.

قد كنا نوطن أنفسنا على رحلة طويلة مملة ما بين مدينتي (أورومشي) و(كاشغر)، وإن كانتا كلتاهما في أراضي تركستان الشرقية، فإن المسافة بينهما تبلغ ألفًا وستمائة كيلومتر، غير أنهم أخبرونا أن الطائرة سوف تتوقف في مدينة (آقسو) وهي مدينة تركستانية مسلمة أيضًا.

ارتفعت الطائرة، ولم تبعد الأرض كثيرًا لأن الجو صحو، والطائرة صغيرة ثم وصلنا إلى منطقة جبلية تجلل هامات الجبال فيها الثلوج الناصعة، بل الساطعة؛ لأن الشمس تنعكس عليها فتزيدها نصوعًا، بل سطوعًا.

وقد وزعت المضيفات هدية شركة الطيران على الركاب: وهي حامل مفتاح أو علّاقة مع أن الطارة ليس فيها درجة أولى، بل كل مقاعدها سياحية، وعلى هذه الهدية المتواضعة شعار شركة الصين الوطنية للطيران والحروف الأربعة التي ترمز لاسمها وهي (CAAC).

هذا وقد اقتربت الطائرة من الجبال العالية، وكادت تتجاوز أعتابها الخالية من الثلوج، وكنا نظن أنها ستحيد عنها يمنة أو يسرة؛ لأنها جبال عالية ذات وديان عميقة، وطائرتنا صغيرة، غير أننا عرفنا أن هذه جزء من سلسلة جبال

(تيان شان) التي هي أشبه ما تكون بالحائط العظيم المرتفع الذي يخترق أراضي تركستان الشرقية من الشرق إلى الغرب، ولذلك لا سبيل أمام الطائرة لتفاديها؛ لأنها ممتدة إلى الشرق والغرب مسافة تزيد على 1700 كيلو متر.

وعندما بدأت بالاقتراب من قممها كان الرفاق قد حبسوا أنفاسهم، وكنت أسأل نفسي عن كيفية نفاذها منها، ولو كان هذا بالارتفاع؛ لأن مثل هذه الطائرة الصغيرة ذات ارتفاع محدود لا تستطيع أن تتجاوزه إلا من باب المخاطرة.

وتسمى هذه الجبال الجبل السماوي أو بالصينية (تيان شان) وبالتركستانية (تنقري تاغ) بهذا المعنى.

وتفصل بين شمال سنيكانغ وجنوبها فتؤثر في الجو في كلا القسمين، بحيث يكون الشمال باردًا والجنوب هو دفيء إلى حد ما، من تأثيره على ذلك بعيد؛ لأنها تحول دون وصول الرياح الباردة التي تاتي من سيبيريا عن أن تصل إلى الجنوب.

وليس معنى هذا أن جنوب (سنكيانغ) أو تركستان الشرقية دفيء في الشتاء كالبلاد العربية في الدفء، ولكن معناه أنه أقل بردًا بكثير من الشمال.

وقد فتحوا مذياع الطائرة على أغان صينية وهو شيء لا نفهمه؛ لذلك بادر الأخ (لقمان ماشان لي) المترجم، فأخذ مذياع الطائرة بالعربية قائلًا: طول هذه الجبال التي نحن فوقها 1500كم من الشرق إلى الغرب وعرضها ما بين 250 إلى 300 كم وارتفاعها عن سطح البحر 3135 مترًا.

ثم أخذت الطائرة تطير فوق بعض القمم غير العالية جدًّا، ولكنها تكسوها الثلوج فانعكست عليها أشعة الشمس أسفل من الطائرة وعلى جانبيها، فصار لها منظر يأخذ بالبصائر ويكاد يأخذ بالأبصار.

وكان منظر الثلوج قبل أن تعلوها الطائرة رماديًّا يشبه الشيب الناصع البياض، فجاء الخيال ليقول: إن رءوس هذه الجبال تشبه رءوس بني القرون الأولى التي أشابتها السنون، ولم لا وهذه الجبال أيضًا قد شهدت قرونًا قبلها قرون والله وحده العالم كم تعاقبت عليها السنون.

ولقد اتضحت رءوس هذه الجبال وبعضها محددة كأنها الفؤوس وبعضها تشبه شكل السنام.

وزاد فحيح المحركين في الطائرة، وخيل إلى آذاننا أنها تلهث من شدة العطش من التعب، أو كأنما كانت خائفة من منظر هذه الجبال التي رفعت إليها أسنتها الحداد.

وبعد جهد جهيد من الطاقة تجاوزنا القمم الشاهقة، وبدأت الجبال تتطامن وكأنما خجلت لغلبة الطائرة عليها فطأطأت رءوسها، وصرنا نطير فوق جهة منها ليس عليها ثلوج وهي الجهة الجنوبية بسبب الرياح الدفئية، وصار منظر الجبال قاحلًا عاريًا من النبات وكأنها الجبال الصحراوية، إلا أننا رأينا بعدها سهلًا أي أرضًا مستوية مزروعة، ورأينا في ذلك السهل نهرًا صغيرًا يتلوى آتيًا من سفوح جبال مرتفعة بدليل كونه قد شق له مجرى عميقًا جدًّا ذا ضفاف طينية.

ومع ذلك فإن ما بقي من الأرض بدون زرع كان عاريًا من النبات على أن الزراعة كلها مصدرها هذا النهر، ورأينا على البعد قرية جميع بيوتها من الطين.

ثم أغبر الجو حتى لم نعد نتبين من وجه الأرض شيئًا.

وقد احتاج أحدنا للذهاب إلى حمام الطائرة فوجده ضيقًا متسخًا، ولم يكونوا قدموا ضيافة في الطائرة غير كأس من عصير الفاكهة.

في مطار آق سو:

أعلن مذياع الطائرة أننا بعد ربع ساعة سنهبط في مطار (آق سو)، ووزعوا أكياسًا صغيرة من الحلوى على الركاب، وهذه عادة لهم أن يوزعوا الحلوى في أكياس صغيرة على الركاب تكون لهم بمثابة الهدية التي يعطونها من يستقبلهم من الأطفال مثلًا، وذلك بعد أن يمصوا منها ما يشاءون عند تدني الطائرة إلى الأرض.

وهي حلوى غير جيدة ذقت واحدة منها، فلم أستطع أن أصبر عليها، وأعطيتها لبعض المرافقين فسروا بذلك، ولقد أخذ مني تخليص الحلوى من الورق التي لفت به وقتًا طويلًا، ولم أستطع تنقيتها من الورقة، ورأيت جاري أكلها بورقها ثم تفل الورقة بعد ذلك.

ومدينة (آق سو) هي مدينة تركستانية، ولذلك سألت عن معنى اسمها بالتركية فأخبروني أنه الماء الأبيض فآق معناها: أبيض، وسو: ماء، وهذا هو معنى الماء المستعمل في التركية الحديثة كالجمهورية التركية مثلًا.

ومنظر البلدة وما حولها من الطائرة يبدو صحراويًا إلا أننا رأينا فيه نهرًا غير كبير مفعمًا بالمياه، وهو بلا شك قادم من الجبال أو (الجبل السماوي) كما يسمى.

ثم وصلت الطائرة وهي تقصد المطار منطقة معمورة بالزراعة الحقلية، ولكن أكثرها لم يبعث من مرقده بعد البرد، ورأينا قناة صغيرة قد شقت من النهر يلمع فيها الماء في هذا الجو الصحراوي لولا هذا النهر الصغير، وهذا ما يوحي به منظره من الطائرة.

ثم ازدادت رؤية البقع الخضر المزروعة بالحقول واتسعت، ورأينا حولها خضرات محمية بستر من اللدائن لتقيها البرد، وذلك في واد غير بعيد من المطار واقع في أرض صحراوية، إلا أنه خصب بسبب كونه مجرىً النهر.

ونزلت الطائرة في العاشرة إلا عشر دقائق في مدرج لا بأس به من حيث السعة والزفلتة، ومن الغريب أنه توجد أحواض على هيئة مربعات مزروعة تقع ما بين المطار وبنائه، ويسير الركاب في ممر بينها قد غرسوا أشجارًا أيضًا في أطرافها، ولكنها لا تزال صغيرة قصيرة.

أما مبنى المطار فإنه لا بأس به، بل هو جيد يتألف من قاعة واسعة ومكاتب متعددة إلا أن مرافقه سيئة جدًّا، فمزاليجها لا تغلق، وكذلك صنابير المياه غير جيدة.

يلعبون الورق في المطار:

ومن أعجب ما رأيته في هذا المطار شيء لم أره في غيره، وهو أن الركاب الذين كانوا ينتظرون الطائرة، رأيناهم يلعبون الورق على الموائد فيه، وذلك من أجل قتل الوقت مما يدل على أنهم قد تعودوا من طائراتهم عدم دقة المواعيد، مما يضطرهم إلى أن يأخذوا للأمر أهبته، وليشتغلوا بشيء للتسلية حتى تحضر الطائرة أو يخبرهم المطار بعدم حضورها، وبعضهم يلعب الشطرنج وفيهم جنود من الجيش أو الشرطة وأوراق اللعب تقدم من مقصف في قاعة المسافرين في المطار، ولقد لمست عذرهم في وقت عندما وصلنا إلى المطار على هذه الطائرة الصغيرة التي يفترض أن لا تزيد مدة وقوفها على نصف ساعة، وقد مضت ساعة كاملة بدون أن يبدو ما يدل على أن الرحلة ستمضي في طريقها المرسوم إلى مدينة كاشغر.

وكان الإخوة المرافقون خلالها في جدال مع موظفي المطار ثم باتصالات هاتفية، وذلك كله باللغة الصينية، إلا أننا عرفنا أن الجدل يدور حول موضوع مهم.

وبعد أن غابوا قليلًا رجع أحدهم، وقال: إن الجو في كاشغر غير ملائم لنزول الطائرة، وإنهم قد اتصلوا برئيس وزراء المقاطعة إسماعيل أحمد الذي مقره في مدينة (أورومشي) يسألونه عما يفعلون، وهمس أحد الرفاق في آذان أحد أعضاء الوفد قائلًا: ربما لا تأتي إجابة رئيس الوزراء عاجلة؛ لأنه يحتاج إلى أن يبحث الأمر مع الأمين العام لفرع الحزب الشيوعي في مقاطعة سنكيانغ، وربما لا يتيسر له الاتصال به بسرعة، والأمين العام هو الصيني شيوعي من أصل كافر قبل أن يصبح شيوعيًّا فزاده ذلك كفرًا على كفر.

وقالوا: إن السؤال عما إذا كان من الأفضل أن ندخل مدينة (آق سو)، ونصلي الجمعة فيها ودخول المدينة في حد ذاته يحتاج إلى إذن لا يملكه حاكم هذه المدينة؛ لأنها حسب أوامر الحكومة لا تزال تعتبر منطقة مغلقة، بمعنى أنه لا يجوز دخولها للأجانب، إضافة إلى أن البرنامج لا يستطاع تغييره إلا على مستوى عالٍ من الحكومة المركزية.

ثم قالوا: إن هذه الطائرة غير مناسبة لمثل هذا الجو فهي كبيرة يبلغ عدد ركابها ثمانية وأربعين راكبًا، وسوف تركبون طائرة لأربعة وعشرين راكبًا.

إلى كاشغر:

وأخيرًا قالوا: إلى الطائرة وكانت فرحتنا غامرة بالسفر إلى كاشغر إلا أننا كنا مشفقين من أن تفوتنا صلاة الجمعة في جامعها التاريخي الكبير، ومجرد تجمع الناس لصلاة الجمعة والكلام فيهم هو فرصة قلما يجود بها الدهر.

وعند باب الخروج من مبنى المطار إلى الطائرة وزعوا على الركاب أكياسًا صغيرة من الخبز الخالي من الأدم، فكان الصينيون يسارعون إلى أخذها ربما لكونهم يخافون أن تنفد قبل ذلك، وأخذ يأكلون من هذا الخبز القفار، وهو اليابس الخالي من الأدم في الفصحى.

وغادرت الطائرة مطار (آق سو) قاصدة كاشغر في الحادية عشرة والنصف تمامًا، وتبلغ المسافة بينهما أربعمائة وخمسة وعشرين كيلومترًا.

وتنفست الصعداء عندما صعدت إلى الطائرة كما تنفست الصعداء بالفعل عندما نهضت الطائرة قاصدة كاشغر.

كان الجو يبدو من الطائرة مغبرًا مما جعلنا لا نكاد نتبين شيئًا من الأرض تحتنا، ومما جعلنا نعرف أن ما ذكروه عن عدم ملائمة الجو للطيران في كاشغر ربما كان له وجه صحيح، فالجو ليس عاصفًا ولكنه مغبر، بمعنى أن الرؤية ليست صافية، وإن تكن الرياح غير شديدة.

ولكن مجمل المنظر في الأرض تحتنا يدل على أنها أرض صحراوية أو شبيهة بالصحراوية.

وقبل الوصول إلى كاشغر بربع ساعة اضطربت الطائرة، وكان الجو بالفعل عندما هبطنا في كاشغر تسوده رياح نشطة إلى جانب القتام الذي هو القترة وعدم الصفاء في الجو، فكأنه الجو في بلادنا في أواخر الربيع وأوائل فصل القيظ، ولا نقول الصيف؛ لأن الصيف عند العرب الفصحاء القدماء هو الذي نسميه الآن فصل الربيع، أما الفصل الذي نسميه الآن بالصيف فإنه القيظ.

وعندما تدنت الطائرة بدت المنطقة تحت الطائرة مزروعة بزراعة جيدة، إلَّا أنها لم تستيقظ تمامًا بعد رقدة الشتاء، ما عدا بعض الأحواض التي هي خضرة

نضرة وأظنها من خضروات الشتاء، أو أنها نشأت مدفأة محمية من البرد، ثم ظهرت حقول القمح الخضر بالقرب من المدينة، ورأينا بحيرة مكتظة بالمياه تنطلق منها عدة قنوات، وأصبحت المنطقة حول المدينة تكاد تكون كلها مشمولة بالزراعة، ورأيت نهر كاشغر أحمر المياه يجري وسط تربة حمارء لا شك في أسبابها أن معظمها قد تكون من الطمي الأحمر الذي حمله النهر من الجبال وأغني به هذه الأرض الزراعية الطيبة، وقال لي الأخ الشيخ عبد الله رزوي وهو عبد الله داملا، و(روزي) اسم يطلقونه على كل من ولد في شهر رمضان، وهو يعرف العربية لذلك جلس بجانبي إلى جانب كونه يشغل وظيفة نائب رئيس الجمعية الإسلامية في سينكيانغ كلها، قال: الحمد لله على وصولنا إلى كاشغر قبل صلاة الجمعة.

فوق كاشغر:

ظهرت منازل الريف المحيط بالمدينة طينية أي مبنية من الطين، ولكنها بهيجة اللون؛ لأن الطين الذي بنيت منه أحمر مثل تربة المدينة، وليس رماديًا كما كان عليه الحال في منازل الطين في ريف بكين مثلًا، أو في أطراف مدينة (أورومشي) عاصمة المقاطعة، وزاد من جمال منظرها أن المياه في القنوات التي تغذي الريف هي أيضًا حمراء اللون.

وبدا نهر (آرتوش) الذي قال لي أحد المرافقين: إن معناه بالعربية شجر العرعر وشجر العرعر معروف في بلادنا وموجود بكثرة في المناطق الجبلية التي تمتد من الطائف إلى ما وراء مدينة أبها.

وقد أبعدت الطائرة عن محيط المدينة، وصارت تطير فوق هضبة مرتفعة تبدو صحرواية مما يدل على أن الزراعة تعتمد اعتمادًا كليًا على النهر أو النهرين اللذين يغذيان المنطقة وهما آتيان من الجبال.

في مدينة كاشغر:

هبطت الطائرة في مطار صغير ذي طبيعة صحراوية؛ لأنه على حد المعمور من ضواحي المدينة التي تتخللها البساتين والحقول وتنمو الأشجار فيها الضخمة.

وكان وصولها في الواحدة إلا ربعًا ظهرًا، وحمدت الله تعالى على ذلك، فهذا معناه أننا نستطيع أن ندرك صلاة الجمعة في كاشغر وهي جمعة بلغنا ونحن في (أورومشي) من الإخوة المسلمين قد أخبروا المسلمين بوصولنا، وأنهم استعدوا لذلك في الموعد الأول الذي ألغى بسبب حالة الجو، وأنهم قد لبثوا مدة في المطار لا يصدقون ذلك، ويظنون أن الحكومة تريد تفرقهم حتى لا يؤلفوا مظاهرات كبيرة قالوا: فذبحوا الذبائح وأكلوها كما قالوا لنا.

وقد صارت عجلات الطائرات تثير في هذا المطار غبارًا كثيفًا كما كانت قد فعلت عندما هبطت في مطار آق سو.

وذلك أن المنطقة - كما قلت - فيها طمي كثير والجو صحرواي جاف على وجه العموم.

وجدنا في المطار جمعًا حافلًا من المستقبلين على رأسهم الشيخ الحاج قاسم محمد أمين إمام جامع عيدكاه أكبر الجوامع وأهمها في كاشغر وهو الذي سنؤدي فيه صلاة الجمعة بعد قليل.

ويعتبر الشيخ قاسم أكبر علماء المدينة الذين لا يزالون يشغلون وظائف عامة مهمة، وذلك لكبر سنه، ورجاحة عقله، رغم كون عمره يناهز التسعين، فقد قيل لنا إنه يبلغ ثمانيًا وثمانين سنة.

كما كان في الاستقبال طائفة من الرسميين الحكوميين وكبار المسئولين.

وكان في استقبال الوفد جمع من المسلمين يتقدمهم:

- الشيخ عبد الصمد مخصوم عضو البرلمان المركزي لجمهورية الصين الشعبية.
- الشيخ صالح داملا نائب إمام جامع عبدكاه.
- الشيخ أمير حسين قاضي من الأئمة والعلماء.
- الشيخ هارون بن هاشم من الأئمة.
- الشيخ عبد الرشد عمر أخونوم من الأئمة وعلماء مدينة كاشغر.
- وجماعات من عامة المسلمين.

لم نطل المكث في المطار ولم تتح لنا مصافحة الجميع؛ لأنهم قد قربوا السيارات من الطائرة فامتطيناها مباشرة إلى:

دار الضيافة:

وذلك من أجل الاستعداد للصلاة بعد الاطمئنان في فندق الضيافة، والاستعداد لأداء الصلاة بعد ذلك.

وسلك الموكب المؤلف من عدة سيارات طريقًا غير مسفلتة بقربها بيوت طينية، وبساتين أسوارهامن الطين، ولكنه بما كنا نسميه (العروق) وهي ألا بضرب الطين لبنًا يجفف في الشمس ثم ينقل ويبنى به، وإنما هو طين يوضع على هيئة أساس الجدار، وأحدًا فوق الآخر، وكنا نفعل ذلك في بلادنا الأماكن المهمة مثل أسوار البلدان وأصول الجدران؛ لأنه أقوى من البناء باللبن الطيني.

ورأينا من قرب حقول القمح وقد اخضرت خضرة شبه شاملة، وليست كما هي عليه في (أورومشي)؛ وذلك لأن الجو هنا في كاشغر أدفأ منه في

(أورومشي)، وكانت أولى وسائط النقل التي رأيناها عند الانتقال من المطار عربات تجرها البغال فيها الفلاحون ومعهم أشياء لهم ووجودها دليل على عدم استعمال الوسائط الحديثة مثل السيارات والجرارات عند الفلاحين، وهذا هو الواقع إذْ هي نادرة والجرارات قد توجد بقلة، وأما السيارات فإن الفلاحين لا يملكون سيارات خاصة كما هو عليه الحال بالنسبة إلى بقية الناس.

ومررنا فوق نهر رأينا الناس يتوضئون منه لصلاة الجمعة، وهو أحد نهرين في المدينة كما قال أحد الإخوة التركستانيين:

و(كشغر) وهي تبدو ذات سور ... وإنْ انصفت قل: هي ذات نور

تراها بين نهرين استقلّتْ ... بمجرى الماء، أو مجرى العبير

وليس هذا النهر بالواسع، وإنما هو أكبر من نهر بردي في دمشق بقليل، أما ضواحي المدينة فإنها شدتني إلى التاريخ شدًّا؛ لأن ما في ذهني عن ماضي هذه المدينة المسلمة (كاشغر) قد تضافر مع ما آراه الآن في ضواحي المدينة من أبنية وأفنية كلها قديم، أو على طراز قديم، حتى البيوت التي بنيت حديثًا هي بيوت من الطين وعلى طراز قديم، حتى إنه لو بعث أحد أهالي البلدة القدماء واستبعدت من المدينة السيارات والعربات التي تملكها الدولة لما رأى فيها غريبًا، فيما اعتقد.

وهذا عجب من العجب فقد مرت عليها ثلاثون سنة، بل أكثر من ثلاثين تحت الثورة الشيوعية التي تعلن أنها جاءت لتحديث الحياة في الصين، ولتوفير الرفاهية والراحة للشعب، وذلك على أنقاض القديم البالي فيما يزعمون.

ولكنهم حاولوا أن يهدموا القيم الموروثة لشعب الصين، ونفذوا من استطاعوا من الهدم من دون أن يبنوا حياة جديدة مشرقة، وإنما وطدوا لحياة

مختلفة في المظهر متفقة في المخبر مع سيئات العهود القديمة أو أكثرها.

وإلا فأين التحديث في كاشغر؟ ولما فيها.

على أن الشوارع الرئيسية الداخلية عليها أبنية أسمنتية حديثة، إلا أنها قديمة من حيث إن أكثرها كان قبل العهد الشيوعي.

كان أول ما استرعى انتباهي عندما وصلت إلى هذه الضواحي من المدينة كتابات اللافتات بالحروف العربية بشكل يكاد يكون عامًّا، ولا يكتبون معها اللغة الصينية كما يفعل أهالي عاصمة المقاطعة (أورومشي)، والسبب في ذلك أن مدينة (كاشغر) هذه تكاد تكون مدينة إسلامية خالصة للمسلمين بخلاف (أورومشي) التي غزاها الصينيون بكثرة بالمستوطنين انطلاقًا من سياسة لهم مرسومة في التصيين الذي هو تغليب الجنس الصيني في هذه المقاطعة على الجنس التركستاني المسلم الأصيل.

ومررنا ببحيرة صغيرة ربما كانت من فيضان مياه النهر أو من سيول سقطت في هذا العام والمياه كثيرة في مدينة كاشغر.

ورأيت بغالًا ينقلون عليها الطين الرطب من قرب هذه البحيرة يذهبون به إلى منطقة البيوت للبناء، وبعض البغال عليها السماد الذي يحتاجه الفلاحون.

ومن اللطيف اللافت للنظر هنا أن الفتيات من بنات المسلمين يرتدين كلهن تقريبًا في الشوارع لباسًا ساترًا كالذي عرفناه على بنات المتدينين من الإخوة المسلمين في سوريا، وهي سراويل طويلة تحت الثياب وفوق الرءوس مناديل تستر الشعر، وقد أخبرونا أننا ذاهبون الآن إلى دار الضيافة حيث نتوضأ ونستعد لصلاة الجمعة.

وجدنا عند مدخل دار الضيافة جمعًا من المستقبلين من علية القوم، منهم

رئيس بلدية كاشغر عبد القادر جونغ ومحافظ المدينة وكبار الشخصيات الحكومية والشعبية.

وقد سلموا فأحفوا السلام، وكانوا ينظرون إلينا بأعين كلها إجلال واحترام، بل اعتزاز ممزوج بالعجب مع أنهم قوم من الرسميين الذين لا بد من أن تعرف الحكومة عنهم أنهم ممن انضموا للحزب الشيوعي، أو إنهم ممن لا يعادونه، ولكن أصولهم الإسلامية ونشأتهم الدينية تغلبت على محاولة الحكومة صبغهم بالصبغة الشيوعية في المظاهر والمشاعر الظاهرة.

وأسرع الحارس الشخصي الذي كانوا قد عينوه لحراستي كما فعلوا في (أورومشي) - وهو من رجال الأمن - أسرع يفتح الباب بارتباك ويتقدم بالدخول أمامي كما يفعل الحراس الذين يحرصون على آداء واجبهم بزعمهم، مع أنني لا أحتاج إلى حارسن ولم أحتج إليه ولله الحمد.

لبثنا قليلًا في غرفة الاستقبال في دار الضيافة التي هي بمثابة الفندق الذي تنزل فيه الحكومة ضيوفها الذين أغلبهم من الوفود الرسمية.

إلى جامع العيد:

وبعد الوضوء والبقاء دقائق في الغرفة تحرك الموكب من دار الضيافة، وحق لها أن تسمى قصر الضيافة لسعتها واعتنائهم بها.

ولبثنا نسير حتى وصلنا إلى الشارع الرئيسي الذي يشق المدينة وهو مستقيم، إلا أنه غير واسع حتى وصلنا مسجد العيد، أو (عيد كاه) وهي بمعنى الجامع الذي تصلى فيه صلاة العيد.

وقد صار عندهم بهذه المثابة؛ لأنه ذو أبهاء كثيرة، وأفنية واسعة ملحقة به تنتشر فيها الأشجار.

اخترقنا جموعًا عظيمة من الناس ونحن في الشارع العام، وكنا ظننا أنهم تجمعوا في الشارع لأمر من الأمور لا علاقة له بالصلاة؛ لأننا لم نكن وصلنا المسجد بعد، وإنما عجز الموكب عن السير من شدة الزحام فوقف قبل الوصول إلى البوابة الخارجية لفناء المسجد.

فسارع المرافقون ورجال الأمن بل والمرافقون المدنيون الذين رافقونا من بكين ومن (أورومشي) سارعوا إلى الإحاطة بنا خوفًا علينا من زحام الجماهير التي أقبلت على السيارات، وأحاطت بها حتى كان رجال الشرطة يفعلون ما كنت أنهاهم عنه، ولكن المقاس ليس مقام إصدار أوامر أو نواهٍ لأنه أجل من ذلك، فلم يكن أحد منهم يسمع لأحد في سبيل أن يروا إخوانهم المسلمين الذين قدموا من مكة المكرمة، ولم يكن هناك إلا الدفع بالأيدي والمناكب، بل وبالأجسام كلها.

ودخلنا مع البوابة الخارجية بصعوبة، وكنت أظنها بوابة المسجد، فإذا بألوف مؤلفة قد ملأت الفناء، وقد حضرت للصلاة واستقبال الوفد، ولكن لم تكن منهم مضايقة تذكر؛ لأنهم رغم كثرتهم كانوا جلوسًا في صفوف منتظمة، وكان بعض المسئولين قد تقدمونا بفترة ليحافظوا على موضع قدم نمر منه وسط الجموع.

ولم يكن من هؤلاء الإخوة الكرام إلا أن اشرأبت أعناقهم، وتطاولت أجسامهم يتطلعون إلى نظرة يلقونها على قوم قادمين من بلاد الحرمين الشريفين، وهي نظرة حرم منها الجيل الجديد منهم؛ لأنه قد مضى عليهم أكثر من ثلث قرن، وهم لم يحظوا بوصول وفد إسلامي من البلاد المقدسة إليهم، إذْ كانت الوفود التي تصل إلى الصين تقف عند بكين وبينهم وبينها سدود وقيود من حدود طويلة إلى إمكانات اقتصادية ضئيلة، ثم وصلت بعض الوفود في العهود الأخيرة إلى (أورومشي) عاصمة مقاطعة سينكيانغ أو تركستان الشرقية،

ولكنها لم تصل إلى هذه المدينة التركستانية الأصيلة، وبخاصة أن أكثر المستقبلين المزدحمين حول الوفد في الشارع هم من الشبان، وجميع هؤلاء الذين هم في الفناء هم جالسون على الأرض الطينية دون فراش، وهؤلاء مختلطون ما بين شبان وذوي أسنان.

ثم أفضى هذا الفناء المكشوف الأول إلى فناء مكشوف آخر قد امتلأ بالمصلين لا يكاد المرء مع الزحام فيه يرى لصفوفهم نهاية وسعة هذه الأفنية جاءت من كونه مصلى العيد.

وكنا نمر بينهم بصعوبة؛ لأنهم لم يتركوا إلا ما لا يكاد يتسع لقدم شخص واحد وقد تزاحموا عليه ليروا الوفد.

وأخيرًا وصلنا إلى المسجد الرئيسي المسقوف فدخلناه من رواق متصل به، وهذا الرواق مع المسجد الداخلي قد تقاربت فيه الصفوف إلى حد جعلني أتساءل عن كيفية استطاعتهم أداء الصلاة من شدة الزحام، وكنا محاطين من كل جانب بالحراس ورجال الأمن والمرافقين، ومن بينهم ذلك الذي أسموه (حارسي الخاص).

بعد تحية المسجد نهض الإمام الشيخ (قاسم قاري جان) فخطب خطبتي الجمعة بالعربية من كتاب معه قديم مسجوع وهما قصيرتان.

وكان التبليغ يتم بمكبر للصوت وأنا أظن أنه لا يستطيع حتى مكبر الصوت أن يبلغهم جميعًا لسعة المكان وكثرة المصلين.

وبعد الصلاة مباشرة قاموا لصلاة النافلة، ففعلوا كما يفعل أبناء عمومتهم الأتراك في جوامع تركيا، حيث يصلون ثمان ركعات في أربع تسليمات كلهم يفعل لك لا يخل به منهم أحد.

يوم مشهود:

لا أستطيع أن أجد الكلمات التي تعبر عما ارتسم على وجوه هؤلاء الإخوة من الاهتمام والتأثر فضلًا عن التشوف والتطلع إلى كلمة من الوفد، وقد قربت من مكبر الصوت، وقرب المترجم الأخ رحمة الله بن عناية الله الذي أصله من أهل هذه المدينة كاشغر، وهاجر والده منها في وقت سابق.

وبعد أن بدأت بالبسملة وكدت أبدأ الخطبة تعطل مكبر الصوت، وتوقف عن العمل وقيل لنا بعد ذلك: إن أحد الرفاق شاهد شخصًا يتعمد إفساده لئلا تبث منه كلمتنا، والله أعلم بمن فعل ذلك، وإن كان الجميع يقولون: إنه من قبل الحكومة.

وقفنا والقوم حولنا يحاولون إصلاحه، ولكن المشكلة أن الناس الذين كانوا في الأفنية خارج المسجد قد أخذوا يندفعون داخله بالمئات، بل بالآلاف على هيئة كتل يدفع بعضها بعضًا دون أن يكون للشخص الواحد فيها سيطرة على نفسه، وأصل ذلك أنهم كلهم يبتغون سماع ما نقوله، ولكن المرافقين أسرعوا يحذرونني قائلين: إن أعمدة المسجد من الخشب، وهذا هو طراز البناء الصيني القديم، وإن لم يكن المسجد قد بني على الطراز الصيني وأنه قديم؛ لذلك يخشى أن تدفع إحدى الكتل التي يسند بعضها بعضًا بالضغط على أحد الأعمدة القديمة فيختل أو يقع ويختل بذلك المسجد، وقد يسقط على هذه الجموع الغفيرة من المسلمين.

ولم يكن الوضع يحتمل الكلام أو النقاش؛ لأنه خرج عن السيطرة، فسارعت أخرج من المسجد ومعي أعضاء الوفد والمرافقون ورجال الأمن، وكل منهم لا يكاد يستطيع النفاذ بنفسه من الجموع.

وقد رأيت أن أحسن طريقة للخلاص من هذا الخطر أن أخرج إلى الفناء غير المسقوف؛ لأنه من غير المناسب أن أترك فرصة الحديث إلى هؤلاء الإخوة تضيع، ولو لم يكن هناك مكبر للصوت.

اللقاء المؤثر:

لم يكن اللقاء بالألوف المؤلفة من هؤلاء الإخوة لقاء معتادًا بمعنى السلام الانفرادي والحديث معهم؛ وذلك لكثرتهم أولًا ولعدم إمكان انضباطهم ثانيًا، لأن الشخص الواحد منهم لا يستطيع السيطرة على نفسه في هذا الزحام الهائل ولو أراد ذلك.

لذلك خرجت من المسجد المسقوف، ومن حسن الحظ أن جانبًا من الفناء الخارجي متصل برواق المسجد المسقوف هو مرتفع جدًّا عن بقية الفناء بحيث ينخفض عنه الفناء بحوالي المترين، فهو إذًا مناسب لإلقاء الخطبة.

ووقفت أتهيأ لبدء الخطبة في هذا المكان الذي أشرف منه على هذا الجمع، ولكن المشكلة أنني رأيت الناس يركب بعضهم بعضًا، وسمعت الصياح والصراخ من الذين أضر بهم الزحام.

وترددت في أن أبدأ الكلام والحالة هذه؛ وذلك لكي أتيح الفرصة لهم أن يتفرقوا وأن يستريحوا منه.

وحاولت مع الإخوة الرفاق في أن نهدأ من تزاحمهم وإضرار بعضهم ببعض، ولكن زادوا في التزاحم، ورأيت الذين اقتربوا منا والدموع تسيل من عيونهم، بل إن بعضهم من الذين زاحموا حتى لم يبق بينا وبينهم إلا ارتفاع الجدار يمدون أيديهم إليَّ وهم ينتحبون يريدون المصافحة، وأردت أن أستجيب لطلبهم غير أن المرافقين والحراس نهوني عن ذلك؛ لأن الجميع

سيتدافعون، وقد تسقط بينهم فيكون في ذلك الخطر المحقق؛ لأنه لا يستطيع أحد منهم أن يسيطر على نفسه، وكان وقوفي في هذا المكان المرتفع وكونهم يرون أعضاء الوفد كلهم وكلنا بالملابس العربية قد أطمع من كانوا بعيدين قليلًا بالاقتراب، بل الصحيح أن ذلك لم يكن اقترابًا بالمعنى المفهوم، وإنما كان اضطرابًا من كتل أقبلت من بعيد، وضغطت على الكتل البشرية القريبة فزادتها اضطرابًا على اضطراب.

وهنا بدأت الكلام من غير مكبر وكنت في غاية التأثر حتى قال إخواني في الوفد: إن صوتك كان مرتفعًا إلى درجة غير معهودة وكنت أتكلم بالعربية، ويترجم كلامي إلى اللغة اليغورية الأخ (رحمة الله بن عناية الله)، ولكن كان صوته يقصر عن صوتي كثيرًا.

وكان بدء الكلام إبلاغهم التحية والسلام من إخوانهم المسلمين في الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة الذين لم ينسوهم، ولا يمكن أن ينسوهم على مدى الأيام، وحتى لو فرض أن أحدًا منهم أو من إخوانهم المسلمين في البلدان الإسلامية الأخرى نسيهم لبعض الوقت، فإنه لا يمكن أن ينساهم كل الوقت؛ لأن أخبارهم وآثارهم العلمية في كتب التاريخ الإسلامي، ومنها الكتب العربية تذكرنا جميعًا بذلك.

وخاطبتهم قائلًا:

فأمجادكم وأسلافكم الكرام لا تمحوها الأيام وآثار علمائكم العظام هي باقية بل خالدة، ولا نزال نحن وغيرنا من المسلمين نستفيد منها علمًا، ونتخذها مع آثار علماء المسلمين الآخرين نبراسًا في الهداية والإرشاد سواء في الكفاح في سبيل الله أو في تبيان الحلال والحرام.

وهذه الأمجاد العظيمة التي قام بها أسلافكم الميامين من أهل الأراضي التركستان توجب عليكم أن تكونوا خلف خير لسلف خير، وأن تجددوا أمجادكم الدينية وتشعروا بالقول والعمل إخوانكم المسلمين في أنحاء العالم أنكم باقون على التمسك بالإسلام، بل إنكم سوف تضيفون أمجادًا جديدة إلى أمجاد القدماء من أهل هذه البلاد التليدة.

أيها الإخوة في الله لقد مرت أيام بل أعوام انقطعت فيها الصلة الجسدية ما بينكم وبين إخوانكم في بلاد الحرمين الشريفين، فلم يكن يحج البيت منكم حاج، ولم يقدم إلى بلادكم مهم قادم، ولكن الصلة الروحية التي هي العروة الوثقى: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هي باقية مستمرة لم تنقطع، بل هي كانت تزداد توثقًا كلما أراد المغرضون لها تمزقًا: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

ذلك بأن رابطة الإسلام هي رابطة سماوية روحية، وهي أقوى من رابطة النسب التي هي رابطة جسدية أرضية، والجسد من التراب وإلى التراب يؤول.

ثم ذكرت فضل الصابرين على دينهم في المحن والأزمات وكثرة الأعداء، وقلة الأنصار، وبينت لهم أن الرسول ﷺ ذكر أن فضل الصابر على دينه في مثل هذه الحالة، وخاصة في آخر الزمان عند ظهور الفتن وانسلاخ الناس عن دينهم له أجر خمسين من الصحابة.

فلما سمعوا ذلك وكانوا قد اغرورقت دموعهم زاد بكاؤهم، بل ارتفع نحيبهم، والعجب أن هذا التأثر العظيم بالدين الإسلامي وإجلال القادمين باسمه من الديار المقدسة إجلالًا له لم يقتصر على الشيوخ وكبار السن فيهم كما هو المنتظر، بل كان مشتركًا بين الكبار والصغار، ولقد رأيت مئات من الشبان الذين لم تصل أعمارهم إلى العشرين وهم يبكون وينتحبون من فرط التأثر.

ولقد دعوت لهم بالمزيد من التمسك بالدين؛ ليناولوا المزيد من الأجر والثواب، وأوصيتهم بأولادهم وأولاد المسلمين خيرًا، فهم أمانة في أعناقهم وهم الذين سيتولون بعدهم المحافظة على بقاء الإسلام في هذه البلاد بل نمائه وازدهاره.

ولكن تأثرهم زاد وبكاؤهم قد كاد يصبح عامًّا، ونحيهم بل نشيجهم صار يدمي القلوب من التأثر عندما أخذت أدعو الله سبحانه وتعالى وأبتهل إليه في ألا يكون هذا الاجتماع آخر لقاء بيننا وبينهم، وأن يتبعه لقاء بهم آخر في الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ولم أستطع أن أواصل حديثي بعد ذلك عندما رأيت منهم هذا المنظر الذي لا أذكر أنه مر عليَّ مثله في حياتي.

بل إنني لا أذكر في حياتي كلها ورحلاتي التي شملت أرجاء العالم كله والتقائي بالإخوة المسلمين - أنني رأيت مثل هذا التأثر في مكان آخر خارج كاشغر، ولقد شعرت بتأثر عظيم هو مزيج من البشر والحبور ببقاء هذه الروح الإسلامية العارمة في صدور هؤلاء الإخوة المسلمين، وفي الوقت نفسه شعرت بالكدر والغم على عدم تمكنهم من الارتباط بإخوانهم في البلدان الإسلامية، فقد عزلتهم الشيوعية وأبعدتهم السياسة، ولكننا رأينا بأنفسنا بشائر الفرج ورفع الحرج، فلله الحمد والمنة.

كنت أريد أن يمتد كلامي أكثر من ذلك؛ لكي يمتد هذا اللقاء الإسلامي الخالص لوجه الله إن شاء الله، ولكوني لم أكن أتلو خطبة معدة أو كلمة مكتوبة، وإنما كنت أتكلم فيهم عفو الخاطر، ولذلك لم أسجل هنا كل ما قلته، ولكن المشكلة كانت في مبلغ التأثر الذي رأيته منهم حتى رأيت عيونًا كثيرة قد احمرت من البكاء، وأناسًا كثرًا غلب عليهم التأثر والبكاء حتى لا يكادون يسيطرون على مشاعرهم.

ورأيت الزحام بدلًا من أن يخف قد أخذ يتكاثف؛ لأن الذين في المؤخرة يبكون وينتحبون، فأرادوا الاقتراب مثلهم، وحدث أمام عيني أن جماعة منهم كثيرة صعدت على شجرة في وسط فناء المسجد يريدون بذلك الإشراف على الموكب، وكانوا عشرات من الرجال مما أثقل الشجرة فمالت ووقعت على الأرض، ولولا أن وقوعها لم يحدث فجأة، بل حدث أن مالت شيئًا فشيئًا إلى أن انقلعت من جذورها، فسقطت لما أمكن الذين كانوا تحت في مكان سقوطها أن ينتبهوا إلى ذلك، ولحدثت مقتلة بسببها.

يوم كاشغر:

لا أجد ما أسمي به ما حدث اليوم إلا يوم كاشغر، فقد كان العرب القدماء والمؤرخون منهم خاصة يسمون الأحداث المهمة باليوم الذي حدثت فيه، وذلك لكونها ليست من الحوادث العابرة التي تمر دون أن تذكر أو تؤثر حتى دون أن تترك أثرًا يذكر.

وهذا اليوم لا شك في أنه سيترك أثرًا يؤثر ليس بالنسبة لنا نحن السعوديين الذين لم نكن نعلم بهذا الحبل المتين الذي لا يزال يربط هؤلاء الإخوة المسلمين بالدين الإسلامي الحنيف، ولا بالنسبة إليهم هم أنفسهم الذين لم يكونوا من دون شك يقدرون أن مشاعرهم ستنفجر بهذه الكيفية، ولا أن اللقاء بإخوانهم سيكون على هذه الصفة.

وهو أيضًا ومن دون أدنى شك سيكون يومًا يؤثر بالنسبة إلى الحكومة الصينية التي سيهولها مبلغ الإيمان الذي لا يزال يعمر قلوب هذه الطائفة من السكان وعمق المشاعر التي يكنونها تجاه دينهم بما رأوه من مشاعر تجاه إخوانهم من أعضاء الوفد.

ولذلك لم أجد له تسمية مناسبة أكثر من (يوم كاشغر) ومن تسجيله في هذا الكتاب الذي أرجو أن يؤثر بعدما ينشر.

ولكن كيف الخروج؟

ذكرنا كيفية الدخول وصعوبته وهو كان قبل الصلاة وكان القوم قد انتظموا صفوفًا استعدادًا للصلاة، فكيف يكون الخروج وهم قد صاروا كتلًا عظيمة قد لصق بعضها ببعض، وقد اقترب الذين كانوا منهم قد ابتعدوا بل ربما جاء أناس كثيرون من خارج المسجد؛ لأن الازدحام إلى جانب وقوف سيارات الموكب والحرس المحيط بها كان قد ألفت الأنظار.

نصحنا الإخوة بأن ننتظر قليلًا بعد انتهاء الكلام فقد ينصرف القومن ويخف الزحام، غير أن ذلك لم يحصل؛ لأن القوم يريدون مع الكلام أن يكون السلام، فإذا لم يكن السلام فيمكن لمس الثياب، فإن لم يكن هذا ولا ذاك فلتكن الرؤية وهم مهتمون بذلك غاية الاهتمام.

ولقد بدا خروج الوفد مستحيلًا من بين هذه الكتل البشرية المتراصة التي كل همها أن تقترب منا، فكانت أشبه بالأمواج التي يدفع بعضها بعضًا فتقبل معًا وتدبر معًا بدون إرادة.

فألح علينا المرافقون والحراس أن نسير، وأحاطونا يدافعون بأجسادهم أجساد الآخرين، ولكنهم معنا صرنا ندفع بدون إرادة بل صارت الكتل البشرية تتقاذفنا، فكنا نخوض خوضًا لا إراديًا وسطهم، كنا مرة نتقدم ومرة نتأخر، وأحيانًا نحس بأننا نرتفع والقوم والحراس ورجال الأمن يقسون على الإخوة من هذا الجمهور الإسلامي الكبير، وأريد أن أتكلم معهم فيضيع صوتي في الزحام زحام الأصوات، فقد كان هناك أصوات مختلطة، متشابكة كالأغصان

المتشابكة ورفعت صوتي ليصل إلى المترجم الأخ (لقمان ما شان لي) الذي كان قد لازمني وخسر بذلك طائفة من أزرة معطفه، إلى جانب شق كبير في قميصه، وقال الأخ (لقمان): لا يمكن ذلك، إننا نخاف على حياتك إننا إذا لم نبذل كل قواتنا، فإننا نخشى على حياتكم.

والواقع أن كلامهم له ما يبرره، فلقد خشيت على حياتي بالفعل؛ لأنه لو حدث لي أي شيء من المكروه غير المقصود لما كان في استطاعة أحد أن يبذل أية مساعدة.

النجدة بالعامية:

ومع ذلك حدث شيء كاد يجعلني أضحك رغم كون الوقت يثير انفعالات عميقة من السرور والخوف هي أبعد ما تكون من الضحك، فقد سمعت زميلنا في الوفد الشيخ عبد الرحمن بن عوين يصرخ بأعلى صوته، بالعامية النجدية يقول: خوفوا الله الطفل، البزر، ذبحتوا الولد يا ناس يا مسلمين.

كان يقول هذا بطريقة لا شعورية، وإلا فإنه إذا فكر يعلم أن القوم لا يفهمون العربية الفصحى فضلًا عن العامية، وإن مخاطبتهم بالعربية عاميها وفصيحها لن يكون لها صدى؛ لأنهم لا يفهمون منها شيئًا، وبالتالي لا يستجيبون.

وقد أخبرني بعد ذلك أنه رأى صبيًّا في حدود الثانية عشرة قد أطبق عليه الزحام حتى كاد يخنقه، وإن الصبي يجاهد لإنقاذ نفسه، فخشي عليه الهلاك.

وبهذه المناسبة أذكر أن الأستاذ عيسى ألب تكين وهو تركستاني الأصل، وصاحب مجلة صوت تركستان الشرقية قد حدثني بعد ذلك بشهور عندما رأيته في مكة المكرمة أنهم تسلموا رسائل من كاشغر تقول فيما تقوله من وصف لهذا اللقاء في جامع (عيدكاه) في كاشغر: إنه قد مات في هذا الزحام شخص واحد

وجرح عدة أشخاص.

ولا أستبعد ذلك، بل إنني أستبعد عدم حدوثه لما عرفته من شدة الزحام، وعنف التدافع فيه.

ولقد رأيت جمعًا منهم كانوا على شفير مكان منخفض كالحفرة دفعهم الزحام، فوقعوا فيه، ومن الأشياء التي كانت مدعاة للتأثر الشديد حتى أثناء هذا الزحام أنني كنت ألمح طائفة من الناس الذين لا يستطيعون الوصول إلينا ولمس أثوابنًا مثلًا، وإلا فإنه لا مجال هنا للمصافحة أراهم تغرورق أعينهم بالدموع، فيبكون من فرط التأثر لمجرد رؤيتنا؛ لأنهم من الذين كانوا موجودين في الخلف ولم يستطيعوا أن يروا الوفد قبل ذلك.

ولم نستطع الوصول إلى الفناء حتى كان بعضهم يفتقد ما أصابه فالأخ (لقمان) تبين له أنه فقد ساعته فقد سقطت تحت أقدام الناس وعرف بسقوطها، ولكنه لم يستطع أن يستعيدها، وأنى له أو لغيره أن يستطيع ذلك.

وبعض الإخوة فقد حذاءه وأحدهم تمزقت عباءته، ووصلنا للسيارات ولم نكد نصدق أننا خرجنا بالفعل من هذه المعمعة.

وكنت أتأمل الوجوه أثناء الزحام؛ لأنها من جميع الطبقات فأجد أن الكبار في السن لا يختلف منظرهم من منظر الذين نعرفهم من أهل هذه البلاد عندنا في الحجاز ونسميهم بالبخارية.

وأما الشبان فإنهم أحسن حالًا قليلًا من جهة التغذية، ولكنهم أقل من أبناء البخاريين الموجودين في بلادنا في الوقت الحاضر.

إلا أن الخيال كان يوحي إلَيَّ أن وجوههم كلها كأنما تضج بالشكوى من حالهم التي صاروا إليها وما يتخوفون منه في مستقبلهم، بل إن المؤذن وهو شيخ

كبير من جيل ما قبل الشيوعية كان يؤذن في الجامع بصوت شجي أشبه بالنوح والشكوى، وهي شكوى إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، وهو الله سبحانه وتعالى، نسأل الله تعالى أن يرفع عنهم بلاء الشيوعية، ومكائد كفار الصين.

ولقد تخيلت الجامع بهيئة بنائه وبفراشه وأكثر ناسه، قطعة من الماضي الذي لم يتغير لولا وجود أشياء صغيرة فيه من العصر الحاضر مثل مكبر الصوت ومصابيح كهربائية قليلة خافتة.

وربما صح القول هذا - إلى حد ما - في بلدة كاشغر نفسها.

العودة إلى دار الضيافة:

عدنا إلى دار الضيافة وكان أشد الموجودين تعبًا هو الذي أسموه حارسًا خاصًا لي مع أنني رأيته لم يغن شيئًا، وإنما الحراسة الفعالة كانت من المشايخ المرافقين ومن رجال الأمن الذين كانوا قد حضروا إلى الجامع قبلًا لضبط الأمر.

ووجدتهم قد وضعوا في غرفتي الضيافة المعتادة التي هي الشاي: الصيني الذي يصنع في الغرفة ومعه المشمش والمكسرات والحلوى، وغرفتي مؤلفة من غرفة النوم، وغرفة استقبال كبيرة (صالون) وغرفة أخرى كما اعتادوا على أن ينزلوني في كل فندق نزلناه في غرفة نوم وغرفة استقبال، وكذلك يفعلون بواحد من أعضاء الوفد إذا تيسر ذلك، وإلا اكتفوا بغرفة واحدة للنوم.

ثم دعونا لتناول الغداء فكان غداءً سخيًا لذيذًا عرفنا أمثاله من إخوتنا التركستانيين وهو سخاء فوجئنا به، وعرفنا أنه لم يرزق من ينوه به من المؤرخين، وقد حباهم الله من الخيرات في بلادهم، ومن السخاء في نفوسهم ما استحقوا به ذلك.

جلسة المباحثات:

في الخامسة والربع عصرًا عقدت جلسة المباحثات الرسمية بين وفدنا وبين المسئولين في كاشغر حضرها منهم عدد من العلماء والعاملين في الحقل الإسلامي وأكثرهم مسنون، أحدهم في التسعين من عمره، ويكفي للتدليل على صحة ذلك أنه كان قد حج قبل العهد السعودي في الحجاز، وقال لنا: إن الذي كان يحكم الحجاز عندما حج هو الشريف حسين بن علي، وذكر أنه أنفق تسعة أشهر في الطريق ما بين كاشغر ومكة المكرمة، وأنه قطع أكثر المسافة سيرًا على قدميه، ومعلوم أن الحكم السعودي بمكة المكرمة قد بدأ في عام 1343هـ بعد خروج الشريف حسين بن علي عنها.

وكان أهم مطالبهم أن يكون المعهد الديني المزمع تأسيسه في (أورومشي) ضمن المركز الإسلامي الكبير، ووعدت الرابطة بالمساعدة على إنشائه أن يكون عندهم وقالوا: نحن أحق من أهل (أورومشي) فكاشغر هي بلد العلم والعلماء من قديم الزمان، وقال الشيخ (قاسم قاري حاجي): إن مدينتنا (كاشغر) كما تعلمون كانت حافلة بالعلماء، وكان الناس يرحلون إليها من بلاد بعيدة يطلبون فيها العلم وينقلونه لغيرهم، ولكن المشايخ من العلماء يموتون، ولا يوجد من يخلفهم، لذلك نريد إنشاء معهد إسلامي في هذه المدينة يتدارك ما فرط من الأمر، وينشئ الشبان على ما كان عليه الأسلاف.

ثم قال الشيخ قاسم وأيده آخرون من المشايخ: إن الكتب العلمية غير موجودة عندنا أصلًا، ولقد بلغ الأمر ببعض طلبة العلم ومحبي الكتب الإسلامية أنهم ينسخون ما يريدون منها نسخًا، فيلجأون إلى الكتابة في زمن الطباعة، وذلك لعدم الحصول على تلك الكتب، وإذا وجدت فإنها تباع بأثمان غالية، قد تفوق الخيال، حتى إن نسخة مطبوعة من ألفية ابن مالك بيعت بما

يعادل ألف ريال سعودي مع أن قيمتها في مكة المكرمة لا تزيد على خمسة ريالات.

وتكلموا في حاجة المساجد في كاشغر وما حولها للإصلاح والترميم بعد أن تضرر أكثرها إبان الثورة الثقافية، بل هي في حاجة إلى المرافق والفرش، قالوا: ونحن لا نستطيع القيام بذلك، لقصور أيدينا عنه.

وقد تكلمت في الاجتماع بكلمة طويلة أوضحت فيها أننا نوافقهم على كل ما قالوه، وإننا نعرف عذرهم بسبب ما مر بهم إبان الثورة الثقافية، وبسبب كون الدخول الفردية محدودة في بلادهم في الوقت الحاضر، وبينت لهم ما تستطيع رابطة العالم الإسلامي بخاصة وما يستطيع إخوانهم المسلمون في الخارج بعامة من تقديم المساعدات الإسلامية لهم.

وإن أهم شيء في موضوع حالتهم الحاضرة هو تبيان ما هم عليه لإخوانهم المسلمين وشرح أحوالهم، وسوف نقوم بذلك إن شاء الله كما سنقوم بتقديم المساعدات الإسلامية المباشرة من رابطة العالم الإسلامي، ومن الحكومة السعودية فيما بعد بعد أن ندرس ما يحتاجونه دراسة تفصيلية، ونقدم الأهم على المهم.

ونصحتهم بالعمل على إنشاء معهد ديني مستقل في كاشغر، ونحن نعدهم بتقديم مساعدة مماثلة لما وعدنا به أهل (أورومشي) شرط أن يأخذوا زمام المبادرة بأنفسهم، ويبدأوا الاستعداد لذلك مثل ما فعل إخوانهم في (أورومشي)، وهذا بيان بأسماء المشاركين في الاجتماع ومختصر لما دار فيه:

في الساعة الخامسة مساء من يوم الجمعة عقدنا جلسة مباحثات أعضاء وفد الرابطة وعلماء مدينة كاشغر هم:

- الشيخ محمد قاسم قاري إمام جامع عيدكاه.
- الشيخ عبد الصمد مخصوم، من الأئمة.
- الشيخ هارون بن هاشم إمام مسجد جابان.
- الشيخ أمير حسين قاضي من العلماء.
- الشيخ عبد الرشيد عمر أخونوم من العلماء.
- الشيخ صالح داملا نائب إمام جامع عيدكاه.
- الأستاذ عبد القادر جون رئيس بلدية كاشغر.
- الأستاذ عبد الرشيد كريم مدير الإدارة الدينية لمدينة كاشغر.

وبحضور المرافقين لولد الرابطة من الجمعية الإسلامية الصينية المركزية في بكين والجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ وهم:

- الشيخ صالح آن ش وي.
- الأستاذ لقمان ما شان لي.
- الأستاذ مالك أمين.
- الشيخ عبد الله روزي.
- الأستاذ محمد سعيد.
- الأستاذ دونغ جي هونغ.

ودار الحديث حول الموضوعات التالية:

أولًا: المعهد الإسلامي:

قال رئيس الوفد: إن كاشغر مدينة إسلامية قديمة وأهلها مسلمون وبها كثير من العلماء، لذا ينصح الوفد بأن يكون فيها معهد إسلامي لتربية الأجيال القادمة على الإسلام وتعليمهم اللغة العربية، ولا يمنع هذا أن يكون هناك معهدًا آخر في أورومشي، ومع ذلك فالأمر متروك لكم لأن هذا أمر داخلي، أما إذا أردتم إقامة معهد هنا في كاشغر فالرابطة على استعداد لمساعدتكم ماديًا وبالمدرسين.

وقال الشيخ محمد قاسم: نظرًا لأن أكثر الطلاب يستعملون العلوم العربية والدينية هم من طلاب هذه الولاية فقد عرضنا على الجمعية إقامة معهد إسلامي هنا بدلًا من أورمجي، ولكن هذا الطلب لم يقبل من قبل الجمعية الإسلامية الصينية المركزية.

ثانيًا: المصاحف والكتب الدينية:

قال الوفد: إن الرابطة ترغب أرسال المصاحف والكتب الإسلامية إلى المسلمين في كاشغر فهل يمكن إرسال ذلك عن طريق باكستان إلى كاشغر أو إلى أي جهة سترسلها في كاشغر كي تتولى الاستلام والتوزيع.

قال الشيخ محمد قاسم: المسلمون في كاشغر في حاجة ماسة إلى المصاحف والكتب الإسلامية والعربية المختلفة، ويمكن أن ترسل الرابطة المصاحف والكتب إلى الإدارة الدينية في كاشغر التي يرأسها الأستاذ عبد الرشيد كريم.

اعتراض من الشيخ لقمان ماشان لي بأن إرسال الكتب مباشرة إلى الإدارة الدينية في كاشغر لا يمكن حيث إن هذناك صعوبات في الإدخال من الجمرك، ويطالب أن يكون عن طريق الجمعية الإسلامية الصينية المركزية في بكين.

ثالثًا: ترميم وإصلاح المساجد:

قال الوفد: لقد شاهد الوفد الجامع الكبير الذي أدى صلاة الجمعة فيه، ويرغب في تقديم جزء من المساعدة على فرشه كما يقدم بعض المساعدات الرمزية لبعض مساجد المدينة، أما مساعدة بقية المساجد فستنظر الرابطة في ذلك، وتقدم مساعدة مجزية.

وقد شكر الشيخ محمد قاسم: باسم المسلمين في كاشغر وسنكيانغ لاهتمام الرابطة بهم، وقال: حكومة ليبيا كانت أهدت الجمعية الإسلامية الصينية المركزية فرشًا للمساجد كما قدمت حكومة قطر مجموعة من المصاحف إلا أن الجمعية الإسلامية الصينية لم تعط شيئًا منها لكاشغر.

وكان بعض أعضاء الوفد قد علم من المسلمين المسئولين في (أورومشي) أن زعيم الطائفة الإسماعيلية كريم أغا خان قد زار كاشغر في العام الماضي، وعرض على الحكومة المحلية إقامة مستشفى في كاشغر وتزويده بالأطباء وتجهيزه بالأجهزة الطبية إلا أن الحكومة المحلية رأت أن يكون ذلك في (أورومشي) فتأجل المشروع.

وللإسماعيلين أتباع في تركستان الشرقية من جماعة التاجيك يقدر عددهم بثلاثين ألفًا في حدودها المتاخمة مع تاجكستان - السوفيتية وكشمير الباكستانية.

مائدة حاكم الولاية:

أقام حاكم ولاية كاشغر عبد الغفور صديق مأدبة عشاء رسمية حافلة للوفد حضرها العديد من كبار الموظفين منهم وزراء الحكومة المحلية، وذلك في السادسة مساءً جريًا على عادتهم في تناول طعام العشاء في السادسة مساءً، ألقى الداعي في أثنائها كلمة بالإيغورية مكتوبة.

جاء فيها: إن ولاية كاشغر يقطنها 2370000 نسمة في 12 مركزًا ومدينة تتكون منها الولاية التي يشقها خمسة أنهار، وذكر فيها أن مدينة كاشغر وحدها فيها عشرون جامعًا وأكثر من مائة مسجد، وأن عدد سكانها 260 ألفًا ونسبة المسلمين 90٪ من جملة سكان المدينة.

وقد رددت عليه ارتجالًا بكلمة شكرته فيها على كريم الاستقبال والترحيب، وركزت فيها على ما سبق أن قلته في أماكن أخرى من هذه البلاد من استنهاض هممهم بتذكيرهم بأمجاد أسلافهم من العلماء الأعلام الذين نصر الله بهم الإسلام، وأكدت أيضًا على أنهم يجب أن يعلموا أنهم جزء من كل هو العالم الإسلامي الواسع الذي لم ينسهم، ولا ينبغي أن ينسوه، بل إن المطلوب أن يسهموا إسهامًا كبيرًا في نهضة العالم الإسلامي، وفي إبلاغه للآخرين، لا سيما بعدما شاهدنا بأعيننا من حب أهل هذه المدينة لإخوانهم الذين قدموا إليهم من مهابط الوحي في منطلق الإسلام مكة المكرمة والمدينة المنورة، وإن رابطة العالم الإسلامي على استعداد لمساعدتهم في أمور دينهم.

كانت كلمة الداعي وردي عليه بعد تناول المقبلات وقبل المائدة الرئيسية التي كانت أنواعًا منوعة من المآكل، فمثلًا: أحضروا خروفًا مشويًّا كاملًا كما أحضروا أربعة أنواع من اللحم غيره ما بين مشوي ومسلوق ومطبوخ بطريقة خاصة، وحتى الدجاج كان في المائدة نوعان منه إلى جانب أنواع غريبة من الشوربة والبيض والخضار وعصير التفاح، وكذلك الحلوى لم تخل من البيض، فذكروا أن فيها بياض البيض.

وهذا نص كلمة الوالي:

جناب المحترم سعادة الشيخ محمد بن ناصر العبودي.

السادة أعضاء وفد الرابطة ... أيها الزملاء.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يحق لنا أن نفرح اليوم باستقبال سعادة الشيخ محمد بن ناصر العبودي وأعضاء وفده الكرام، ويسرني أن أرحب بهؤلاء الإخوة الأكارم باسمي وباسم حكومة كاشغر ومواطني هذه المنطقة البالغ عددهم 2370000 نسمة الذين يعربون عن كامل تقديرهم لزيارة وفد الرابطة لمعرفة أحوالهم وأوضاعهم.

لا شك أن العلاقة بين دولتنا والشعوب العربية موجودة منذ القدم، وأن زيارة هذا الوفد الذي تحمل كثيرًا من المشاق وقطع المسافات الطويلة إلى بلادنا توطد وتوثق تلك العلاقة التاريخية القديمة، وهذا لا ريب مما يغبطنا ويملأ نفوسنا فرحًا وسرورًا برؤية هؤلاء الإخوة الضيوف.

منذ القدم كاشغر ولاية يقطنها مسلمون أويغوريون إلى جانب بعض القوميات الأخرى، وكل القوميات والأقليات تعيش متآلفة في هذه الولاية التي لها تاريخ ماضٍ مجيد.

ويسعدنا أن نخبر الإخوة الكرام: بأنه بعد الاجتماع الثالث العام لدورة اللجنة المركزية للحزب الحادي عشر فإن أوضاعنا السياسية الاقتصادية في تحسن مستمر وتعاون القوميات يتوثق، والحرية الدينية قد نفذت والأمن قد استتب والأسواق التجارية في ازدهار والمواطنون في تقدم مضطرد، وقد نال الناس مكاسب طيبة من هذه السياسة الجديدة، فالمستوى الاقتصادي والحضاري قد ارتفع وتحسن، والمسلمون والقوميات الأخرى في ظل اللجنة المركزية للحزب وحزب المقاطعة وحكومة المقاطعة يعيشون حياة سعيدة في

اتفاق وائتلاف ويسعون إلى تنفيذ سياسة التحديث الأربعة.

أيها الإخوة الأكارم:

مع أن مدة زيارتكم قصيرة جدًّا إلا أنها ستكون عاملًا قويًّا في توثيق معرفتكم بنا وتوطيد علاقتنا معكم، وفي الختام أرجو قبول تمنياتنا الأخوية الإسلامية بالزيارة والإقامة السعيدة معنا.

عبد الغفور صديق

والي كاشغر

19/ 7/ 1404هـ - 20/ 4/ 1984م

وفي ختام المائدة قدم الداعي هدية من لباس أهل كاشغر فيها الثوب والقلنسوة (الطاقية)، وأهديت إليه ساعة يدوية وتمرًا من تمر المدينة المنورة كما قدمت لعدد من المشايخ وكبار المدعوين شيئًا من ذلك.

وعلى ذكر الطاقية وغطاء الرأس أقول: إن العادة الشائعة عندهم هي تغطية الرأس للجميع حتى إن سير المرء في الشارع ليس على رأسه شيء مما ينقص من قدره.

لقد لاحظت أن والي كاشغر ومحافظها، وهو الذي دعانا إلى اعتبار أنه يمثل الإدارة فيها كلاهما على رأسه طاقية.

وهذا من بقايا الأمور التي حافظوا عليها وتحلل منها أبناء عمومتهم الأتراك الموجودون في دولة تركيا الحديثة التي أمر مصطفى كمال فيها أمرًا لا يزال يراعى حتى الآن، وهو أن لبس (الطاقية) فيها ممنوع، بل يعاقب عليه، وذلك

منه مغالاة في البحث عن التحرر، والبعد عن التقاليد القديمة، وهو بهذا قد فاق أساتذته الغربيين الذين أراد أن يقلدهم بوضع القبعة على الرأس بديلة من (الطاقية) فعندهم أن الإنسان حر فيما يلبسه أو يدعه.

وبعد مضي مدة كافية على نبذ الأتراك في تركيا لبس الطاقية، فإنهم إذا أمعنوا النظر في أمرهم يرون أن ترك الطاقية لم يكسبهم شيئًا من التمدن فضلًا عن التقدم.

الخبر عن قرية تركستانية:

أحد أعضاء الوفد هو تركستاني الأصل وهو الأخ (محمد حبيب الله شاه)، كان موطن أسرته قرية قريبة من كاشغر أبدى رغبته في السفر إليها، وتركنا من ظهر هذا اليوم إلى نصف ليله الأول، فقلت له: ممازحًا إنني لن آذن لك بذلك إلا إذا أطلعتنا على ما شاهدته فيها مشاهدة متحررة من البرنامج الرسمي الذي نسير عليه، إضافة إلى أن هذه القرية إذا وصلها الغريب دون استعداد، فإنها تعطي صورة صادقة عن وضعها.

وقد ذهب إليها بالفعل وعاد بالخبر اليقين عنها قال:

القرية اسمها (كِّي ساق) في ضاحية أوتشون أرتوش العليا، وتبعد عن كاشغر 20 كم، والبيوت طين رديء من الشوارع والأسفلت والكهرباء والماء غير موجودة إلا من الآبار، ولا تطوير ما فيه تطور، ولا خدمات بلدية ظاهرة قبل الثورة مدرسة إسلامية أنشأها رجل من القرية ويدعى حسين موسى باي، ثري ووجيه فدمرت في الشيوعية، والآن يقوم القرويون بإعادة بنائها (تحتاج لمساعدة 8 آلاف دولار للمسلح) وبنوا جزءًا منها بالمسلح بدئ بالتعليم فيه بلا رسمية.

سكان القرية حوالي 30 ألفًا تقريبًا، وفيها مسجدان من الطين دمرت، ثم أعيدت الآن لا فرش حتى ولا حصير، المدارس الثانوية في المقاطعة 13 فقط) نسب القوميات قليلة فالتعليم أمامهم محدود أخذ صورًا لها هو وأحد الرفاق (التعليم بفلوس والعلاج بفلوس كل شيء غالٍ إلا السكن لكن للموظفين والعمال).

المساجد في كاشغر:

عملت هنا ما عملته في مدينة (أورومشي)، وهو أن أرسل الأخوين الأستاذ إبراهيم بن عبد الله الخزيم عضو الوفد ورحمة الله بن عناية الله سكرتير الوفد وهو يعرف لغة البلاد إلى جولة على مساجد مدينة كاشغر حيث لا يمكن الوفد بموكبه ومرافقيه أن يخرج على البرنامج كله، ثم لو فعل فإنه لا يمكنه أن يصل إلى ما يريد من معرفة حال البلد والمساجد فيها ورؤيتها في حالة طبيعية غير متكلفة.

وقد قام الأخوان الكريمان بالعمل المطلوب في عصر هذا اليوم، وكتبا لنا مشاهداتهما في هذه المساجد فيما يلي:

1- مسجد قسقان بازار في وسط المدينة وإمامه الشيخ عبد القادر، وهو قديم مبني بالطين تعرض إلى التخريب، ويحتاج إلى الترميم والإصلاح.

2- مسجد قسقان بازار في سوق قسقان بازار وإمامه الشيخ هاشم قاسم ومؤذنه الشيخ نصر الله أمين، وهو من الطين، ويكاد أن يهوي إلى الأرض ويحتاج إلى ترميم عاجل.

3- مسجد تيماق بازار في سوق تيماق بازار وإمامه الشيخ أمين روزي

ومؤذنه الشيخ عبد الرحمن، ورواق المسجد قديم سقفه من خشب يحتاج إلى ترميمه وإصلاح الجدار والفرش والمصاحف.

4- مسجد يخته بازار في سوق يخته بازار وإمامه الشيخ محمد ترسون ومؤذنه الشيخ قاسم إسماعيل، والإصلاح جاري في المسجد حاليًا، ويحتاج إلى المساعدة المالية لإتمام الترميم وشراء الفرش وتأمين المصاحف.

5- مسجد توقوز تاش في حي توقونه تاش، وإمامه الشيخ عبد الحميد بن عبد الله ومؤذنه الشيخ أمير حسن، ويقع فوق ربوة صغيرة.

رواق المسجد صغيرة وفناؤه مسقف بالخصف الخفيف الذي قد يحجب ضوء الشمس، ولكن لا يمنع مطلقًا من سقوط الأمطار، ويحتاج إلى سور وتسقيف الفناء وإلى الفرش والمصاحف.

6- مسجد اكلك بازاري في سوق أكلك بازار وإمامه الشيخ عبد الله طالع ومؤذنه الشيخ يعقوب آخوان، مسجد قديم مبني بالطين وسقفه من الخشب، ويحتاج إلى الترميم والفرش والمصاحف.

7- مسجد ساقي في حي ساقي وإمامه الشيخ صادق محمد صديق ومؤذنه الشيخ تخته باقي يونس، وهو مسجد صغير يحتاج إلى تبليط أرضيته وإلى الفرش والمصاحف.

8- مسجد جايان بازاري في سوق جايان بازار وإمامه الشيخ هارون هاشم، والإمام سيد أخوان خلفت ومؤذنه الشيخ محمد رحيم، وهو مسجد كبير وقديم ويقال إنه أقدم مسجد في مدينة كاشغر ويحتاج إلى ترميم كامل.

انتهى.

يوم السبت 20/ 7/ 1404هـ - 21/ 4/ 1984م:

جولة في مدينة كاشغر:

وهذه الجولة تمت بقدر ما أريد لها لا بقدر ما أردنا، ونحن هنا لا نلوم مضيفينا الذين سخوا لنا بما كانوا يضنون به على غيرنا من الوصول إلى هذه البلاد، والاجتماع بإخواننا المسلمين فيها اجتماعًا حرًّا، غير أن جولة الموكب ليس كجولة الأفراد، وأنا أريد أن تكون الجولة بالنسبة إليَّ حافلة بالمعلومات المفصلة المفيدة التي أحصل عليها بالاطلاع الشخصي ولكن أنى لي ذلك؟

بدأت الجولة بمسير الموكب بكامله تتقدمه سيارة الحرس العسكرية، وتتبعه سيارات أخرى فسلك شارعًا رئيسيًّا من قلب المدينة، وذلك بعد أن تجاوزنا نهر (تومين) الذي هو ليس بالكبير.

وهذا الشارع عليه أبنية حكومية أو شبه حكومية مهمة بعضها إن لم يكن أكثرها من عهد ما قبل الشيوعية وعليه أبنية طينية قديمة حديثة، بمعنى أنها مجددة، مجملة، أهم ما يجملون به بيوت الطين أن يطلوا واجهاتها بالجص.

ومررنا بمركز المواصلات الحكومي تزينه لافتة بلغة الأويغور التي هي التركية المحلية مكتوبة بالحروف العربية التي آنستنا هنا، ولعلها استأنست بنا.

ومررنا من دون أن نقف بحوانيت تبيع اللحم نوه المرافقون عنه بقولهم: إنه شخصي بمعنى أنه ليس حكوميًّا شيوعًا، وأنه يمكن لصاحبه أن يبيعه بما يشاء حسب السوق في العرض والطلب، ويمكن لمن يريده الشراء منه أن يشتري منه ما يشاء من دون حد لما يشتريه قلة أو كثرة.

ومررنا بحوانيت ومنتجات وطنية قليلة قالوا: إنها أيضًا شخصية يملكها أصحابها، ولكن الدولة تأخذ منهم من الضرائب بقدر ما يبيعون ويربحون.

كما مررنا بمصنع للسجاد من دون أن نقف عنده أيضًا، فالوقت ضيق، وأمامنا موعد للخروج إلى المطار والرجوع إلى (أورومشي) عند منتصف النهار، كما أن هناك عدم الرغبة عند مضيفينا في الاحتكاك المباشر بسائر الناس، وكثرة الأسئلة عما يرون أنه لا يعنينا وأجوبة القوم التي ربما لا تريحهم.

واخترقنا سورًا قديمًا مبنيًّا بالطين، ولكنه قوي وهو يذكرنا بالماضي، وقد تجاوزت المدينة بعضه إلا أنه لا يزال من الناحية التي مررنا بها منه يعتبر في طرف المدينة.

ثم مررنا بأبنية (عمارات) حكومية حديثة مبنية بالآجر والأسمنت ومستشفى عام مركز الرياضة البدنية وهو حكومي بطبيعة الحال، إذ الأبنية والمؤسسات العامة كلها حكومية.

والشوارع الرئيسية التي مررنا بها كلها مزفتة غير أن الغبار يتطاير منها؛ لأن طبيعة أرض المدينة طينية، وليس لديهم آلات حديثة تكنس الغبار وتنظف الشوارع منه.

وفي هذه الشوارع أشجار مستقيمة ربما كانت من الأشجار التي تسمى الأسطوانية تشبيهًا بالأسطوانات - جمع أسطوانة وهي العمود - وذلك لاستقامة سوقها، وقلة تشعب فروعها وهي من أشجار الظل، وقد عمتها الخضرة مثل غيرها من أشجار الظل هنا كأوراقها خضر، وبعضها وارفة الخضرة بخلاف أشجار الظل في (أورومشي) فهي لا تزال خامدة، بل هامدة؛ وذلك للفرق في الموقع ما بين كاشغر و(أورومشي).

مسجد سوق القطن:

لم تطل الجولة بسبب ضيق الوقت ولغير هذا السبب كما قدمت.

فذهبنا إلى منزل الشيخ (محمد قاسم قاري)، وكان في الطريق إليه حي ليس بعيدًا عن منزله فيه مسجد قديم اسمه (بخته بازار مسجد)، وتعني مسجد سوق القطن فبخته هو القطن وبازار: سوق.

وقد أثر السوق الذي كان سوق القطن، ولا شك في أن كلمة القطن في حد ذاتها تدل على الحضارة، لا سيما إذا اقترنت بسوق كامل للقطن، فهذا يدل على الازدهار الحضاري، غير أن ذلك قد ولى عند هذا السوق، ولم يبق فيه إلا مطعم صغير نوه القوم بأنه (شخصي)، مع أنهم ليسوا بحاجة إلى ذلك التنويه؛ لأن المطعم صغير لا يوحي مظهره بأنه مما تمتلكه الدولة أو تديره.

وفي بعض أركان هذا السوق أيضًا افتتحت حوانيت صغيرة إن لم نقل حقيرة، ونعني بحقارتها المعنى اللغوي وهو ضآلة القدر لا رداءته، فهي من الطين وضيقة المساحة، والبضائع التي توجد فيها هي قليلة، بل ضئيلة والسبب في ذلك أنها حوانيت (شخصية)، وأيضًا أرجو المعذرة عن تكرار هذا الوصف، فهكذا كان القوم يكررونه، ولهم العذر في ذلك؛ لأنه قد مر بهم زمن من الطغيان الشيوعي كان مجرد التفكير في أن يكون للناس ممتلكات خاصة ولو صغيرة ضربًا من الخيال وكان أغرب من ذلك أن يكون لهم التصرف في شيء من المال، أما الآن فقد تبدل الحال، وأصبحت الممتلكات الشخصية مشتهرة بل منتشرة وإن تكن لا تزال قليلة مختصرة.

ولقد انتهزت الفرصة فخالست القوم، ثم انفلت منهم أتجول والتقط بعض الصور المهمة التذكارية لهذه الزيارة.

في بيت كبير العلماء:

وهو أخونا بل شيخنا؛ لأنه شيخ إخواننا هنا وهو الشيخ (محمد قاسم

قاري) إمام جامع عيدكاه الذي كان معنا أثناء إقامتنا القصيرة في كاشغر.

وهو شخصية قوية قد جمع بين الدين والسياسة، أو لنقل الكياسة في السياسة حتى يصل إلى الرئاسة الشعبية في الأمور الدينية، وإلا فإن للشئون الدينية كما تراها السلطان الرسمية موظفين حكومين مخلصين.

والقصد من ذلك هو الاستجابة لدعوته إلى تناول طعام الغداء في بيته في جلسة معه ومع عدد من المشايخ وأهل الدين، والغريب في الأمر أنهم ذكروا أن موعد الغداء هو الواحدة ظهرًا، وتبين أنهم هنا كما في (أورومشي) يعتمدون في الحفلات والبرامج الرسمية توقيت عاصمة الصين (بكين) مع أنها تبعد عن (أورومشي) أربع ساعات بالطائرة النفاثة، وتفترق عنها بساعتين في التوقيت، هكذا هنا يريدون بالواحدة في توقيت بكين وتساوي هنا الحادية عشرة وهو موعد مبكر على الغداء، إلا أن السفر الذي كان مقررًا أن يكون في الثانية عشرة ظهرًا بتوقيت تركستان (سنكيانغ) هو الذي حملهم على التبكير بالغداء، مع أننا كنا أفطرنا قبل قليل في دار الضيافة.

وجدنا منزل الشيخ (محمد قاسم) يقع ملاصقًا لبناء عليه بوابة خارجية مثلما تكون على الأفنية المكشوفة للمساجد القديمة، مما يدل على أنه مسجد كبير أو مبنى ذو أهمية دينية غير أنهم لم يرونا إياه رغم طلبي ذلك.

والحي الذي يقع فيه المنزل بيوته من الطين إلا أن منزل الشيخ قد بني بناء حديثًا غير الأول، وكانت غرفة استقبال الضيوف واسعة نسبيًا مبنية بالآجر، ومفروشة فراشًا حسنًا، وذكر لنا الشيخ قاسم أنه قد أتم بناؤها قبل سنة واحدة، وهذا يفسر كونها كذلك؛ لأنه لم يكن باستطاعتهم في الماضي عندما كان الطغيان الشيوعي على أشده أن يفعلوا ذلك.

يدخل الداخل من الشارع إلى الزقاق؛ لأنه غير واسع، وإن لم يكن ضيقًا ولكنه غير مزفلت إلى فناء مكشوف من البيت غير واسع فيلج غرفة الجلوس التي رفعوها قليلًا عن الأرض وبجانبها رواق مرفوع عن الأرض أيضًا مفروش بالحصر بخلاف غرفة الاستقبال فهي مفروشة بسجاد جيد، ومحاطة بحشايا قرب الجدران يجلس عليها دون كراس، وهذه هي الطريقة التقليدية عندهم مثلما كانت عندنا ولا تزال تستعمل في بعض القرى والبيوت التي تحافظ على القديم.

وجدنا لدى الشيخ طائفة من الإخوة والمشايخ وأغلبهم من كبار السن مثله، بل هم على شيخوختهم يكادون يعتبرون من الشبان بالنسبة إلى الشيخ، منهم الشيخ (عبد الصمد مخدوم) الذي يدل اسمه على أنه يخدمه غيره لكن الحقيقة أنه هو الذي كان يخدمنا، بل كان يخدم الشيخ، وذكروا أنه قد دأب على خدمة إخوانه الذين يحبهم برغم كونه ذا منصب رفيع في البلدة فهو عضو مجلس الشعب أو (الكونغروس) في الصين، فهو يرتدي الملابس الوطنية القديمة التي أهم ما فيها الجبة والحزام عليها في الوسط وطاقية تركستانية منجمة ذات أربعة أضلاع، ومظهره الذي لا يخلعه هو يشتمل على لحية معفاة عريضة.

والشيخ عبد الصمد يبلغ الرابعة والستين من العمر، ومع ذلك هو قوي البنية، لا أنسى دفاعه عنا في زحام جامع (عيدكاه) يوم أمس، فقد كان أقوى حتى من الشبان الذين كانوا معنا في هذا الأمر.

عندما اطمأن الجلوس بالوفد في منزل الشيخ أسرعوا بعد الترحيب بمد السماط، وهو من القماش على الأرض، وابتدأو يضعون عليه من أصناف الطعام المعهود وغير المعهود ومنه خبز محلي وحلوى وفاكهة مجففة، وتفاح طري وسكر نبات، وقوالب من السكر المعتاد ونوع من الشعيرية اللذيذة يمكن أن يقال: إنها مما اختصت به هذه البلاد التركستانية، والأمر كذلك بالنسبة إلى

باقي الصين، فهم لا يصنعونها كما يصنعها التركستانيون، وشربة محلية فيها كرات من الكباب وهو اللحم المشوي الذي يغلي أيضًا بعد شيه، ونوع مما اختصوا به من الطعام يسمونه (مانتو) وهو شبيه (السمبوسك) على البعد إلا أنه يغلي غليًا ويؤكل مسلوقًا ولا يقلي كما يفعل بالسمبوسك، وكثيرًا ما يكون اللحم الذي يحشى به كثير الدسم، وكل ذلك في صحون كثيرة متعددة وبسخاء أعجب من قلة إمكاناتهم المالية.

والغريب أن هذه المآكل كلها هي مقدمة للمائدة الرئيسية التي لم يبدأ إحضارها بعد إلا أننا كنا قد أمعنا في هذه المقدمات أكلًا، وكنا حدثاء عهد بأكل فطلبنا أن نعفي من بقية المائدة التي هي في الحقيقة المائدة الرئيسة، فقبلوا ذلك بعد تمنع تقديرًا منهم لضيق الوقت.

وقد حضر المائدة جمع من علية القوم وكبرائهم بلغ عددهم اثنين وعشرين شخصًا، ومنهم مدير الشرطة واسمه (أبو القربات)، وقيل لنا: إن الشيخ محمد قاسم يعد من الكرماء الذين يقصدهم طلبة العلم للاستفادة التي يكون معها في أكثر الأحيان الضيافة، وأن بابه مفتوح لهذا الغرض.

وقد قدمنا لهم وبيد الشيخ (محمد قاري حاجي) حسبما أشار به أهل البلاد ومرافقونا من بكين و(أورومشي) تبرعات للمساجد من أهمها عشرة آلاف دولار أمريكي نقدًا لفرش جامع (عيدكاه) وخمسة آلاف دولار لترميم مساجد (بخته بازار) و(قشقان بازار) و(توثوزناش).

كما قدمت له آلات تسجيل وأشرطة مسجلة عليها تلاوة القرآن الكريم بقراءة الشيخ عبد الله خياط إمام المسجد المكي الشريف هدية لعدد من المساجد، وقدمت هدايا شخصية للشيخ (محمد قاسم) ولغيره من كبار الحاضرين من الساعات وتمر المدينة المنورة.

العودة إلى الجولة:

كانت العودة إلى الجولة في عودة إلى دار الضيافة أو الفندق، ويسمون الفندق: (مهمان خانه) ومعناها: منزل الضيف لأن (مهمان) في لغتهم ضيف، وقد دخلتها من الفارسية، والخانة كالخان: منزل المسافر وهي كلمة كانت شائعة في البلدان العربية، وإن كان استعمالها آخذ في التقلص وكانت شائعة في القديم لهذا المعنى كما قال أحدهم:

يا أيها السائل عن منزلي ... نزلت في (الخانِ) على نفسي

آكل من كيسي ومن كسرتي ... حتى لقد أوجعني ضرسي

وكانت الجولة أيضًا في الطريق إلى المطار وهو يخترق جانبًا من المدينة، وكان من المناظر التي رأيناها في هذه الجولة منظر امرأة راكبة فوق عربة رثة يجرها بغل، ورجل معه وعاء حديدي كبير (برميل) قد حمله على بغل صغير، ولا أدري ما في داخل هذا الوعاء، ولكن شيوع استعمال البغال، بل وسائر الدواب في الحمل هنا يدل على عدم التطور؛ لأنها متعبة، ولا تحمل بطبيعة الحال ما تحمله سيارات النقل الصغيرة من حيث الكثرة والسرعة في البلدان المتقدمة.

وعدد من الحوانيت الصغيرة التي يملكها أشخاص وهي موضع فخرهم ولا يملون من لفت الأنظار إليها على اعتبار أن ذلك مظهر من مظاهر انهزام الشيوعية، وبِشير خير على تخفيف قبضتها عن رقابهم كما يعتقدون.

ومن أكثر الأشياء التي تسترعي انتباه الغريب في هذه البلاد منظر الشيوخ الطاعنين في السن الذين قد تركوا لحاهم البيض التي لا تلقى العناية بالتمشيط والتسريح وعددهم كثير جدًّا، ربما لكون أكثر الكهول أيضًا يتركون لحاهم تنمو كيفما اتفق مثل الشيوخ.

ويزيد المنظر غرابة أو انسجامًا وتماشيًا مع ما يشعر به الغريب هنا من أن هذه المدينة المسلمة لا تزال تعيش في القرون الوسيطة شيوع بيوت الطين وكون هؤلاء الشيوخ ذوي اللحى الكثة يخرجون منها أو يدخلون أو يستندون إلى حوائطها، إضافة إلى شيء مهم كان ملازمًا لذلك ومرافقًا له في القديم ألا وهو منظر النساء المتحجبات بحجاب سميك يغطي وجوههن، ولا يزال عدهن لا بأس به من حيث الكثرة في هذه المدينة، وحتى الشابات منهن لا يتحجبن، ولكنهم يتسترن بحيث لا يرى من جسد المرأة إلَّا وجهها وكفاها.

وشيء آخر شدني أيضًا إلى عهد مضى حينما كان شائعًا في بلادنا، وترك الآن وهو منظر رجل يخلط طينًا للبناء، وقد غرقت ساقاه في (خلطة) الطين كما نسميها.

وهذه المظاهر التي لا تدل على التقدم الحضاري الحديث، بل تدل على عكسه - هي موجودة رغم الإمكانات الكثيرة الموجودة في البلاد من صلاح الأرض للزراعة، وازدهارها فيها؛ لأن أكثر هذه المياه تذهب، كما كان والي المنطقة قد قال لي أمس إلى الصحراء حيث تتبخر فيها، وقال: الجنوب بلاد زراعية والشمال بلاد منتجة للحيوان بسبب البرد الذي لا تصلح الزراعة فيه إلا في فترة قصيرة من السنة، وهذه من المظاهر الأساسية الواضحة في مدينة (كاشغر) وإن كنت أنا وأمثالي ممن قرءوا تاريخها القديم وعرفوا أمجادها الغابرة لا يستنكرون ذلك منها، ولا يستغربونه، بل إن العكس هو الصحيح.

والصحيح أيضًا أنه يمكن أن يحكم عليها بأنها بلدة مهملة رغم أهميتها وكونها عاصمة لولاية تضم أكثر من مليونين من السكان وتشغل مساحة واسعة مهمة من الأرض.

وجرى حديث حول إهمال هذه المدينة المسلمة، فقال أحد الرفاق: إن السبب في ذلك أن أهلها ليسوا شيوعيين، ولا يعتقدون بالشيوعية لذلك أهملوا.

وقال آخر: ولكن كثيرًا غيرهم من أهل الصين كذلك باعتراف الحكومة التي ذكرت أن عدد أعضاء الحزب الشيوعي ثلاثون مليونًا في الوقت نفسه الذي أعلنت فيه هذه الحكومة نتيجة إحصاء السكان في البر الصيني، وذكرت أنه يزيد على ألف وثلاثين مليونًا، فهناك الأكثرية الهائلة التي تزيد على ألف مليون نسمة ليست شيوعية، وليست منظمة إلى الحزب الشيوعي، وإنما هي محكومة بالشيوعين الذين كانوا في أول أمرهم يدعون أن حكمهم ليس شيوعيًا، وإنما هو شعبي تشترك فيه مع الشيوعيين طائفة من الجماعات غير الشيوعية، وإن كشفوا القناع عن هذا الخداع إبان ما أسموه بالثورة الثقافية التي أذلت الصينيين وجوعتهم حتى انتفض عليهم الشعب، فأسقط قادة تلك الثورة الثقافية الذين يسمون عصابة الأربعة، وصار يبطل ما أصلوه شيئًا فشيئًا، مع ملاحظتهم باللعنات وما زال كذلك حتى الآن.

إلا أن الحكم الحالي لا يزال شيوعيًا، ولا يزال يسكت عن زعيم الثورة الشيوعية (ماو تسي تونغ) و(إن في الشر خيارًا) كما يقول العرب، أو كما يقولون في مثل أصرح منه: (بعض الشر أهون من بعض).

وقال آخر من الرفاق أيضًا: ربما كان السبب في عدم تطوير مدينة (كاشغر) هذه أنها مدينة داخلية كانت مغلقة دون الزوار الأجانب في السابق، لذلك لا يهتمون بها كما يهتمون بالمدن التي يطرقها السياح والزوار.

أما الجو في (كاشغر) الآن فإنه جو معتدل يماثل أواخر الشتاء في وسط الجزيرة العربية، أو أوائل الربيع، مع أن الفصل عندهم هو فصل الربيع.

والفرق ما بينها وبين (أورومشي) في الجو واضح جدًا، ولذلك يلاحظ المرء ذلك على وجوه السكان هنا التي غدت أكثر نضارة وطراؤه من وجوه أهالي (أورومشي)، وكذلك في النبات الذي هو أكثر خضرة وآنق منظرًا.

وأكثر المزروعات المزدهرة هنا هي القمح والشحير كما هي عليه الحال بالنسبة على (أورومشي).

والسيارات قليلة في شوارع (كاشغر)، ولكنها أكثر منها في المدن الصينية المماثلة في الحجم وعدد السكان لمدينة كاشغر، والشيء الآخر المهم الذي تقترن به هذه المدينة في نظر السائح العابر عدا الديانة والتاريخ هو كثرة الحروف العربية في اللافتات التي تعلو الأبنية المهمة وحتى الحوائط، بحيث تبدو في أكثر الأحيان وحدها دون أن تكون معها الحروف الصينية، وإن كان العربي لا يستطيع فهمها لكونها باللغة الإويغورية كما هو ظاهر.

ويلاحظ هنا كثرة الفتيات المسلمات اللاتي يمتطين الدراجات، وبخاصة في ضواحي المدينة؛ لأن الدراجات هي وسيلة الانتقال الوحيدة التي يمكن تملكها.

ومررنا ونحن في طريقنا إلى المطار بسوق قديم للخضروات أكثره مما جلبه الفلاحون بأنفسهم، وليس هو بالكثير كما مررنا بأحد نهري كاشغر التي قالوا فيها: إنها بين نهرين وتقدم ذكر الشعر في ذلك.

ونكرر القول هنا بأن الطريق من المدينة إلى المطار الذي بلغ سبعة كيلومترات هي غير مزفتة، وذلك منذ أن يفارق الشارع العام المزفت المتصل بقلب المدينة.

وقد أتيحت لنا فرصة مشاهدة مبنى المطار أو ما يصح أن يسمى تجاوزًا بمكاتبه، فهي بجميع أقسامها لا تتجاوز اثني عشرة مترًا في خمسة أمتار، وهي سيئة جدًا من حيث البناء، ومن حيث الترتيب وأسوأ من ذلك أثاثها فهو من الخشب الرث الذي تآكل بفعل الزمن وأصبح ذا خروق وشقوق، وقد ازدحم

هذا اليمنى على صغره بالناس؛ لأن السفر بالطائرة - على صغرها أيضًا - حدث مهم يحضر الناس مع أقاربهم الذين يسافرون ليودعوهم ويتفرجوا برؤية الطائرة.

مع أن أجرة الطائرة تعتبر غالية جدًّا بالنسبة إلى المواطنين، فقد أخبرونا أنها مائة ين للمواطنين ومائتان وخمسة وثمانون ينًّا للأجانب، ومائة ين تساوي بالصرف الرسمي (45 دولارًا أمريكيًّا)، وهي ليست كثيرة في عرفنا، ولكنها تساوي راتب العامل المتوسط مدة شهرين، فهي بهذا المقياس تساوي أربعة آلاف ريال بالنسبة إلى راتب العامل المتوسط في بلادنا وهو ألفا ريال في الشهر.

وفي هذا البناء الصغير أجروا التفتيش من أجل الأمن فزادوها ازدحامًا.

وداعًا يا كاشغر:

غادرنا كاشغر في الثانية عشرة إلَّا ربعًا ظهرًا على طائرة صغيرة من الطراز نفسه الذي لا يسير على هذا الخط غيره، إلا أنه مختلف كبرًا وصغرًا فبعضه يحمل ستة وعشرين راكبًا، والكبير يحمل ستة وأربعين وهي التي ركبنا فيها وهي ذات محركين مروحيين.

وقصدت (آقسو) لتنزل فيها وتتزود بالوقود ثم تواصل رحلتها إلى أورومشي عاصمة المقاطعة.

وعندا فارقت الطائرة أرض المطار غشيني شعور غريب امتزج فيه الفرح بتحقيق هذه الزيارة القصيرة لهذه المدينة المسلمة الصامدة بشعور الأسف على حالتها الحاضرة التي أسوأ ما فيها أن أهلها لا يستطيعون أن يسهموا مع إخوانهم المسلمين في العالم في تقدم الإسلام والعمل على انتشاره في العالم، بل إنهم يجاهدون حتى في المحافظة على رأس المال من التراث الإسلامي الأصيل لديهم.

وكنت أغالب الدمع وأنا أرى هذه المدينة المسلمة تبتعد في قتام وغبار في الجو وأنا آسف لكوني لم أشف النفس برؤية كل ما أريد رؤيته فيها، إلا أن أحد الإخوة اقترب مني من خلف الكرسي يحدثني بشيء خفف عني بعض ما وجدته.

وقد جاءت المضيفة الصينية وهي صينية أصلًا وفصلًا، وليست (أوبغورية) بالضيافة في أكواب من عصير التفاح أو من الشاي الصيني الخفيف أيهما شئت.

وسارت رحلة الإياب إلى (آقسو) كما كانت قد سارت رحلة الذهاب عنها، وقبل ثلث ساعة من الوصول وزعوا أكياس الحلوى الصينية غير الجيدة، ومع ذلك فرح بها المرافقون الصينيون عندما أعطيتهم إياها؛ لأنني لا أستسيغها بعد الحلوى الجيدة التي نعرفها في بلادنا إضافة إلى كوني لا أحب الحلوى على وجه العموم.

ولم تضع الطائرة طويل وقت في مطار (آقسو) كما كانت قد فعلت في المجيء إلى كاشغر، وإنما اقتصر ذلك على تزويدها بالوقود ونزول ركاب وصعود آخرين.

وكنت أفكر وأنا في العودة إلى (أورومشي) فيما تفرضه الزيارات الرسمية من قيود وحدود على الزائرين، وإلا لكنت سجلت عن كاشغر أكثر مما سجلته والتقطت من الصور لها ما أرادته، غير أنني رجعت إلى نفسي قائلًا: إن ما كتبته أو صورته هو جهد المقل، وهو لا يمنع من أن تتاح له فرصة الزيارة الخاصة إليها ولديه المقدرة والاستعداد للكتابة أن يفعل.

وفيما يتعلق بهذه الطائرة التي هي من صنع صيني أعجبت بهدوء محركاتها بالنسبة إلى حجمها، وإلى كونها ذات محركين مروحيين، وقد نام أكثر الركاب بسبب الهدوء فيها وكون صوت المحركين رتيبًا لا يزيد أو ينقص في أكثر الأحوال.

وعندما كنا فوق (جبل السماء) كان الجو لا يزال غير صافٍ، ومع ذلك التقطت له صورة أرجو أن تكون واضحة.

العودة إلى أورومشي:

عندما وصلنا إلى أورومشي وجدنا الجو فيها دفيئًا، ووجدنا الموكب المعتاد من السيارات التي تتقدمها السيارة الرسمية السوداء المخصصة لرئيس الوفد وحارسه ومرافقه حاضرة في المطار، وكان الحارس الأمين (نور محمد) يستقبلني بحرارة وهو أحسن من حارس كاشغر الذي كاد يضيع مني عند الحاجة إليه في زحام جامع (عيدكاه).

وفي الطريق إلى دار الضيافة تكرر ما لاحظته في السابق، وهو أن سيارات الموكب وبخاصة السيارة المرافقة الأولى كانت تلح بأبواقها على المارة في الشارع؛ لكي يفسحوا لها المجال بسرعة السير.

وعدنا إلى دار الضيافة فاستقبلنا العاملون فيها الذين كلهم من المسلمين بالترحيب.

وبعد وقت قصير كانوا ينادوننا إلى العشاء الذي يقدم في السادسة لا يتأخر عن ذلك أبدًا.

وكانت في النهار بقية بعد الفراغ من تناول العشاء قضيناها في تمشية خاصة في حديقة دار الضيافة الواسعة، ولاحظنا الفرق ما بين وصولنا، وهذا اليوم وهو أن الأشجار قد بدأت بولادة أوراقها، فصارت في الغصون كالحبوب الصغيرة التي لا تكاد تُرى، فالوقت هو وقت الربيع وهو أمر لم نلاحظه عند وصولنا إليها قبل بضعة أيام، وصح بهذا ما ذكره لي أحدهم عندما سألته عن وقت ابتداء الأوراق في هذه الأشجار الميتة، فقال: بعد أسبوع.

يوم الأحد 2/ 7/ 1404هـ - 4/ 1984م:

النجدة السماوية:

بعد فطور شهي قدمته المضيفة (كلبهار) ذات الوجه الأبيض الحزين، بل الذي يشع الحزن منه في كل نظرة وحركة حتى في الابتسام.

قدمت لنا الجمعية الإسلامية هدية مناسبة للمقام، إلا وهي جبة محلية تشبه المعطف تلبس فوق الثياب في الأيام الباردة، ومعها قلنسوة، أي: طاقية تركستانية أصيلة، وقالوا: هذه هدية تذكارية وستنفعكم عندما نذهب إلى (بركة السماء)؛ لأنها تقع في منطقة من الجبال العالية، لذلك هي باردة، بل شديدة البرد حتى بالنسبة إلى جو (أورومشي) البارد.

واقترح أحد الإخوة أن نعجل بلبسها هنا حتى نلتقط صورة تذكارية مع الإخوة المرافقين عند باب الضيافة فكان ذلك.

تركنا دار الضيافة في السابعة والنصف صباحًا بعد أن تركنا فيها ملابسنا العربية، واستبدلناها بالملابس التي تسمى إفرنجية، وإن لم يكن لبسها مقتصرًا على الإفرنج فهي أكثر دفئًا، وأسهل للحركة، واستبدلنا معها شيئًا مهمًّا آخر ألا وهي سيارات الموكب الصغيرة المعتادة بسيارات قوية من سيارات الجيب؛ لأنها هي التي يمكن بها قطع الطريق الجبلي غير المزفلت، ولكنها من صنع ياباني قوي، وعددها أربع قد امتلأت أو كادت بالوفد والمرافقين.

وفي السيارة التي كنت فيها مسجل أداره السائق على أغان محلية أويغورية أي تركستانية، وهي ليست بعيدة من موسيقانا العربية بعدًا شديدًا، بل الغريب أنها أقرب إليها من الموسيقى الباكستانية - مثلًا - التي هي أقرب إلى بلادنا من تركستان الشرقية بكثير.

إلى البركة السماوية:

تقع (البركة السماوية) على بعد 114 كيلومترًا إلى الشرق من (أورومشي)، ولكنها في منطقة جبلية، ولذلك سنذهب إلى جهة الشمال أولًا، غير أننا قبل أن نفارق مدينة (أورومشي) لا بد أن نسجل ما لفت انتباهنا وأولها تسمية الجهات الأربع الشرق والغرب والجنوب في اللغة التركستانية، فهي عربية وقد ذكرت ذلك لمناسبة سؤالي عن الجهة التي تقع فيها البركة السماوية وقولهم: إنها جهة الشرق.

وثانيها أشياء في شوارع المدينة نفسها منها أنني رأيت رجلًا يصلح إشارة المرور الكهربائية في شارع المدينة الرئيسي، وهو واقف فوق ظهر حافلة في الشارع قد أوقفها لهذا الغرض، وهذا يدل على عدم توافر سيارات خاصة لهذا الغرض حتى سيارة تحمل سلمًا لمثل هذه الأمور.

ورجلًا وصبية لعلها ابنته يتعاونان على دفع عربة من العربات التي يجرها الحيوان، ولكن ليس معهما حيوان، وآخر يجاهد في إيقاف بغله الذي يجر عربة لكي يفسح الطريق لمرور سيارات الموكب.

وكثرة المشاة في الشارع العام وقلة الدراجات فيه بالنسبة إلى مدينة بكين، عاصمة الصين، وعدد غفير من الناس واقفين في محطة الحافلات ينتظرون وصول إحداها ليركبوها.

كان خروج الموكب من جهة الشمال الشرقي من المدينة مع ضواحٍ شوارعها مزفتة، ولكن ليس فيها أرصفة بخلاف الشارع العام داخل المدينة نفسها الذي هو مزفت و(مُرَصَّف).

في ريف أورومشي:

أول ما يلفت نظر الزائر في هذا الريف مهما تكرر نظره إليه - بيوت الطين الريفية غير البهيجة المنظر؛ لأن لون الطين عندهم ليس أحمر كما هو الحال عليه في مدينة (كاشغر)، أو حتى في بلادنا في وسط الجزيرة.

ونقص الآلات الحديثة الذي لا بد أن يرى المرء له شاهدًا مثلما رآه في قوم يحاولون تسوية قطعة من الأرض وتمهيدها للزراعة، بالمساحي - جمع مسحاة وهي المجرفة - التي يحملونها بأيديهم.

وفي هذا الريف يرى المرء وجوهًا صينية غير تركستانية كثيرة في بعض القرى وبكين تسميها بالمستعمرات تحاول الحكومة الصينية أن تنقل إليها أناسًا من الصينيين الكفار المسمين بالخان، وإن تهيء لهم السكن فيها مع أن الجو نفسه جو قاسي بالنسبة إليهم؛ لذلك ترى وجوههم كالحة غير نضرة.

وهذا جزء من استيطان الصينيين (الخانيين) في هذه المقاطعة الإسلامية العريقة وهو خطر عظيم؛ لأنني كما قلت لإخواني: أصبحت بعد مشاهدة مظاهر الشعور الإسلامي العميق هنا لا أخاف على إسلام هؤلاء الإخوة التركستانيين، وإنما أخاف على بلادهم من (التصيين) أي صبغها بالصبغة الصينية الكافرة، ثم أن يصبح الصينيون كثرة كاثرة، فيصبح المسلمون التركستانيون أقلية في بلادهم، وهذا أمر فظيع، ولكن الأفظع منه أن يشعر المسلمون تبعًا لذلك بأن استقلال بلادهم السياسي والثقافي أصبح أمرًا مستحيلًا، فيذوبون رغمًا عنهم في المجتمع الصيني غير المسلم لا قدر الله.

ولا شك في أن الصينيين سيجدون أن الحرب على بلاد الإسلام أهون من الحرب على عقيدتهم الإسلامية المتأصلة في نفوسهم.

ولاحظنا أن (هوائيات) التلفزة هنا موجودة بكثرة في هذه البيوت الريفية الصينية؛ وذلك لكون أكثر السكان فيها من العاملين في الحكومة أو المؤسسات العامة، وهذه الأمور من أدوات الترغيب لهم.

قرية مركز الفحم:

لاحظت في الريف كثرة مصانع الآجر، وذلك بطبيعة الحال بسبب قلة الأسمنت وسهولة الحصول على المادة الرئيسية في الآجر وهي الطمي ورخص الوقود وهو الفحم الحجري المتوفر في تركستان برخص زائد، وهو كذلك أو قريبًا من ذلك في شمال الصين.

وقد رأيت شاهدًا لذلك في السيارات غير الكثيرة التي رأيناها تسير على هذه الطرق الريفية، وهو في أغلبها سيارات من سيارات الشحن محملة بالفحم الحجري المستخرج من مناجم قريبة من هنا.

ولذلك لم أعجب عندما مررنا بقرية ذكروا لنا أن اسمها (تونغ تن)، وإن معنى اسمها: (مركز الفحم) الذي يراد به الفحم الحجري.

ورأينا قبل الوصول إليها مصنعًا لإصلاح السيارات مع أن المنطقة منطقة ريفية زراعية تنتشر فيها حقول القمح الذي لا يزال قصيرًا.

ثم مر الطريق على مصفاة للنفط تقع جهة اليمين منه في منطقة يدل اسمها على هذا المعنى أيضًا وهو (قراماي) بمعنى القير الأسود أو الزفت الأسود، والقير: كلمة معربة كانت مستعملة في العصر العباسي لهذا النفط المستخرج من (نفاطات) كانت موجودة بشكل طبيعي على وجه الأرض، أو قريبة من وجه الأرض من مناطق في العراق في القديم ومنه ورد في مثل عامي كنا نستعمله في منطقة القصيم وقد أتى إلينا من العراق من دون شك، وهو يقال في الدعاء على

الشخص وعدم المبالاة بالضرر الذي يصيبه: (للقير والطنجير) والطنجير: القدر.

وقد أصبحت كلمة (قير) التي كانت مستعملة عندنا أيضًا بهذا اللفظ (قار) كما أسلفنا.

وغير بعيد من مصفاة النفط كان يوجد مصنع للسماد، وأنابيب ممتدة تنقل النفط الخام.

ومما يجدر بالذكر هنا أن معظم النفط أو ما يسمى بالبترول الذي تنتجه الصين الشعبية هو من هذه المنطقة الإسلامية التي لا تقتصر أرضها على إعطائهم النفط، بل إنها تضم الذهب والفحم الحجري واليورانيو المشع.

وتقع المنطقة التي ينبع فيها النفط على بعد 420 كيلومترًا من مدينة (أورومشي).

في الصحراء:

ابن الصحراء يعجبه منظر الصحراء، وقد يطربه ذلك لا محبة في جدب الصحراء، ولكن لأن منظرها يثير في نفسه ذكريات من ذكريات شبابه وربما من صباه أيضًا.

ولذلك عندما أبعدنا عن مدينة (أورومشي)، ووصلنا لمنطقة صحراوية خالصة ليس فيها ينابيع، ولا زراعة للقمح حتى الزراعة البعلية وحتى عشب الصحراء لم يخضر بعد، وربما لا يخضر بعد ذلك لشح الأمطار كان من أمانيّ الساذجة أن يقف الموكب في الصحراء، لاستجلى معالمها، وأقارن ما بينها وبين الصحراء في بلادنا، ولو قلت لهم ذلك لسمعوا وأطاعوا؛ لأننا ضيوفهم، وهم يعملون على إكرامنا بالاستجابة لما نطلبه غير أنني أخشى من أن يسخروا منا سخرية لاذعة.

وكان أبرز ما في هذه الصحراء من المناظر الطبيعية تلال رمادية متطامنة، كأنما هي منفوشة نفشًا، ولا شك في أن من أساسيات ذلك أنها تلال طينية وليست حجرية، وأنها عارية من الأشجار والنباتن وغنم ترعى في الوديان الضيقة التي تقع بين هذه التلال، وهي لا تخلو بطبيعتها من الأعشاب.

ثم مررنا ببيوت قليلة من لبن الطين رأينا بقربها صبيين اثنين يرعيان خمس شياه لا تزيد، ثم اتسعت الأرض وأصبحت بدون عمارة وكأنها صحراؤنا في البرية في فصل الصيف.

ومع ذلك رأيت أربعًا من الخيل تبحث عن مرعى، وحمامات بيض تلتقط الحب من روث البغال التي تسير في الطريق.

وزادت التلال المتطامنة، وتعددت ألوانها ما بين رمادية وحمر، ودُهْم وفي الوديان أشجار صحراوية لاطئة بالأرض قد شواها الثلج والبرد.

وفي مكان منخفض رأيت سبخة كالسباخ التي تكون لدينا في الصحراء.

الإبل التركستانية:

وصلنا إلى منطقة قد جادها المطر، فابتدأت بالاخضرار من عشب قليل، وفيها ثَغَبٌ أي غدير متخلف من ماء المطر، وهذا في حد ذاته منظر أنيق لمن تعود على الصحراء مثلنا.

ولكن المنظر الذي هو آنق منه منظر بعير ذي سنامين قد اعترض في الطريق الأزفلتي ووقف فيه كأنما يتحدى هذه الصناديق التي تقطع الطريق بجلبتها وسرعتها، وليذكرنا نحن الصحراويين بوجوده هنا مثلما فرض ابن عمه الجمل العربي ذو السنام الواحد وجوده في بلادنا.

وهنا وأتت الفرصة، فطلبت من الموكب أن يقف قبل أن نزعج هذا الجمل العجيب بسناميه فيتزحزح عن الطريق، والتقطت له صورة بعيدة، فقد كنت مشفقًا من ألا نستطيع الاقتراب، فهو كان وحده مما قد يدل على أنه من إبل أهل البادية غير أننا عندما صورناه لمحنا على البعد جملين آخرين من ذوات السنامين وهي تغذ السير عليها غلامان أو صبيان من القازاق المشهورين، وكلهم بُداةٌ أي من سكان البادية، وليسوا من أهل المدن.

فقلنا: هذه أيضًا فرصة سانحة واعترضنا مع بعض الإخوة لنخبرهم عن قصدنا وأسرعت بالسلام فردوا بمثله، وصورتهما مع بعيرهما إلا أن الأسف أنه نظرًا لجدب الأرض، فإن سنامي البعير كانا مرتخيين ومائلين؛ لأنه لا شحم يهما لذلك لم يكونا واضحين في الصورة.

سألت أحد الغلمان عن اسمه فأجاب: (علي).

وانتهزت الفرصة لتأمل الأرض إلى جانب العشب الذي لم يصل كبره إلى أن يرعاه البعير بعض الأشجار الصحراوية المعتادة، ومنها الشيح المعروف عندنا بلونه ورائحته المميزة التي لم يتغير منها شيء.

وأما الإبل ذات السنامين فهي قصيرة القوائم، تنقصها الرشاقة وجمال الهندام - إن صح التعبير - و(هندامها): وبر كثيف جدًّا بحيث تكاد تبدو منه وكأنها قد لبست حلة فضفاضة تمامًا مثلما يلبس أهل البلاد تلك الحلة اتقاءً للبردن والحكمة في ذلك أن يقيها هذا الوبر الكث برد الشتاء القارص في هذه البلاد لأني لا أشك في أن بعيرنا العربي لا يقوى عليه، وبخاصة لكونه ذا قوام، وقوائم طويلة يمكن الرياح الباردة (السيبيرية) نسبة إلى سيبريا - غير البعيدة من هنا - أن تلج من تحته في مساحات مرتفعة فتؤذيه.

قرية فوكنغ:

مررنا بقرية ريفية مهمة زراعتها أكثرها قمح أخضر قصير، وشجرها قد بدأت أوراقه بإطلالة مستحية من بين أحناء الغصون، وبيوتها طين تقليدي قد غمرت سطوحها أكوام من تبن القمح يرفعونها فوقها لئلا يفسدها الثلج، وهم يحتاجونها لعلف الدوابِّ، وسطوح البيوت ممالة قليلًا من أجل أن ينزلق عنها الثلج وبجانبها المطينة وهي مكان الطين الذي يؤخذ من الأرض لتبنى به البيوت، وأساس بعضها من الآجر حتى يقيها رطوبة الشتاء.

وحيوانها رأينا منه فرسًا شقراء وبغلًا رمادي اللون، قمحي الهيئة وضأنًا رمادي الشعر أيضًا.

وأهلها فلاحون تركستانيون رأيت عددًا منهم راكبين على بغال وبعض الصينيين الذين كانت منهم امرأة على دراجة.

ولافتات القرية التي رأيناها من الطريق كلها بالصينية، ولم نر معها شيئًا باللغة الأويغورية اللغة الأصلية لهذه البلاد.

وسوقها فيه أناس كثير؛ لأن اليوم هو يوم العطلة الأسبوعية، ولكن البضائع التي في السوق قليلة جدًّا بالنسبة إلى كثرة الناس.

وفي أفنية القرية - أي الأماكن المكشوفة من أطرافها - أكوام من السماد الطبيعي ذكرني بمنظر مماثل له كان يوجد في بلادنا في القديم، وانقرض مع ما انقرض من مظاهر الحياة القديمة.

وأشجار الطريق لا تزال هامدة؛ لأن أوراق الأشجار التي ابتدأت بها الحياة لا تزال غير ظاهرة إلا للعين الفاحصة.

ووسائل الركوب الشائعة هنا هي العربات التي تجرها البغال؛ لأن المنطقة اقتربت من الجبال حيث لا يصبر عليها إلَّا البغال، إلا أن العربات التي تحملها هذه البغال هي أصغر من المعتاد.

ولم نقف في قرية (فوكنغ) هذه إلا بمقدار ما التقطت صورة عجلى لشارع فيها أهم ما فيه حافلات حكومية معتادة.

وإنما تيامنا مع طريق يتجه إلى الجبال ومزفلت زفلتة أردأ من زفلتة الطريق الرئيسية التي كنا نسير معها.

وقد صارت الأرض أكثر خصبًا بسبب قربها من الجبال التي تمدها بالطمي، ولذلك مظهر كثرة إنتاجها القمح في العام الماضي في أكوام من التبن مرفوعة على سطح المنازل، وبعضها موضوع على أشجار كبيرة، وقد جعلوها على هيئة كرات ورفعوها على الأشجار لئلا تتعفن.

ومن مظاهر خصوبتها جدول صغير آت من الجبال وهو يهرول رغم صغره في واد صغير، قال الإخوة المرافقون: إنه يأتي في العادة من ذنوب الثلوج التي على الجبال.

بلاد القازاق:

القازاق: جنس أصيل من الأتراك القدماء، وإن كان الصينيون قد ميزوهم عن التركستانين الذين يسمون الأويغور، فخصوهم بتسمية هي قديمة، ولكنها لم تكن تخرجهم عن مسمى الترك القدماء مثلما أن أسماء القبائل العربية، وإن اختلفت فإنها لا تخرج بهم عن أصل العروبة.

وكذلك فعل الروس في تميزهم بقومية خاصة جعلوا له جمهورية خاصة أسموها (قازقستان).

وهم صنفان منهم أهل حضر وأهل بادية، وهذه البلاد التي نحن عليها الآن فيها من بداة القازاق عدد كبير، وهي فيما قيل لنا كانت مواطنهم، ولا تزال غير أن كفار الصينيين من (الخان) قد نزلوا في بعض الأماكن فيها، وأسسوا قرى أو مستعمرات فيخشى أن يضايقوهم في المستقبل، بل يخشى أن يتغلبوا عليهم في بلادهم.

وأول من رأيناه من هؤلاء الأخوة من (القازاق) فكلهم مسلمون فارسان على فرسين من الحيوان المهم فهم أهل خيل وماشية، ثم رأينا ثلاث خيام في سفح أحد الجبال مما يلي الجنوب اتقاء لزمهرير الشمال الآتي من سبيريا.

وقد بدأنا الدخول في الجبال مع واد لا يزال يماشينا فيه الجداول الصغير الذي كله أمعنا الدخول في الجبال ازدادت مياهه، واتسع مجراه إلا أن الطريق نفسه قد ساءت حاله وضاق.

ثم مررنا بمنجم للفحم الحجري غريب، ووجه غرابته أنه واقع في لحف جبل واقف، والقوم يأخذون منه بسهولة، وعهدنا بمناجم الفحم الحجري في كثير من البلدان أن تكون تحت الأرض، بل على أعماق بعيدة فيهان وأكوام الفحم الهائلة في خارجه.

وعلق المرافقون على ذلك بقولهم: إن أكثر الجبال هنا فيها فحم حجري، وهذا من خيرات هذه البلاد المسلمة بل العريقة في الإسلام.

ثم مررنا بقرية صينية صغيرة كل من فيها هم من الصينين من قومية (خان) التي منها أكثر أهل الصين غير المسلمين، وحالتها سيئة، وحالة أهلها أسوأ، ويسهل تمييزهم على غير الفاحص المدقق؛ لأن مظاهرهم تختلف عن مظاهر الإخوة المسلمين من السكان الأصلاء في هذه البلاد.

وكأنما أرادت القرية أن تبرهن على (صينيتها) الأصيلة في بنية على قارعة الطريق وهي صبية صينية منتفخة الجفنين حتى لتكاد تظن أنها تشكو من ورم في عينيها، وهي بلونها الأصفر ووجنتيها البارزتين والقشف البارز من شدة البرد والجفاف على وجهها ويديها كأنما تريد أن تنسجم مع منظر الصحراء الجافة الباردة، وبقربها خنازير ثلاثة كانت ترعاها خارج القرية لولا أن الخنازير سود.

وربما كان فرط الاستبشاع لهذا المنظر من تصورنا أن هؤلاء الكفار يريدون أن يحتلوا بلاد المسلمين، وينتزعوها منهم بالتدريج عن طريق مكاثرتهم للمسلمين عليها في المستقبل.

داخل خيمة قازاقية:

ارتفع الطريق قليلًا حيث دخلنا بالفعل في منطقة جبال مرتفعة، إلا أننا لا نزال في الوادي الذي يسير فيه الجدول بين هذه الجبال، وهو يتسع أحيانًا ويضيق أحيانًا أخرى.

ومررنا بقرية صغيرة للقازاق بيوتها من الطين، وأكثر ما تراه فيها هو الحطب الذي كانوا قد أعدوه للوقود، فبالبلاد باردة، بل مياه الجدول التي كانت صافية هي الآن في المكان الذي هذه القرية متجمدة في جانبي المجرى، ومع ذلك رأيت امرأتين تستقيان من هذا الجدول الذي فيه الثلج كل واحدة قد جعلت وعائين معلقين في عود من الخشب صلب، وحملتها على كتفيها قاصدة بيتها.

وكل ما حولك يشعرك بالبرد من هذا الثلج أو الجمد أي الماء المتجمد على ضفتي الجدول ومن الثلج الذي تراه بعينك على قمم الجبال المحيطة بك.

ولكن الذي يميز هذه المنطقة غير البرد هو وجود أعشاب وأشجار برية خضر في وديانها المختفية قليلًا عن الرياح الباردة.

ورأيت لوحة على البعد مكتوبة بحروف عربية تحتها حروف صينية، وربما كانت بلغة (القازاق) أو على الأدق لهجتهم، فلغتهم أصلها تركية أو تكون باللغة الأيغورية التي هي لغة التركستانيين هنا.

ثم طلبت من الموكب أن يقف عند خيمة من خيام القازاق التي رأيتها على البعد تشبه أن تكون من جلود، وذكرني مرآها منظر خيام أو لنقل بيوتًا من الجلود لقوم من البدو من المسلمين وهم الطوارق الذين كنت قد رأيتهم بقرب مدينة (تمبكتو) التاريخية الشهيرة في مالي، إلا أن الفرق بين خيمتي الشعبيين البدويين المسلمين غير بعد المسافة الهائل ما بين جنوب الصحراء الإفريقية وهذه البلاد التركستانية التي لا تبعد كثيرًا عن المنطقة السيبيرية الباردة هو أن خيمة القازاق محكمة الإغلاق، على حين أن خيمة الطوارق بلا رواق.

والرواق - إن كنت لا تعرفه - هو حائط الخيمة والسبب في ذلك هو الفرق العظيم ما بين الجو الحار في مالي والجو الشاتي هنا.

ولقد وقفت عند هذه الخيمة الحقيقية؛ لأني كنت مشتاقًا بطبيعة الحال إلى الاطلاع على حال هؤلاء الإخوة المسلمين من القازاق أهل البادية، ولذلك كنت قد وقفت طويلًا عند الخيمة التي أقاموها في متحف القوميات في (أورومشي) قبل أيام، وذكروا أنها تمثل حياة الرعاة من القازاق.

ومع جلبة موكب السيارات الذي عكر هدوء هذه المنطقة خرج القوم، وبخاصة أهل الخيم لاستجلاء الأمر، فكانت منهم بنية صغيرة تحمل (حملًا) صغيرًا، فطلبت أخذ الحمل منها من باب الملاطفة، فأخذته والتقط الأخ إبراهيم الخزيم عضو الوفد صورة لي مع البنية وأنا أحمل (حَمَلها) عند الخيمة، وأسرعت أمها عندما أخبرها الرفاق بأننا مسلمون من المملكة العربية السعودية تفتح باب الخيمة التي كانت مطبقة تمامًا ترينا داخلها، فإذا فيها أباريق في أرضها

على جمر، وزاوية منها فيها بهم صغار وهي أولاد الغنم، حديثة الولادة يدخلونها في الخيمة ليلًا تقيها البرد حتى تكبر قليلًا فيضعونها مع أمهاتها في حظائر من الشجر أو في غرف من الطين.

وكل ما في داخل الخيمة لا يدل على الثراء، أما ما فيه خارجها فإنه حاصن أبيض، وأطفال على البعد يراقبون قد كادوا كلهم ينقلبون إلى عيون، تحملق في هذا المنظر الغريب عليهم.

لا سيما بعد أن نفحت الطفلة التي اقتربت ورضيت بأن تخرج في الصورة معي وعمرها في حدود التسع (ينا) واحدًا وهي ما لم تكن تحلم به.

ومع ذلك رأيت أطفالهم يحيوننا برفع أيديهم على البعد، فتذكرت أهل جزر فيجي في جنوب المحيط الهادئ عندما يحيون السياح، و(شتان ما بين الفريقين).

وتركنا هؤلاء الإخوة وخيامهم سالكين الطريق الذي غاب عن (الزفت) تمامًا، مصعدين مع الجبل شيئًا فشيئًا، فرأينا خيامًا أخرى للقازاق قد نصبوها في الأماكن المنخفضة في لحف الجبل اتقاء للريح الباردة.

الصعود إلى السماء:

السماء في اللغة يطلق على المكان المرتفع، ولكنهم هنا قد أطلقوه على ما يدل على مكان مرتفع عال، وهو البحيرة في أعالي هذه الجبال حيث سموها بحيرة السماء أو البحيرة السماوية، سماوي كول (بوغدا كول).

واتضح الصعود أكثر عندما ضاق الطريق، فرأيناهم شقوا له شقًّا في الصخر لا يكاد يكفي لسيارة واحدة، وذلك في جانب واقف من الجبل يبدو الجبل منه كأنه الحائط المرتفع الذي نشرت عليه ملاءات بيض، وهي هنا الثلوج التي

ترقش هذا الجزء من الجبل ابتداءً من قرب السفح إلى القمة.

ثم صعد الطريق فوق الثلوج، ولكنه كان لا يزال ضيقًا، إلا أنهم الآن يوسعونه وعلى يمين الطريق كان يوجد الوادي السحيق، وقد تطامن وسط هوة عميقة.

وفي هذا الجو الشاتي القاسي رأيناهم يصلحون هذا الطريق الجبلي الصلد، وأغلب عمالهم من النساء اللاتي قد تلثمن اتقاء للبرد، وما قد يحدثه العمل من غبار، وهن إلى تلثمهن يرى المرء في ملامحهن التي لا يرى منها إلا أعالي وجوههن ما ينم عن حالتهم السيئة من حواجب مقطبة، ووجوه تعسة.

وهن كلهن فيما رأينا من تلك الملامح من الصينيات.

ثم مررنا ببحيرة صغيرة قال عبد الله روزي نائب رئيس الجمعية الإسلامية، وكان معي في السيارة من أجل معرفته بالعربية: هذا حوض أصغر إذْ غاب عن ذهنه اسم البحيرة.

ولم نقف عند (هذا الحوض الأصغر)، وإنما واصلنا سيرنا حتى وصلنا.

بحيرة السماء:

كان أول ما لفت نظرنا منها أن رأينا أناسًا يسيرون فوقها كما يسيرون فوق اليابسة، فقد كانت كلها متجمدة كأنها البلورة البيضاء التي تعلوها خضرة قليلة.

ولما أبديت الخوف من السير فوقها أخبرونا أن هؤلاء من أهل البلاد، وهم يعرفون أمرها وأن السير عليها بعد شهر هو مخاطرة؛ لأن الثلج الذي يغشى سطحها الآن يكون قد ذاب جزء منه، فيكون معرضًا للانكسار وسقوط الماشي فوقه في مياهها الباردة تحت سقف الثلج.

وقالوا: إن عمق المياه في البحيرة يبلغ مائة وثلاثة أمتار، أما الآن فإن (الجمد) فوقها وهو الماء المتجمد هو كثيف قوي.

أوقفنا السيارة في مكان مرتفع من شاطئ البحيرة قد أولوه عناية جيدة إذ جعلوا فيه مقاعد حجرية للمتنزهين الذين يريدون مشاهدة البحيرة من دون حاجز، وأما من أراد أن يستريح فإنهم قد بنوا غرفًا متعددة يكون في الغرفة سرير أو سريران وبعضها وهو قل ما فيها غرف للجلوس صغيرة ذات مقاعد مريحة.

كان أول ما بحثت عنه هو اسمها، فوجدته مكتوبًا بثلاث لغات، العليا منها هي الصينية، ويصدق على من يقرأ لنا الحروف الصينية المثل الذي يقول: (اكذبْ، ولا تخاف) فأنى لنا أن نعرف صوابه من خطئه.

وتحتها اللغة الأويغورية أي التركستانية سماو كول، وتحت ذلك اللغة الإنكليزية، ونص الاسم فيها (Heavenly lake) (هفن لي ليك) البحيرة السماوية.

إن المكان جميل، بل رائع، ومع ذلك فإن المتنزهين فيه قليل، ولا شك في أن السبب في ذلك أن أهالي البلاد مشغولون عن التنزه بما هو أهم عندهم من أمور معيشتهم، ووسائل النقل الخاصة عندهم التي توصلهم إلى البحيرة - ليست كثيرة، وأما السياح فإن عددهم قليل؛ وذلك بسبب بعد المقاطعة عن العاصمة، والقيود التي تفرض على زوارها إضافة إلى عدم وجود وسائل انتقال سهلة من البلاد القريبة منها مثل باكستان.

وبادرنا إلى هذه الغرف ذات الكراسي وهم يقدمون الشاي الصيني الحار الذي يكتمون أنفاسه بغطاء من الخزف الثقيل، ويضعونه فوق الكوب الذي هو أيضًا من خزف ثقيل، وذلك من أجل مقاومة السرعة في البرودة، فقبلنا الشاي

الذي كانت بنا إليه حاجة، ورفضنا الغرف؛ لأن المنظر في الخارج مما يضن به أن يضيع بين الجدران، فكان شرب الشاي الساخن وسط هذا الجو الثالج الساجي - متعة عظيمة.

ثم أطلقنا لأرجلنا العنان في هذه المنطقة التي يتنقل البصر فيها من سطح البحيرة الذي يذكر المرء بقوله تعالى: ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ إلى شطانها المرتفعة التي تريد النهوض إلى الأعالي، ولكن الثلج المتراكم يمسك بأطرافها فيقعدها، فترى الغابة المحيطة بالبحيرة وبعض أشجارها من الدائمة الخضرة التي لا يؤثر الثلج والبرد على أوراقها، وقد غاصت أقدامها في هذا الفيض البلوري الأبيض.

وأخذ الرفاق يتبادلون القذائف من كرات الثلج بأيديهم، ومعها قذائف من نكت خفيفة من أفواههم، ويسارعون إلى التقاط الصور حتى أكثروا منها، وكأنما كانوا قد خافوا من أن يختطف هذا المنظر منهم مختطف أو بصدهم عنه صاد.

وكان في المكان مقصف هو مشرب ومطعم من طابقين أحدهما ذو نوافذ زجاجية، بحيث يتمتع من يكونون فيه برؤية البحيرة دون أن يلفحهم الزمهرير.

على أننا لم نشعر بالبرد الذي كانوا قد خوفونا منه، وبخاصة بعد أن ارتفعت الشمس وكانت صاحية في أكثر الوقت لحسن حظنا.

ولقد نفعنا الله بهذه الثياب الوطنية (الأويغورية) التي أهدانا إياها إخوتنا في الإسلام، فلبسنا الجبة أو المعطف فوق الملابس الإفرنجية، واعتمرنا القلنسوة السميكة فوق الرءوس.

ولذلك لذ لبعض الرفاق السعوديين السير على سطح هذه البحيرة البلورية، إلا

أن المرافقين حذروهم من منطقة معينة يصب بجانبها أنبوب ماء حار قادم من هذا المقصف، إذْ قالوا: إن هذا الماء دافئ وربما يكون قد أضعف القشرة الثلجية من جهته، ولكن الإخوة الذين يهوون السير على الماء المتجمد قد اعتبروا هذه فرصة قلما تسنح، فلم يبالوا في ذلك بعذل العاذلين ولا لوم اللائمين.

كما لذ لبعضهم أن يكثر من المشي على حواشي هذه البحيرة، لولا أن الثلج الذي يبتلع أقدامهم يعوقهم من ذلك.

الخيالات المجنحة:

أزف موعد الغداء في الثانية عشرة كما هو المعتاد في الصين الشعبية، فتنادى القوم وهم كثر من أعضاء الوفد الذين يبلغون ثمانية أشخاص ومرافقيهم الذين يزيدون قليلًا عن ذلك إلى الغداء في المطعم المقام في مكان مرتفع على شاطئ هذه البحيرة.

فكانوا يسعون في تقديمه وفكري يعيش في خيال مجنح، وأنا أرى رجالًا يسيرون على البحيرة، فأتمثل ما ذكره الأقدمون من سير ما يسمونهم الأولياء على صفحة الماء دون أن يتعثروا، بل إنهم على زعمهم يسيرون على الماء كما يسير غيرهم على اليابسة.

وكنت أعجب من تصديق بعض الجهال والسذج لكل ما يقال لهم عن ذلك كما امتلأت كتب المتصوفة بأخبار المئات من أولئك المشاة على الماء كما يزعمون، وناهيك بطبقات الأولياء للشعراني والكواكب الدرية في طبقات الصوفية للمناوي.

إلَّا أنني هنا جعلت أسأل نفسي وأنا أرى المشاة على ظهر الماء لا على ظهر اليابسة - ويكفي أن يكون للماء ظهر يمشي حتى يكون المشي عليه حقيقة

لا مجازًا - وقلت: ما دام هذا الماء هو ماء بحيرة السماء، فلم يكون صالحًا للمشي؟ أو ليس ما في السماء مخالفًا لما في الأرض؟

وإذا بأحد الإخوة الجالسين على المائدة وقد قسمونا إلى أكثر من مائدة واحدة يقول لي وهو يقدم طبقًا من المقبلات أو المقدمات التي وضعوها على المائدة قبل الطعام كعادة أهل الصين وهو يقول: إنه لحم الخيل، ذقه، إنهم يأتون به هنا في المقدمات مقدمات المائدة، وهم لا يسمون هذه المآكل القليلة التي تسبق الأطباق الرئيسية بالمقبلات، وإنما يسمونها بالمقدمات.

وكان هذا جديرًا بأن يجعلني أصحو من خيالاتي، غير أن ذلك أضاف إليها خيالًا مجنحًا آخر، فالخيل وبخاصة الخيل المجنحة التي وردت في الأساطير، وخيالات الأقدمين ليست غريبة على الذهن، وهنا حتى لو لم تكن الخيل مجنحة فمجرد تقديم لحم الخيل بجانب بحيرة السماء ورؤية الماشين على صفحة الماء المتجمد يجعلها كذلك، وإن لم يستطع أن يجعلها كذلك، فإن الخيال سيركب لها أجنحة يركب عليها ليواكب الخيالات الأخرى.

واستمتعت بالخيال المجنح كما أستمتع بالواقع الذي يسير على الأرض في هذا اليوم الطيب.

واستمتعنا أيضًا بالطعام الطيب، فقد أكد لنا إخواننا أنه طعام إسلامي صنع لنا خاصة، أما غيرنا من رواد (البحيرة السماوية) هذه فإن عددهم قليل لا أظنه يتجاوز العشرين أكثرهم من ذوي المظهر الصيني، ربما كان بعضهم من كبار الموظفين، وربما بعضهم الآخر من أبناء الصينيين الذين يملكون النقود، ويملكون الانتماء إلى الصين وباللغة التي تجعل السياق فيها من الأمر المقصود.

وداعًا يا بحيرة السماء:

بدأنا العودة في الواحدة بعد الظهر - فهكذا البرنامج - وقد شفينا النفس من رؤية هذا المكان المهم، وعدنا ونحن نشعر بالدفء، بل نكاد نشعر ونحن داخل السيارة وقد ارتدينا الملابس الثقيلة بالعرق، ولم لا يكون العرق وها نحن نرى عرق هذه الجبال الشاتية وهو يسيل من أكتافها على هيئة ذوب يتصبب إلى المنخفضات، وتجاورنا منطقة الثلوج نازلين، والجدول الذي هو في الأصل عرق هذه الجبال يسابقنا النزول ولمياهه في بعض الأماكن همسات ترتفع في بعض الأحيان إلى قهقهات خفيفات.

ووصلنا سفوح هذه الجبال الباردة، فوقفنا في قرية صغيرة للقازاق كنا قد مررنا بها عند الصعود ولم نقف، فرأيت أطفالهم نظيفي الثياب وهم إلى ذلك كثرة، وليسوا كأطفال الصينيين الذين هم الآن بعد تحديد النسل في الصين ليسوا بالكثيرين.

وأعطيت بعض الأطفال قطعًا صغيرة من النقود، فسروا وزالت بها الوحشة من بعضهم فالتفتوا حولنا ورأيت وجوههم نظيفة رغم كون الجو ببرده بل زمهريره لا يساعد على ذلك.

وتأملتهم من قرب فرأيتهم غلاظ الوجوه صغار العيون، وإن لم يصل بها صغرها إلى عيون الصينيين، حمر الألوان، وقد أثر البرد بقشفه في وجوههم، فغدت كما تكون عليه وجوه أطفال أهل القرى عندنا في شمال المملكة عندما يتخلف المطر ويشتد البرد فيلسعها الجفاف، ويترك عليها من لسعاته بصمات.

ورأيت سماد الحيوان كومة بجانب البيوت الطينية، ولكنني لم أر ما يكون على روث الحيوان في البلاد الحارة من ذباب وما أشبه الذباب، وذلك أن البرد الشديد يقتلها كلها.

وبيوت قريتهم كلها من الطين، بل إنها من الطين الرث، ومع ذلك فثيابهم نظيفة حتى تكون في نظافتها مثل نظافة ثياب أهل المدن.

ثم كانت العودة إلى دار الضيافة في (أورومشي).

كلمة عن أورومشي:

إن مدينة أورومشي عاصمة مقاطعة سنكيانغ أويغور المتمتعة بالحكم الذاتي يقدر عدد سكانها بنحو مليون وخمسين ألف يصل نسبة المسلمين فيها إلى 40٪ من جملة السكان، ولهم 156 مسجدًا في الأحياء المتفرقة في هذه العاصمة الإقليمية.

والشوارع الرئيسة في أورومشي عريضة، تتناثر على أطرافها بعض العمارات الحديثة ذات الأدوار المتعددة وأغلبها من أربعة وهي مخصصة لسكنى موظفي الدولة وعمالها، أما معظم طرقاتها الداخلية في الأحياء فهي ضيقة وعرة تقوم على جوانبها المنازل الشعبية المبنية من الطين وهي قديمة تكاد تتهاوى من الإهمال وتعكس فقر ساكنيها.

ويقال: إن أجرة البيت الواحد في الشهر الواحد يصل من عشرة ينات إلى ثلاثين ينًا حسب سعة السكن وشكله، وتدفع الأجرة إلى الحكومة، كما أن للأفراد منازل سكنية خاصة بهم لا يدفعون أجرة عنها، ويمكنهم تعميرها وترميمها على حسابهم الخاص، إلا أنها محدودة المساحة والغرف؛ لأن المساكن الكبيرة قد صادرتها الدولة.

ويقوم إلى جوار المتاجر العامة الحكومية الأسواق الشعبية حيث يعرض الأهالي بضائعهم المختلفة في الطرقات على الأرض أو في متاجر صغيرة ومحتوياتها قليلة.

أما المطاعم فهي عديدة ومكتوب عليها (مسلمان أشي خانه سي) أي المطعم الإسلامي، وكذلك يطبخون ويعرضون المأكولات في الشوارع، ويدفع هؤلاء الباعة الصغار ضرائب تصاعدية إلى الحكومة.

ومستوى المعيشة بالنسبة إلى دخل الفرد عال، فالراتب الحكومي يبدأ من خمسين ينًّا إلى 250 ينًّا في الشهر وأجرة العامل في اليوم ثلاثة ينات، بينما يباع الكيلو الواحد من لحم الضأن 4.5 ينات ولحم البقر 3.5 ينات.

وفي جلسة ضمت السيد نور طيب ناظر المعارف العامة في حكومة المقاطعة والسيد أحمد ملاتودي المدير العام المساعد لإدارة حكومة المقاطعة في أورومشي عرف منها بأن الموظفين الإداريين المقرونين بالكادر يصل عددهم إلى 169 ألف موظف في المقاطعة يشكل المسلمون نسبة 30٪ منهم، وأن هناك ثلاثة عشر جامعة وكلية وستة آلاف مدرسة ثانوية يصل نسبة الدارسين المسلمين فيها إلى 43٪ من عددها الإجمالي.

كما أن لرئيس الحكومة المحلية وهو السيد إسماعيل أحمد - ستة نواب: ثلاثة منهم صينيون، علاوة على أن رئيس المكتب السياسي والحزب الشيوعي الصيني - وهو أعلى سلطة في الإقليم - بيد وانغ إينمو وهو من الصينيين، وينتشر الصينيون في كل مكان، ويقال: إن الحكومة تستعد لتهجير المزيد من الصينيين غير المسلمين المعروفين من داخل الصين إلى المناطق الإسلامية هنا، وفي هذا يمكن الخطر الحقيقي؛ لأن ذلك معناه أن المسلمين يكونون أقلية ضئيلة العدد في بلادهم.

ويبدو من مظاهر الحياة اليومية أن المسلمين وغيرهم يعيشون واقع الانفتاح النسبي في السياسة الصينية الحديثة، وأن المسلمين يؤدون صلواتهم وخاصة كبار السن منهم، وأن هناك تعليمًا إسلاميًّا محدودًا، يتم في البيوت والمنازل سرًّا تعلم به الحكومة المحلية وتتغاضى عنه.

يوم الاثنين: 22/ 7/ 1404هـ:

لم يكن في برنامج الصباح حركة ولا انتقال، فاغتنمنا ذلك، وعقدنا جلسة فيما بيننا تشاورنا فيها في كيفية الإعانات المالية للمساجد والمؤسسات، ومراجعة ما أتممناه من عملنا في هذه البلاد التركستانية التي يسمونها سنكيانج.

المأدبة العلمية:

ثم كان الانتقال إلى بيت الأخ الكريم العالم الجليل (محمد صالح قاري)، وهو من علماء تركستان الذين جمعوا بين الدين والأدب، وتضلعوا من اللغتين الأيغورية والعربية مما مكنه من ترجمة معاني القرآن ترجمة حديثة إلى اللغة الأيغورية، كما ترجم عدة كتب دينية من العربية إلى الأيغورية طبعت ونفدت طباعتها رغم كثرة نسخها، ووظيفته: رئيس قسم البحث الديني في الأكاديمية الاجتماعية بجامعة سنكيانغ.

ذهب الموكب إلى حي شعبي متوسط ليس في أزقته (زفت)، ولذلك رشوا الزقاق بالماء اسمه بالأيغورية (تنجليق كوجا) ومعنى ذلك الحي الآمن، والمنزل يملكه الشيخ نفسه، قال: اشتريته منذ فترة، وحددت المجلس ليس بالواسع.

استهل الشيخ محمد صالح ترحيبه بالوفد بقوله:

يا ضيفنا لو جئتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

ووجدنا خوان المائدة وهو (سماطها) أو فرش الطعام مبسوطًا على الأرض، فجلسنا على الأرض كما هي العادة المتبعة عندهم مثلما كانت عندنا في القديم.

كان الوقت مبكرًا على الغداء، فلم تصل الساعة الثانية عشرة وهو الموعد المحدد للغداء في المعتاد، ولكن قال الشيخ وصدقًا قال: إننا نريد أن نتحدث إليكم في أمور من أمور هذه البلاد، فأنتم تحبون أن تسمعوا الكثير من ذلك.

فقلت: نعم، وشكرًا وتحدث الشيخ فأكثر جزاه الله خيرًا، ولكنه كان يتجنب السياسة بكياسة كلما قارب الحديث أن يصل إليها، غير أننا نسينا السياسة، بل ربما نسينا الرغبة في الحديث عن السياسة عندما استغرق في الحديث عن الشئون العلمية والأدبية، في هذه البلاد التركستانية.

والشيخ يحفظ الشعر العربي حفظًا عجيبًا، ويستشهد بشيء منه في حديثه، في كل المناسبات، وتبين لي بعد ذلك أنه هو نفسه شاعر بالعربية، وسوف يأتي إيراد قصيدة له في زيارة وفدنا فيما بعد.

كان الشيخ يتحدث وقوم من تلامذته وإخوانه يواصلون نقل أقداح الطعام وصحونه المليئة بما لذ وطاب، وكأنما كانوا ينقلون ذلك من مطعم عام إلى مطعم مزدحم بسبب كثرة الصحور وتنوع الأطعمة مما لا تسخو به إلا نفس سخي ثري.

والشيخ (محمد صالح قاري) سخي وإن لم يكن ثريًا، فهو موظف في أكاديمية العلوم الاجتماعية، ومثله لا يكاد يدخر شيئًا، ويدل بيته على حاله، وإن كان قد جدد غرفة الجلوس فيه.

انتهزت الفرصة، فسألت الشيخ أن يروي لنا شعرًا عربيًا فيه ذكر (أورومشي) فأنشد بسرعة:

و(غولجه) آية المُدن الكبار و(التاي) الغنية بالنضار
وما أنسى (مناسا) أو (أورومشي) كلا البلدين كنز للفخار

وقال: (غلوجه بلدة تقع على بعد خمسمائة كيلو متر من (أورومشي) جهة الشمال الغربي و(التاي) تقع من (أورومشي) بنحو هذه المسافة، ولكن جهة الشمال الشرقي.

و(مناسا) من القرى التابعة لأورومشي، وتقع على بعد مائتي كيلو متر.

وقد لفظ (أورومشي) بالشين المعجمة، وكنت رأيت بعضهم يكتبها (أورومشي)، ويصر على ذلك إلا أنه ينطق بالجيم بما يشبه الحرف الأول من اسم (تشارل) مثلًا بالإنكليزية، غير أنني كتبتها (أورومسي) من أول لحظة وصلت فيها إلى تركستان، ورأيت أهلها ينطقون باسمها هكذا (أورومشي) بالسين، وربما كان هذا شيئًا استقر عليه نطقها في ألفاظهم في الزمن الحديث.

ومن معنى اسم (أورمشي) الذي اختلف فيه قال: إنه مختلف فيه فمن قائل: إنه مشتق في لغتنا قال: إن معناه: فتل الحبال، ومن قائل: إنه أول من سكنها رجل كان يفتل الحبال اسمه (أورمشي) فسميت باسمه.

وبعضهم قال: إنه اسم مغولي أي أطلقه المغول، وللمغول في التاريخ القديم لهذه المنطقة أخبار طوال، ليس هذا بالمجال لذكرها، ولكن يحسن القول بأن مكان أورومسي كان يسمى فيه باسم (بيش باليق) أي المدن الخمس فبيش: خمس، وباليق: مدينة أو بلدة في الأيغورية، أما مسقط رأس الشيخ فإنه في قرية قريبة من أرتوش التي ينطق بالحرف الأخير من اسمها بما يماثل الحرف الأول من اسم تشرشل التي ضربت المثل بها من قبل، ولذلك يكتبها بعضهم (أورتوش) ويكتبها آخرون كما كانت في القديم (أرتوج)، وأنشدنا الشيخ قول الشاعر الذي جمع فيه بين اللفظين:

زين الأئمة لا زالت هدايته ... سدًّا لا ضلال يأجوجٍ ومأجوج

(أرتوش) مفخرة، فاخر بنسبتها يجوز لو باهت الدينا بأرتوج

ومعنى كلمة (أرتوج) باللغة الأيغورية: شجرة العرعر، وهو الشجر الجبلي الذي يوجد في جهات عسير من المملكة العربية السعودية.

وعندما امتلأ السماط بالأطباق أشار الشيخ بقوله: تفضلوا. مع أن الأواني والصحون المملوءة كانت لا تزال تأتي من داخل البيت، وأشار مرافقونا الذين يعرفون عادة القوم بأن نبدأ؛ وذلك لكي نفسخ الطريق لأماكن أطباق جديدة في خوان الطعام، فلم أستطع إلا أن أبدي إعجابي بكرم هؤلاء الإخوة التركستانيين، فأنشدنا الشيخ محمد صالح شعرًا مهد له بقوله: إن الضيف بلغتنا (مهمان) وهي كلمة فارسية، ولذلك قال أحدنا في الحث على إكرام الضيف:

ما سَمَّت العجم (المهمان) مهمانا إلَّا لإكرام ضيف كان ما كانا

فا (لُمَّةٌ) سيدهم، و(المان): والضيف سيدهم ما لازم (المانا)

(مه): سيد، و(مان): منزل.

وقلت للشيخ: لقد سمعنا في كاشغر شعرًا يذكر سورها ونهرها فهل تحفظون فيها شعرًا آخر، فأنشدنا بيتًا يدل على الوضع المهم والهمة العالية، وهو:

و(كَشْغَرُ) دار العلم والمجد ومربط أفراس، ومرمى مطالب

أرأيت هذا المعنى الجميل الذين قرن العلم والمجد والتقى بالقوة في الأفراس وعلو الهمة في المطالب العالية، وأين هذا من حاضرها (المؤسف)؟

ومما يجدر ذكره – في هذه المناسبة – أن عامتهم ومنهم أهل (كاشغر) نفسها ينطقون باسمها (قشغر) بقاف دون ألف بدلًا من الكاف الممدودة بالعربية، ولكنني

رسمتها (كاشغر) محافظة على رسمها في كتبنا التاريخية العربية.

وكون الكاف تنقلب إلى قاف في لغتهم أمر له ما يبرره من كثرة تردد حرف القاف في لغتهم، هذا إذا لم يكن الاسم الأصيل هو بالقاف، ولكن الكاتبين العرب الأوائل هم الذين رسموها بالكاف.

ثم أنشدنا أبياتًا من نظمه ترحيبًا بالوفد، وأعطانا إياها بعد ذلك بخطه، قال:

شرفني الوفد بزيارة منزله:

مرحبًا مرحبًا بوفد كريم ... حل داري موفقًا بسلامِ

إذْ نزلتم داري فشرفتموني ... وبهذا قد نلت أسنى مرامي

كدت من شدة السرور أطير ... لست أدري ذا يقظتي أو منامي

ذاك يوم حظيت فيه بلقيا ... كم أراه من أجمل الأيامِ

فأتيتم ومشعل الحق في أيـ ... ـديكم من إخوة الإسلام

ما أحيلى الوقت الذي كنت أقضـ ... ـه سعيدًا مع الضيوف الكرامِ

يا أعز الوفود إني أحيي ... كم بكل الإكبار والإفخامِ

فاصفحوا ما قصرت في واجب ... جيل كان علي والأكرام

واضع الكف فوف صدري أقول ... فأقبلوا سادتي عظيم احترامي

المنشد محمد بن لاعلامة المرحوم الحاج

داملا صالح الكاشغري الأرتوجي

وكانت أطباق المقدمات ولا نقول المقبلات؛ لأنها في ذاتها كافية لتكون مائدة وحدها، فمنها مثلًا (تاميز) وهو الخبز البخاري المشهور، وهو مصنوع بطريقة جيدة خاصة وعليه السمسم، ومعه نوع آخر من الخبز، وهناك كمثرى طرية وتفاح من المنطقة، وعسل مصفى من مزارعها وسكر مكرر من سكر القوالب، ونوع من الكعك اللين الذين يسميه المصريون (غريبة) بالتصغير، والجوز أو (عين الجمل) أو (القعقع)، وسميط وهو نوع من الخبز الجاف اللذيذ، وأنواع من فاكهة مجففة، وشاي صيني، و(شربة) لذيذة ما تختص به بلادهم فيها شعيرية يصنعونها بأنفسهم، وقطع من أنواع مختارة من اللحم، ثم أوان (سلطانيات) فيها اللبن الطبيعي الرائب، وقضبان صغيرة (أسياخ) فيها الشَّواء وهم يأكلونه بأسنانهم بمعنى أن الواحد منهم يمسك بطرف القضيب أو السيخ بيده ويرفعه إلى فمه، ويتناوله منه بأسنانه شيئًا فشيئًا؛ لأن قطع اللحم فيه صغيرة معدة لذلك.

ثم توالت الأطباق تحمل أصناف الطعام التي لا ندري أنعدها من المقدمات أم من الأصول، وفيها (المكرونة) باللحم مع المشروم.

وأما الفاكهة فإنها إلى جانب ما قدمناه بطيخ طري من بطيخ العام الماضي (الشمام) كأنما قطع لتوه من شجره.

هذا والشيخ محمد صالح يعلل ضيوفه بالشعر الفصيح، والكلام الصحيح فقد أهدى لنا نسختين من (جواهر البخاري)، وهي أحاديث منتقاة من صحيح الإمام البخاري ومعها شرح من القسطلاني وترجمتها من العربية إلى الأويغورية، والذي أدهشنا ليس هذا، وإن كان في ذاته يعد خبرًا مفرحًا في هذه البلاد التي تسيطر عليها الشيوعية، فإن الأغرب فيه أن النسخ التي طبعت منه عددها مائتا ألف نسخة، وقد نشرته دار النشر القومية التي هي حكومية، وقد

نفد هذا العدد الكبير من النسخ مع أن قيمته مرتفعة نسبيًّا إذ هي ينان ونصف، وهم يسعون الآن إلى إعادة طبعه.

كما أهدانا نسخة من ترجمة (نور اليقين) الذي نشرته الدار القومية المذكورة، وطبعت منه في النشرة الأولى مائة ألف وستين ألف نسخة دفعة واحدة، وقد نفدت أيضًا وهذا شيء لا يكاد يكون له نظير في عدد النسخ التي تطبع من الكتب الدينية في طبعة واحدة.

وبالنسبة إلى هذا الكتاب بالذات أخبرنا الأخ محمد أمين كونجي أنه عشرة آلاف، وأن نسخه قد نفدت بالفعل.

ثم غادرنا منزل الشيخ (محمد صالح) بعد أن قضينا فيه ساعتين كاملتين حافلتين بالإمتاع والمؤانسة.

مقابلة رئيس الوزراء:

كانت الفقرة الثانية في عمل اليوم هي مقابلة رئيس حكومة مقاطعة تركستان التي ينعتونها بأنها مقاطعة ذات حكم ذاتي، وإن كان العارفون بالأمور يقولون: إن هذا كلام فقط، وأن هذه الحكومة لا تستطيع البت في أمر ذي بال إلا بعد الرجوع للحكومة المركزية في بكين.

وأيًا كان الأمر فإن الصين بلد شاسع المساحات يقطنه أكبر عدد من الناس مجتمع في دولة واحدة، ولا يمكن حكمه بحكومة مركزية واحدة؛ لأن بعض المقاطعات أكبر من عدد من الدول الصغيرة مجتمعة، وناهيك بمقاطعة سنكيانج هذه التي تبلغ مساحتها (1828418) كيلومتر مربع.

ذهبنا لمقابلة رئيس الوزراء في مقر رئاسة حكومة المقاطعة وهو بناء أسمنتي جيد، وإن كان قديم الطراز؛ لأنه كان موجودًا من قبل الشيوعية،

ويسمون هذه الحكومة رسميًّا باسم: حكومة مقاطعة سنكيانغ الشعبية، انسجامًا مع تسمية الحكومة المركزية بحكومة الصين الشعبية.

كان موعد المقابلة في الثانية والنصف من بعد الظهر، فوجدنا أحد المساعدين لرئيس الوزراء في استقبال الوفد عند باب المقر، ووجدنا الموظفين فيه مستعدين بل إنهم كما يظهر من حالهم كانوا تهيأوا له، بدليل أننا وجدنا فرقة من مصوري التلفزة والصحافة مستعدين لتصوير اللقاء.

وعندما دخلنا إلى مكتب رئيس الوزراء (إسماعيل أحمد) قابلنا هاشًّا محتفيًا مظهرًا علامات الاحترام الشديد، وقدم لنا عددًا من رجالات الدولة في المقاطعة وكبار الموظفين من أبناء المسلمين.

ثم ارتجل كلمة مبسوطة باللغة الصينية ترجمها الشيخ (لقمان ماشان لي) إلى العربية، جاء في تلك الكلمة بعد الترحيب الشخصي قوله: إن بلادنا ترحب بكم وترجو أن تكونوا قد سررتم بزيارتها.

ثم جعل يعرِّفنا بمقاطعة سنكيانغ بقوله: إن بلادنا فيها كما شاهدتم عمارات كبيرة وفيها البترول، والفحم، وفيها أيضًا الطيران الذي يصل إلى بكين، كما أن فيها من الأماكن المهمة جبل السماء، وشمالها صحراء، ونحن نسعى إلى المزيد من السكك الحديدية.

وقال: لقد زرتم مدنًا معينة في بلادنا، وإننا نرجو أن تكون زيارتكم القادمة إلى بلادنا وترون فيها مدنًا أخرى، وإن الصين كلها ترحب بكم.

وقد رددت عليه بكلمة قلت من بين ما قلته فيها: إننا عندما زرنا جمهورية الصين الشعبية شعرنا بأننا بين أصدقاء، لكننا عندما زرنا هذه المقاطعة (سنكيانغ) شعرنا علاوة على ذلك بأننا بين إخوة أشقاء.

ثم ذكرته بالماضي الإسلامي المشرق في خدمة الإسلام وما قدمه أهلها في القديم للثقافة الإسلامية، وقلت: إننا نرجو من أبناء أولئك الأسلاف العظام أن يكونوا مثلهم في خدمة الإسلام.

ولا شك في أن إخوتكم المسلمين في أنحاء العالم سيسألوننا عنكم؛ لأنهم ينتظرون منكم أن تقدموا للثقافة الإسلامية ولخدمة الدين الإسلامي ما قدمه أسلافكم، وسنخبرهم بما شاهدناه في بلادكم من حب الشعب للإسلام وتمسكه بالثقافة الإسلامية العريقة.

ثم قدمت له هدية هي ساعة يدوية وتمر من تمر المدينة المنورة، وأنموذج مصغر للكعبة المشرفة، وتقبل ذلك كله شاكرًا، وكان مصورو التلفزة والصحافة يسجلون ذلك كله.

ثم استمر الحديث بعد ذلك فيما يتعلق بالشئون الإسلامية عامة، وحاضر المسلمين في العالم بصفة خاصة.

وكانت عاملة صينية أثناء ذلك تقدم أقداح الشاي الصيني الساذج أي الخالي من السكر وغيره ومعه (البسكويت) والتفاح الطازج.

وبعد ذلك طلب التقاط صور تذكارية مع الوفد، ونزل يودعنا إلى الباب الخارجي من مكتبه الذي كان في طابق أعلى، وأمر المصورين بالتقاط صورة له مع أعضاء الوفد كلهم وبعض الأشخاص من ذوي المقامات من أهل البلاد عند الباب الخارجي لمقر الحكومة، ثم وقف عند باب السيارة يودعنا حتى تحركت السيارة.

وقد أخبرنا إخواننا أن احتفاءَه بالوفد وترحيبه فوق ما يعامل به وفدًا مثلنا يمثل جهة غير رسمية وليس ضيفًا من الحكومة الرسمية، ومن مظاهر ذلك أنه

أي رئيس الحكومة إسماعيل أحمد قد أوفد إليَّ في الفندق (عبد الله يوف) رئيس شئون القوميات في المقاطعة يحمل هدية منه إليَّ لم يقدمها أثناء المقابلة، وهي ملابس أيغورية وطنية ومعها بطاقة إهداء بالعربية.

جلسة عمل:

في الساعة الرابعة عقدنا جلسة العمل الرئيسية مع رئيس الجمعية الإسلامية وأعضائها وعدد من الأشخاص العاملين في الدولة ممن لهم علاقة بالشئون الإسلامية.

وقد حضر من الجانب الوطني هنا:

- السيد محمد إسماعيل رئيس المجلس الشعبي الوطني لمقاطعة سنكيانغ.
- السيد محمد أمين تختي رئيس دائرة الثقافة القومية لمقاطعة سنكيانغ.
- السيد خوجه أحمد عبد الله رئيس لجنة شئون القوميات لمقاطعة سنكيانغ.
- الشيخ يعقوب داملا رئيس الجمعية الإسلامية ونائب رئيس المجلس الاستشاري لمقاطعة سنكيانغ.
- الشيخ ماجي جونغ نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ.
- الشيخ عبد الله روزي نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ.
- الشيخ حسين ترمز نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ.

وغيرهم من مرافقي وفد الرابطة من الجمعية المركزية في بكين والجمعية المحلية لسنكيانغ الذين سبق ذكرهم.

مأدبة الجمعية الإسلامية:

أقامت الجمعية الإسلامية في مقاطعة سنكيانغ، وهي فرع للجمعية الإسلامية الرئيسية التي مقرها العاصمة بكين مأدبة عشاء كبيرة في الساعة السادسة من قبل المغرب حضرها رئيس الجمعية الحاج (يعقوب دامالا)، وعدد كبير من المشايخ وأئمة المساجد وطلبة العلم ووجهاء المسلمين في المقاطعة.

وبعد العودة من مقابلة الحاكم العام عقدت الجلسة الثانية للمباحثات مع ممثلي الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ (تركستان الشرقية) وهم:

- الحاج عبد الله روزي نائب رئيس الجمعية الإسلامية.
- محمد أمين كنجي نائب رئيس الجمعية الإسلامية.
- الشيخ محمد سعيد رئيس الإدارة الدينية لمقاطعة سنكيانغ.

وبحضور مرافقي الوفد من الجمعية المركزية وهم:

- الشيخ صالح آن شي وي.
- الأستاذ لقمان ماشان لي.
- الأستاذ مالك أمين.

ثم أجرى وفدنا مباحثات تم الاتفاق فيها على الأمور الآتية:

أولًا: أن تبدأ الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ في تنفيذ بناء المعهد الإسلامي بالمبلغ الموجود لديها وهو ثلاثمائة ألف يناً، وأن الرابطة ستساعد الجمعية على إنشاء هذا المعهد.

ثانيًا: إن الوفد سيقدم بعض المساعدات الرمزية لبعض المساجد في أورومشي، وأن المساعدات المالية لبقية المساجد ستأتي ضمن مساعدة الرابطة لمساجد الصين.

ثالثًا: إن الرابطة ستزود الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ مباشرة بالكتب الإسلامية والمراجع المختلفة.

رابعًا: إن الرابطة ستساهم ماديًا في طبع الترجمة الأويغورية لمعاني القرآن الكريم، وأن البيع للمسلمين سيكون بعد خصم مساعدة الرابطة من قيمة التكلفة.

علمًا بأن الجمعية تهدف إلى طبع الترجمة طبعًا فاخرًا ومجلدًا وبسعر تقديري للنسخة الواحدة 11 ينًا، كما أنها ستطبع منها خمسمائة ألف نسخة على مراحل حيث إن حاجة المسلمين إليها شديدة، وإن الكمية التي طبعت من ترجمة (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) وهي مائتا ألف نسخة قد نفدت من الأسواق.

ثم قدمت المساعدات المالية للمساجد التالية:

1- مسجد يانغ خان وإمامه الشيخ محمد شريف مبلغ ثلاثة آلاف دولار.

2- مسجد شن شي داس وإمامه الشيخ محمد صالح مبلغ أربعة آلاف دولار.

3- مسجد أوتوركزبرك وإمامه الشيخ عبد الرحيم سعد الله مبلغ ثلاثة آلاف دولار.

4- مسجد كوانغ خانغ وإمامه الشيخ محمد نور الدين مبلغ ألفي دولار.

ووقع بالاستلام على السندات كل من نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ الحاج محمد أمين كنجي وإمام كل مسجد مذكور أعلاه كما وقع على السندات الأستاذ لقمان ما شان لي نائب رئيس مكتب العلاقات الخارجية للجمعية الإسلامية الصينية المركزية في بكين ومرافق الوفد.

وفي نفس اليوم مساءً أقام رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ الحاج يعقوب داملا حفلة عشاء لتوديع وفد الرابطة الذي أوشكت زيارته لتركستان الشرقية على الانتهاء أقامها في اليوم التالي وهو يوم الثلاثاء 23/ 7/ 1404هـ، وقد حضر الحفلة:

- الحاج محمد أمين تختي رئيس دائرة الثقافة القومية لمقاطعة سنكيانغ.
- السيد خوجه أحمد عبد الله رئيس لجنة شئون القوميات لمقاطعة سنكيانغ.
- الشيخ حسين قبر غيز نائب رئيس الجمعية الإسلامية الصينية المركزية.
- الشيخ عبد الله روزي نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ.
- الشيخ ماجي جونغ نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ.
- الشيخ محمد شريف داملا رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة (أورمجي) وإمام جامع بانغ خان.
- الشيخ داود فاضل نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة أورومجي.
- الشيخ محمد صالح إمام جامع شن شي واس.
- الشيخ محمد بن صالح رئيس قسم البحث الديني ومترجم معاني القرآن الكريم باللغة الأويغورية.

- الشيخ دونغ جي جونغ سكرتير الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ.
- الشيخ عثمان قاري نائب سكرتير الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ.
- الشيخ محمد سعيد رئيس الإدارة الدينية لمقاطعة سنكيانغ.
- الشيخ محمد أمين كنجي نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ.
- الحاج رحيم روزي نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة سنكيانغ.
- السيد أمين روزي سكرتير الجمعية الإسلامية لمدينة أورومشي.
- والثلاثة المرافقون لوفد الرابطة من الجمعية الصينية الإسلامية المركزية في بكين.

وقد توالت الأطباق السخية على المائدة متنوعة، حتى إن الشواء فيها (الكباب) كان ثلاثة أنواع، ولحم الطيور كان من البط ومن الدجاج لم يكتفوا بأحد النوعين عن الآخر، كما كان نجمها اللامع الأرز البخاري الذي نعرفه في بلادنا أخذناه عن المهاجرين إلينا من أهل هذه البلاد وإخوانهم سكان تركستان الغربية الواقعة تحت الحكم الروسي في الوقت الحاضر.

وكان طابع السخاء هو الغالب في هذه المأدبة كما كان هو الغالب على المآدب الأخرى في هذه البلاد.

وتخللت المأدبة أحاديث مفيدة؛ لأن عددًا من الحاضرين كانوا من المشايخ وأئمة المساجد الذين يفهمون العربية، وكنا بحاجة إلى سماع فوائد أكثر عن حاضر هذه البلاد وماضيها القريب الذي يكتنفه الغموض في أذهان أبناء البلدان العربية لنقص المعلومات عنه ووصول بعضها محرفًا.

كما حضر المائدة الشيخ الأديب (محمد صالح قاري) الذي كنا في بيته ضحى هذا اليوم، وألقى قصيدة باللغة العربية كان قد نظمها بعد أن خرجنا من بيته في هذا اليوم، وذكرت نصها فيما تقدم.

وقد ألقى الشيخ (يعقوب داملا) كلمة مكتوبة مناسبة رددت عليه بكلمة مرتجلة.

يوم الثلاثاء / 7/ 1404هـ - / 4/ 1984م:

في مستشفى الطب الأويغوري:

وكلمة (الأويغوري) وصف للطب وليس للمستشفى، وإن كان يصح فيها أن تكون وصفًا لهما معًا، ذلك بأن هذا المستشفى قائم على العلاج بالطب الذي كان معروفًا في هذه المقاطعة قبل الزمن الحديث إلى جانب تحديثه بما لا يخرج به عن كونه علاجًا محليًّا قديمًا.

والطب الأويغوري بهذا الاعتبار كالطب العربي الذي يقصد به العلاج بالطرق التي كانت متبعة قبل الطب الحديث مثل تجبير الكسور والكي والتداوي ببعض الأعشاب.

وصلنا إلى المستشفى في التاسعة والنصف ويقع في الشارع الذي يمتد بين دار الضيافة خارج المدينة وبين المدينة نفسها.

وكان أول ما يلفت النظر فيه أن جميع اللافتات والإيضاحات فيه هي باللغة الأويغورية (التركستانية) ذات الحروف العربية، وقد عرفنا منها معنى بعض الكلمات منها كلمة (دور) بمعنى طبقة من طبقات المستشفى الذي يتألف على سعته من عدة طبقات، ولا غرو في ذلك؛ لأنه أقيم بنفقة حكومية، وإن كان العلاج فيه ليس مجانيًّا، بل بالنقود.

استقبلنا عند الباب الداخلي للمستشفى حشود فيهم الأطباء والممرضات باللباس الطبي المميز المعتاد، ومعهم طائفة كبيرة من المراجعين من أهل البلاد يتقدمهم المدير الإداري للمستشفى الأخ (عبد الغني ثابت) وكانوا على علم بزيارتنا.

صعدنا إلى غرفة استقبال في الطابق الثاني من المستشفى، واستمعنا إلى شرح من المختصين في المستشفى عن طبيعة العمل فيه، فأخبرونا أنه يقوم على التجارب والوصفات الطبية القديمة مثله في ذلك مثل الطب الصيني القديم.

وقالوا: إن هذا الطب الأويغوري لم يصل التطوير والتحسين إلا منذ عهد قريب، وإن الحكومة الشيوعية اعترفت بالصفة القانونية له، بل إنها شجعت على تطوره بعد زوال حكم عصابة الأربعة.

وذكروا أن هذا المستشفى أنشئ في عام 1976م، وأنه يضم 152 ما بين طبيب وممرض وممرضة، كلهم مسلمون، منهم 102 موظفون رسميون فيه والباقون يعتبرون من المتعاونين مع المستشفى الذين يعملون فيه لبعض الوقت، كما يضم 107 أسرة في أقسام أربعة.

وذكروا لنا أمراضًا عديدة تعالج فيه، كما ذكروا أنهم يركبون الوصفات الدوائية ويعملون على تطويرها عن طريق التجارب والاستفادة من الممارسة العملية.

ولما سألناهم عن مصدر هذه الوصفات، أجابوا بأن أكثرها من الحبوب والأشجار الموجودة في المنطقة، وبعضها أعشاب من الأراضي الأخرى في الصين، كما ذكروا أنهم قد يستوردون بعضها من الهند أو باكستان أو البلاد العربية.

وذكروا أن المستشفى قد أنشأ مصنعًا لهذه الأدوية ملحقًا به يصنعون فيه حوالي 80 دواء من مجموع الأدوية التي يستعملونها، وعددها يزيد قليلًا على ثلاثمائة.

وقالوا: إننا في بعض الحالات نستعمل الوسائل الطبية الحديثة في تشخيص المرض، ثم نستعمل الطب الأويغوري في العلاج.

ومن الأدلة على تحديث هذا الطب القديم عندهم أنهم كانوا يستعملون الكي في علاج بعض الأمراض؛ لأنه كان من وسائل العلاج القديم، ولكنهم تركوا الكي الآن فصاروا لا يستعملونه، وإن كان بعض العامة في خارج المستشفى لا يزالون يستعملون الكي حتى الآن.

ومن الطرائف التي أوردوها في الكلام على هذا المستشفى قولهم: إننا لا نعالج العقم عند النساء تمشيًا مع سياسة الحكومة في تحديد النسل، وعدم الحرص على الإنجاب، ولكننا نعالج العقم عند الرجال.

ثم ضمنوا حديثهم بأن أحضروا كتبًا عربية قديمة منها كتاب: (تسهيل المنافع في الطب والحكمة) ومنها مخطوط فارسي كبير.

ثم قمنا في جولة في طبقات المستشفى، وأطلعنا على أقسامه وأطلعنا على غرف المرضى الذين رأيناهم نظيفي الثياب والمظهر مثل بقية المستشفى، ووقفنا في قسم العظام على عدد من الذين أصيبوا بكسور وجرى تجبير عظامهم على الطريقة القديمة.

ثم غادرنا المستشفى بحفاوة العاملين فيه.

في سوق أورومشي:

ذهبنا في أول قدومنا إلى السوق على أمل الاطلاع عليه والتفرج برؤية الناس فيه، فانقلب الناس يتفرجون علينا، وبعضهم كان يبلغ به التأثر عندما يرانا، ويعرف أننا من مكة المكرمة فيجهش بالبكاء ومن هؤلاء رجال ونساء، وقد كان الناس ازدحموا علينا حتى لم نستطع أن نرى شيئًا أو أن نتفرج برؤية شيء.

لذلك طلبت اليوم أن أذهب وحدي على سيارة واحدة للسوق، عسى أن

أكون حرًّا من الموكب فأرى من أمره ما لم أره قبل ذلك بعد أن أبعدت عن الموكب الذي كان يجذب إليَّ الجمهور، وكنت بحاجة إلى شراء شريط للتصوير، فأرسلت أحد الإخوة الذين كانوا معنا إلى حانوت، فاشترى شريطًا غير ملون من صنع صيني، ولما وضعته في المصوِّرة وقف ولم يدر فيها، فرميته واشتريت آخر ملونًا بمبلغ خمسة عشر ينًّا ونصف، وهذا يساوي حوالي 7 دولارات أمريكية وهو في بلادنا بثلاثة دولارات، غير أنني عرفت بعد ذلك أنه إذا كان الشراء بالدولاء فإنهم يبيعونه بثلاثة دولارات وشيء قليل.

ولقد كان تجولي بالملابس العربية، ولكن بدون موكب - داعيًا لاجتماع الناس وتجمهرهم، لا سيما أن أكثرهم قد سمعوا بوصول وفدنا من الإذاعة أو قرءوا ذلك في الصحف، وعلموا بوجودنا في أورومشي، فأثرت الذهاب إلى سوق للخضار كل ما فيه مما يبيعه الفلاحون بأنفسهم وليس مما تبيعه الحكومة.

وأكثر ما يعرض فيه قليل، وقيمته نزرة، من ذلك أنهم يبيعون الكراث بالكيلو بسعر ثلاثة أرباع الين للكيلو الواحد، وكيلو الثوم قيمته ينان اثنان، والبيض الواحدة بخمسة عشر سنتًا.

وهناك خضرات قليلة غير نضرة بسبب برودة الجو، ومن المنتظر أن يتغير الحال بعد حلول فصل الربيع الذي بانت بشائره في أشجار الشوارع التي رأيناها فيها وريقات الربيع بدأت تطل من الغصون الهامدة.

ولقد حاولت أن ألتقط عدة صور لما آراه، غير أنني كلما أوقفت السيارة ونزلت لأجل التقاط الصورة، تجمع الناس من كبار السن وصغارهم علي، فعدلت عن ذلك؛ لأنني لا أريد أن يروني أصور أماكن ربما لا يرون من المناسب لضيف أن يصورها.

سفرة لم تتم:

أصبحنا في هذا اليوم على جو يصح أن يسمى جوًّا ربيعيًّا في هذه البلاد، وإن كانت تصح تسميته بالشتوي في بلادنا، إذْ كان دافئًا حانيًا وقد أشرقت الشمس صافية ودامت صاحية بالصاد المهملة، بل ضاحية بالضاد المعجمة، وتمتعنا بما اعتبره أهل هذه البلاد صيفًا في ضحى هذا اليوم.

وكان من المقرر أن نسافر في الثالثة من (أورومشي) إلى بكين، فتناولنا الغداء في موعده الذي لا يتغير وهو الثانية عشرة، وإن كان بعضهم هنا يصر على كونها الثانية، وذلك بتوقيت بكين.

وكنا قد حزمنا حقائبنا ووزعنا الهدايا والإكراميات حتى على الخدم، وكانوا قبل ذلك قد رفضوها، إلا أننا عندما بعثنا إليهم بها مع الإخوة ذوي الأصل التركستاني قبلوها، فرادى فهم يخشون من الحكومة التي تعاقبهم، وكما أنهم قبلوها لكون مقدارها مغريًا بالنسبة إليهم خمسون ينًّا تساوي 22 دولارًا تساوي مرتب المستخدم العامل عندهم لشهر.

وكنا نتهيأ لمغادرة دار الضيافة وكل شيء هادي إلا أن شيئًا من الكدر في الجو كان قد بدأ خفيفًا قبل قليل.

غادرنا الدار وقد بدأت ريح قوية بالهبوب تطير نفايات الطريق، وتثير غبار الأرصفة في خارج قلب المدينة، وما شبهتها في بدء هبوبها إلا بريح الخماسين التي تهب في بلادنا الصحراوية خلال شهر مايو، إلا أننا كنا نحس ونحن بداخل السيارة أنها باردة.

وبينما كنا في الطريق إلى المطار اشتد عصف الريح، وأظلم الجو، وتكاثف غيمه، وأخذت الريح تنازع الناس أثوابهم وما يحملونه بأيديهم، ونحن نرى

ذلك من داخل سيارات الموكب، ثم بدأ المطر الخفيف، ولم يقف هبوب الريح، بل تحول إلى عاصفة.

وجدنا طائفة بل طوائف من الإخوة الكرام من أهل هذه البلاد من رسميين وشعبيين، حتى رئيس حكومة المقاطعة إسماعيل أحمد الذي لم يكن بعث لنا ممثلًا في استقبالنا قد بعث بمندوب له ينوب عنه في توديعنا، وقد كاد بعضهم لا يجد له كرسيًا يجلس عليه، رغم كوننا كنا قد جلسنا في القاعة العامة الكبيرة التي هي قاعة تجمع الركاب قبل وصولهم إلى قاعة المغادرة، وذلك من أجل أن نبقى مع هؤلاء الإخوة الكرام.

وبعد قليل نادى مكبر الصوت من المطار أن الطائرة لم تستطع النزول بسبب العاصفة التي أظلم منها الجو، وأسرعت بها الريح، وأنها انصرفت عن هذا المطار.

وسألناهم عن الموعد الجديد للسفر؟ فقالوا: إنهم لا يعرفون ذلك، وربما يكون غدًا في العاشرة؛ لأن المطار ليس معدًّا للهبوط الليلي، إضافة إلى أنه لا توجد طائرة قادمة قبل ضحى الغد.

وقد حاولنا أن نودع هؤلاء الإخوة الذين خرجوا لتوديعنا وفيهم طائفة من كبار السن على رأسهم الشيخ يعقوب دامالا رئيس الجمعية الإسلامية؛ حتى لا يتجشموا مشقة الخروج لتوديعنا ثانية، ولكنهم لم يرضوا بذلك، وقد ألقى الشيخ يعقوب كلمة مكتوبة في وداع الوفد ظنًّا منه أننا سنسافر اليوم كما هو مقرر، وهذا نص كلمته:

كلمة الحاج يعقوب داملا في حفلة توديع الوفد بتاريخ 22/ 7/ 1404هـ:

جناب المحترم سعادة الشيخ محمد بن ناصر العبودي

الإخوة الأكارم أعضاء وفد الرابطة

أيها الزملاء:

إن زيارة سعادة الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي وأعضاء وفد الرابطة الأكارم إلى بكين، ثم إلى أورومجي عاصمة مقاطعتنا بناء على دعوة الجمعية الإسلامية الصينية المركزية - ملأت نفوسنا غبطة وسرورًا، ونعرب عن عميق شكرنا وتقديرنا لهذه الزيارة، كما نعرب عن شكرنا الجزيل لزيارة الوفد لبعض المساجد في أورومجي وكاشغر واجتماعه مع بعض المسلمين لمعرفة أحوالهم وأوضاعهم.

إن هذه الزيارة لوفد الرابطة تعتبر الثانية في التاريخ الحديث، لقد كانت الزيارة الأولى برئاسة الشيخ أحمد صلاح جمجوم عام 1981م، وقد تركت تلك الزيارة أثرًا جميلًا وعميقًا في نفوس المسلمين في هذه المنطقة.

مما لا شك أن هذه الزيارة توثق العلاقة بين المسلمين وشعب الدولتين وتوطد الاتصالات الودية، ونرجو أن تستمر مثل هذه الزيارات بين المسلمين في الدولتين؛ لما فيه خير التضامن الإسلامي الذي نعمل له جميعًا.

وأنتهز هذه الفرصة لأعبر عن شكر وثناء مسلمي سنكيانغ جميعًا لما تبذله الرابطة من أجلهم، وخاصة لاستضافة الرابطة سنويًا بعثة الحج الصينية وما قدمته عن طريق وفدها من مساعدات مالية إلى نشاطنا الإسلامي وغيرها من المشاريع في المستقبل.

وفي الختام سلامي وتحيات لكم جميعًا ولكل العاملين في رابطة العالم الإسلامي من أجل سعادة المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يعقوب داملا

العودة إلى دار الضيافة:

كانت العودة أصعب من الخروج للمطار؛ إذْ كان التراب والريح الشديدة هي السائدة آنذاك، والآن كانت المشقة في شدة برودة الريح التي تأخذ بالثياب، وتأخذ بتلابيب الصدر ومعها مطر خفيف.

وعندما عاد الموكب كان كل شيء في الطريق قد اختفى إلا من فاجأته العاصفة، ومنهم أطفال خرجوا من مدارسهم، بل وبنات شابات مثلهم وقد رأيتهم وهم جميعًا لا يدرون أيمسكون بأثوابهم التي تنازعهم إياها الريح، أم يضمون أنفسهم ليقوها شدة البرد.

ولقد رثيت لهم، بل رثيت لأمثالهم في البلدان التي لا تتوفر فيها وسائل الراحة، فسيارات الأجرة معدومة والاستراحات وأماكن اللجوء في مثل هذه الحالات معدومة أيضًا.

وإنما وسيلة المواصلات الوحيدة المتوفرة هي الحافلات، ولا يوجد منها شيء يمر الآن؛ لأنها بلا شك قد امتلأت بأناس قبلهم.

ولقد رثيت لحال أناس رأيتهم في سيارة شحن مكشوفة تشبه القلاب تحمل حطبًا، وقد ركب طائفة من الناس فوقها، وقد غطوا رءوسهم تمامًا بمعاطفهم؛ لأنه ليس ما يقيهم من المطر والريح الباردة، غير أنني فكرت في أمر الذين رأيتهم في الطريق ما بين المطار وقلب المدينة أي في الأماكن التي تسبق منطقة

المنازل، وهم ليس عندهم وسيلة تنقلهم حتى مثل هذه الشاحنة السيئة.

وقد أقفرت شوارع المدينة الداخلية من المشاة تمامًا، وانقشعت جميع (البسطات) التي هي البضائع الصغيرة التي تعرض موضوعة على الأرض أو على عربة من اليد، وفر الفلاحون الذين كانوا جلبوا ما حصلوه من أشياء قليلة من مزراعهم، وحتى الحوانيت أغلقت أبوابها، فهي بطبيعة الحال لا تجد مشترين.

حتى الحافلات التي كانت ترى ظاهرة في شوارع المدينة في الأوقات المعتادة قد اختفت، وإنما السيارات التي ترى هي سيارات الشحن الخضر التي تشبه سيارات الجيوش في البلدان الأخرى، وسيارات (الجيب) القوية التي هي كلها من صنع الصين الشعبية.

أما السيارات الخاصة فإنها غير موجودة أصلًا في هذه البلاد، وليس من العادة أن يملك الأفراد سيارات خاصة في الصين كلها كما تقدم.

وحتى عربات الركشا ذات العجلات الثلاث أو الأبواب التي تغلق وهي موجودة هنا على قلة شديدة لا ترى الآن.

وقلت في نفسي: أهذا هو التقدم الإنساني الذي تنادي به الشيوعية؟ وماذا عن حكم الشعب الذي فاخروا به: أهذه هي نتائجه؟

وعرفت أن أهم ما فعلوا هو أن أزالوا غنى الغني واكتفوا بذلك تشفيًا، وقنعوا بما هم عليه من فقر!

الفصول الثلاثة في يوم واحد:

كنا قد أصبحنا كما قلت على جو ربيعي منعش، وأضحينا - أي دخلنا في الضحى - على جو صيفي جميل في هذه البلاد.

إلا أننا وقد عدنا إلى دار الضيافة قد شعرنا بأننا في أشد فصل الشتاء عندنا قسوة وضراوة، وهذا كله في يوم واحد، وهو من عجائب الجو في هذه البلاد.

وذهل الذين في دار الضيافة لعودتنا وكانوا ودعونا من قبل، فأسرعنا للالتجاء إلى حجراتنا ومراقبة هذا الجو العابس من خلال الزجاج.

ولاحظت بمزيد من العجب والدهشة منظرًا لم أره في حياتي من قبل، رغم كوني سافرت إلى بلاد حارة وأخرى باردة، وعشت أيامًا في الأجواء المتضادة، ألا وهو منظر دخان أو بخار كثيف ينطلق من الأرض، وبخاصة من أسفلت الطريق في وسط حديقة دار الضيافة، ولم أستطع تفسيره، وكانت السماء ترسل رذاذًا فسألت عنه الإخوة المرافقين من أهل البلاد، فقالوا: إن هذا الذي تراه ينزل ليس ماء المطر، وإنما هو الثلج ابتدأ بالنزول وهو بارد، فإذا وصل إلى سطح الأرض الحار بالنسبة إليه تبخر على هيئة دخان خفيف.

وقالوا: إن العادة قد جرت في مثل هذه الأحوال التي ينزل فيها الثلج بعد دفء يسبقه في الجو أنه يبقى هكذا فترة يتبخر حتى يبرد سطح الأرض، فيبدأ الثلج بالتراكم.

فقلت: وهذا التقلب في الجو أهو معتاد عندكم؟ فقالوا: إن هذه الريح التي بدأت هي أوائل عاصفة ثلجية قادمة من سيبيريا غير البعيدة، وإننا ننتظر أن تستمر لبعض الوقت كما هو المعتاد.

ولقد رأيتهم فرحوا بنزول المطر والثلج، بل استبشر به بعضهم، وقال: إن هذا الوقت الذي بدأت فيه الأشجار تورق يحتاج ازدهاره إلى ماء من مطر أو غيره ليكون الربيع نضرًا جيدًا؛ لأنهم في بلاد صحراوية أو شبه صحراوية لا يكثر فيها المطر في الشتاء، أما الصيف فإنهم يتلقون ما يحتاجون إليه من الماء من

الجبال التي تذوب منها الثلوج التي تكون قد تراكمت في فصل الشتاء الطويل.

ولقد دام هذا البخار فترة حتى ما ينزل منه على ظهر السيارة، فإنه يذوب ويتبخر ولا يؤلف طبقة مرئية عليها.

هذا والثلج يسقط وحده على الأرض دون مطر، فالمطر الذي بدأ أول هبوب العاصفة قد توقف.

وبعد ساعات تحولت العاصفة التي كانت قد بدأت ترابية إلى عاصفة ثلجية حقيقية، وكأننا في شهر يناير في أوروبا الشمالية، وقد توقف البخار وأخذ الثلج يتجمع فوق الأرض وعلى الأشجار والسيارات مع الظلمة الشديدة، وأصبح الزجاج لا يكاد يحمي من البرد الشديد.

وصارت أشجار الحديقة التي كانت بالأمس تتهيأ لفصل الربيع بإخراج أوراق طفيلية من أوراق وليدة قد لبست حللًا بيضًا بحيث صارت هذه الأشجار تشبه الواحدة شجرة عيد الميلاد المشهورة في أوروبا التي يضعون عليها الثلج تمثيلًا، إذا كانت في داخل المنازل والمحلات.

الموعد الذي تغير:

كان من المقرر أن نعود اليوم إلى العاصمة بكين، وأن نقوم هناك بالبرنامج المقرر ومنه حضور حفلة يقيمها سفراء الدول العربية للوفد، وقد تزعم إقامتها سفير السودان في بكين، ومن ذلك أيضًا أن ألقى حديثًا في إذاعة بكين العربية الموجهة للبلدان العربية إلى جانب عقد مؤتمر صحفي، وإلقاء كلمة فيه عن شعورنا نحو زيارتنا للصين.

ولم يكن السبب في ذلك تأخير الوصول إلى بكين في حد ذاته، فذلك قد يمكن تلافيه بتأخير البرنامج المقرر يومًا واحدًا، وإنما المشكلة هي أن إقامتنا في

بكين محددة بيوم واحد وبعض يوم، ومن المقرر أن نتوجه بعد ذلك إلى مقاطعة كانصو في الشمال الغربي من الصين ، ونتجول في تلك المقاطعة ومقاطعة أخرى مجاورة لها هي (بينغ شيا) وزيارتها مهمة؛ لأنها مقاطعة للمسلمين من قومية (خوي) كما يسمونها، فرئيس الحكومة مسلم ونائبه كذلك، وبعد ذلك نتوجه إلى شنغهاي ثم كانتون، وكل هذا البرنامج سيتأثر بالتأخير.

ولذلك قال لنا الإخوة المرافقون الذين كانوا معنا من بكين: لعل من الأفضل أن نسافر من هنا إلى (لانجو) عاصمة كانوا إذا لم يتحسن الجو غدًا أو أن نعزم على السفر بالقطار إلى مدينة لانجو غدًا، وإن كانت المسافة بعيدة وستستغرق ستًّا وثلاثين ساعة.

يقولون ذلك؛ لأن الجو كان لا يزال على حاله، ولسنا على ثقة من أنه سوف يتحسن غدًا، وأن الطائرة ستستطيع النزول في مطار (أورومجي) غدًا، وبذلك نلغي جميع البرنامج المقرر في بكين، ونبقي على بقية البرنامج في شمال غربي الصين، فهو أهم لدينا ووافقنا على هذه الفكرة مبدئيًّا، إلا أن الذي واجهنا أننا لسنا على ثقة من السفر غدًا إلى (لانجو) أيضًا.

هذا وقد شغلتني مراقبة منظر الثلج وهو لا يزال يتساقط وكأنه أجنحة الجراد وقد كون حللًا منشورة على الأرض، ولم أستطع الانصراف عنه حتى للكتابة إلى أن حضر موعد العشاء في السادسة.

يوم الأربعاء: 25/ 4/ 1984هـ:

جو ثالج:

قمنا لصلاة الفجر اليوم في جو بارد جعلنا نعود إلى لبس الجبة الأيغورية التي كنا لبسناها في زيارة البحيرة السماوية، وكان بعضنا قد زهد بها حتى عرض أن يعطيها أحد الإخوة المقيمين لولا أنا نبهناه على أنها هدية لا ينبغي أن ترفض، وكان فعله هذا بعد برد هذه الليلة مما ذكرنا بقصة الدفء آخر الشتاء الذي قال فيه أهل نجد: إنه هو الذي يجعل الخبل أي الرجل المخبول يبيع عباءته يظن أن البرد قد ذهب كله فيعود إليه.

وقبل شروق الشمس كان المنظر في حديقة دار الضيافة، بل وفي كل ما يصل إليه النظر أبيض كأنما نثر عليه ملح غامر وهو بياض الثلج الذي انقطع فلم يعد يسقط في الصباح.

وقد أشرقت صاحية إلا أن ذلك لم يغن شيئًا في البرد الشديد، وقد اغتنمت الفرصة فالتقطت صورة في الحديقة بعد طلوع الشمس.

وفي هذا الجو البارد استرعى انتباهي منظر عاملة صينية لم أنتبه لها من قبل وهي تنظف زجاج الطابق الأرضي من دار الضيافة من الخارج وسط هذا الثلج، ومظهرها مظهر الصينية الكافرة فسألت أحد الإخوة عن راتبها فناداها وسألها فأجابت: إنه 62 ينًّا و13 سنتًا ويساوي ذلك حوالي ثلاثين دولارًا أمريكيًّا لهذا العمل الشاق الذي يستمر مدة ثمان ساعات، منه أكلها وكسوتها، وعرفنا أن من عملها تنظيف الحمامات ومسح الأرض، وهي فتاة شابة لا بأس بمظهرها أكدت أنها من قومية (خان) كفار الصينين.

وعلق بعض الإخوة الذين سمعوا قصتها بقولهم: هذا الراتب لها هنا لأنها ليست من المقاطعة، وإلا فإن مثلها إذا عملت في بكين لا تتقاضى أكثر من 40 ينًّا في الأغلب.

وقد أصبحنا ونحن عازمون طبقًا للمشاورات التي أجراها مضيفونا على السفر إلى مدينة لانجو عاصمة مقاطعة كانسو بالقطار في الساعة الثانية ظهرًا؛ لأنهم آيسونا من إمكان نزول الطائرة في (أورومشي) في هذا اليوم، وذكروا أن المسافة هي ألف وثمانمائة كيلو متر، وتستغرق (36) ساعة، وفي المعتاد تستغرق يومين.

وحزمنا أمرنا وقلنا: ليكن ذلك فنحن لا نريد أن نبقى هنا بعد الآن؛ لأن البرنامج المقرر لزيارتنا قد انتهى، وكنا قد طلبنا منهم أن نزور منطقة منخفضة في هذه المقاطعة سنكيانغ أو (تركستان الشرقية)، ولكنهم لم يوافقوا على ذلك، وتعللوا بأن حالة الطرق إليها لا تسمح بذلك مع أنها منطقة دفيئة؛ لأنها تنخفض عن مستوى سطح البحر.

وقبل الموعد المحدد للسفر بالقطار وكنا قد جزمنا أمتعتنا جاءوا يخبروننا بأن السفر قد تأجل؛ لأن الأخبار وصلت إليهم أن الثلوج والعواصف قد أتلفت بعض خطوط القطار الذاهبة إلى (لانجو)، وأنه لا سبيل أمامنا إلا الانتظار حتى ينجلي الأمر، وقد يكون ذلك غدًا الخميس، وربما يكون السفر بعد غد الجمعة.

وقد فرحنا لهذا الخبر الذي أعفانا من السير ألفًا وثمانمائة كيلو متر بقطار يسير بالبخار، لا سيما مع سماع أخبار الخراب والدمار الذي أحدثته الثلوج والسيول بخطوط السكك الحديدية في المنطقة، كما قالوا لنا.

وقال الإخوة المرافقون والمضيفون: إننا سوف نبحث الموضوع مع رئيس الحكومة لنرى ما إذا كان بالإمكان تدبير طائرة خاصة للوفد ومرافقيه، وذكروا أن المشكلة هي في وجود هذه الطائرة هنا، وليست المشكلة في عدم قيامها بالوفد.

ثم جاءوا إلينا وأكدوا لبثنا في (أورومشي) يوم غد، فانتهزت الفرصة بدون عمل هذا اليوم، وانصرفت في كتابة ما تقرأه الآن.

يوم الخميس 26/ 4/ 1984م:

جو عابس:

أصبح الجو اليوم مظلمًا عابسًا، خلاف ما كان عليه جو أمس الشامس، والذي جعلنا نعطي الجو هذه الأهمية؛ لأن سفرنا متعلق به، فإذا كان الجو صاحيًا كان بالإمكان أن تنزل الطائرة وأن نسافر والعكس بالعكس.

وقد خف عبوسه ضحى بأن أسفر الجو وأطلت الشمس إلا أن الريح كانت باردة جدًّا، وقد عاد الجو إلى العبوس عصرًا.

إلى الأودية الخمسة:

لن يكون ذهابنا لكل واد من هذه الخمسة على حدة، وإنما سيكون لمكان واحد يسمى في الصينية بما معناه (خمسة أودية) وهو (أوجا تشو).

وفيه يقع (فيلق الإنتاج) في سينكيانغ وهو فيلق حربي جرت عادة الصينيين على أن يشغلوا بعض فيالق الجيش بشيء من الأعمال الإنتاجية لئلا يذهب وقتهم سدى إذا كانت المنطقة التي يقيمون فيها آمنة، ولكي يساعدوا على توفير جزء من النفقات التي تنفقها الحكومة على هذا الجيش.

وقد رأينا المسئولين في الحكومة قد جعلوا هذه الزيارة لها اليوم؛ لأنه ليس فيه برنامج سابق على اعتبار أننا سنكون في بكين، بل نكون سافرنا منها إلى (لانجو) لولا التعطل الذي حصل لنا هنا.

وذكروا أنه يبعد عن مدينة (أورومشي) خمسة وستين كيلو مترًا، وأن من المقرر أن نتغدى هناك على مائدة قاعدة الفيلق.

وقد سررت بذلك؛ لكونه يبعد الملل من اللبث في دار الضيافة، وفي الوقت نفسه يجعلنا نستطيع أن نرى من ريف هذه المقاطعة ما لم نكن قد رأيناه.

انطلق الموكب من دار الضيافة، ومررنا في الطريق إلى قلب المدينة بخراب في الطريق الأسفلتي جعله تكون فيه حُفَر ونُقَر، ولم نرهم أصلحوه حتى الآن، مع أنه كان موجودًا عند قدومنا قبل عشرة أيام ولفت أنظار المرافقين إلى ذلك، فرأيناهم بعد ذلك يصلحونه، ولا أدري أذلك حدث مصادفة أم أنهم أبلغوا المسئولين به.

ورأيت المشاة من النساء والأطفال وهم يلوذون بأكتاف الطريق عن السيارات التي هي ليس كثيرة فرثيت لحالهم؛ لأنهم لا يجدون وسيلة للركوب يمكنهم تملكها كما يفعل أكثر الناس في كثير من بلدان العالم، وبعض النساء يضعن لثامًا على وجههن اتقاء للبرد، فيفعلن كما تفعل كناسات البلدية عندما يتلثمن وهن يكنسن الشوارع اتقاء للغبار.

والشارع المؤدي إلى دار الضيافة هو مهم عليه المستشفى الأيغوري وعليه أرض المركز الإسلامي الذي من المقرر أن يبنى في أورومشي، وقد ساعدت المملكة العربية السعودية ممثلة في رابطة العالم الإسلامي في نفقات إقامته.

ومما ينبغي التنويه به مما يتعلق به أننا رأيناهم منذ وصلنا وهم يعملون في رصيف لهذا الشارع يبنون من الجانبين جانب الرصيف، ولا ندري ماذا سيكون عليه ظهر الرصيف في المستقبل وعملهم بطيء لأنه كله يدوي.

واخترقنا الشارع الرئيسي المعتاد في وسط المدينة وقبل الخروج منه رأيت امرأة تقطع الشارع وهي تحمل صفيحتين من الماء معلقتين بعود من الخشب على كتفها، تنقل بذلك الماء إلى بيتها إن لم تكن تنقله للآخرين بالأجرة.

ولم أر هنا محطات لبيع الوقود كالموجودة عندنا، وفي بقية أنحاء العالم، ولا أدري كيف تحصل السيارات على الوقود، وقال لي بعضهم: إن السيارات هنا حكومية، وهناك محطات لها خاصة غير ظاهرة في الشوارع، وأما سائر الناس فإنهم لا يملكون سيارات خاصة، ولذلك لا يحتاجون إلى محطات ظاهرة للناس.

وكان سيرنا مع الطريق الذي كنت سلكته بسيارة الضيافة وحدي دون بقية أعضاء الوفد عندما ذهبنا إلى قرية (أنان تشي) التي تسبق الحديث عنها.

وقد لاحظت الفرق واضحًا في أشجار الطريق بينا ما رأيناها عليه في أول وصولنا قبل عشرة أيام وما هي عليه الآن، فهي الآن قد بدات بالاخضرار، غير أن ذلك لا يدرك تمامًا إلا بالتأمل، وكانت تبدو خامدة، بل هامدة.

في ريف تركستان ثانية:

تجاوزنا قرية (أنان تشي) متجهين شمالًا مع طريق أسفلتي ضيق يشق أرضًا ريفية غير بهيجة، بعضها مزروع بحقول قمح بدأ بالاخضرار وبعضها متروك يهيئونه بذلك للزراعة في موسم مقبل ولون التربة رمادي.

والبيوت القليلة الموجودة في هذا الريف هي من الطين ومع ذلك فهي ذات سقوف مسنمة مسترخية، وعلى سطوح هذه البيوت الطينية كالعادة أكوام من التبن الذي يختزنونه هنا لئلا تفسده رطوبة الأرض ويستعملونه علفًا للدواب.

ولم أر مظاهر لري الأرض إلا في آلة رافعة للمياه رأيتها تضخ الماء في قناة عليها أشجار الطريق، وظاهر من صنيعهم أنهم لا يسقون هذه الأشجار التي غرست لكي تظل الطريق وتجمله كما هو عليه الحال في شوارع المدينة وضواحيها إلا في فصل الدفء.

ثم رأيت بعد ذلك آلات رافعة للمياه من بطن الأرض (مضخات)، وهي تضخ الماء في قنوات تذهب بعيدًا.

قرية سالنغوا:

ذكرت مثلًا عربيًّا قديمًا يقول - وليس لنا مثل السوء - (زلق الحمار وكان ذلك من شهوة المكاري) والمكاري: هو الذي يؤجر حماره للناس ينقلهم عليه، وكان مرة يحب أن لا يسرع في الوصول إلى هدف يريد الراكب أن يصل إليه، فزلق حماره، وتأخر وصوله كما أراد.

وهنا عندما لمحت قرية سالنغوا وبيوتها الطينية الواسعة وأكثرها ذات أفنية مكشوفة متسعة أيضًا وقرب أبوابها بعض السكان تمنيت أن أقف عندها ولو طلبت ذلك لأجابوا، ولكن المبرر لها صعب، وبخاصة أن مظهر القرية وريفها غير جيد، ومن ذلك أكوام من السماد الطبيعي المتألف من روث البهائم موجود ظاهر يرى من الطريق، وليس في القرية أي أثر للعناية من بلدية أو نحوها.

وهي ريفية بمعنى أن بيوتها متباعدة وبعضها بيوت على الطريق خلفها أرض مزروعة لأهل البيوت.

وعندما توسطناها أشار إلينا القوم بأن إحدى سيارات الموكب، وأظنها كلها ستًّا أو سبعًا قد وقفت فوقفنا نستطلع الأمر، فقالوا: إن عجلتها تحتاج إلى تبديل؛ لأنها قد ذهب اللهواء منها.

ووقف الموكب ووقفنا، وكانت هذه فرصة سارعت إلى انتهازها عندما رأيت فلاحة وطفلة لها واقفتين عند الباب تتفرجان برؤية الموكب، فسألت المرأة عن اسمها؟ فقالت: فاطمة واسم ابنتها (زلفيه) - ربما كان ذلك نسبة إلى زلفى واختلست صورة لهما وبيتهما الطيني وكومة من السماد الطبيعي بجانبه.

على أن مظهر الفلاحة وابنتها جيد، فهما على غاية من النظافة والصحة البدنية.

وكان الهواء باردًا فأخبرونا أن الإذاعة ذكرت أن درجة الحرارة الكبرى المتوقعة هذا اليوم هي ثمان درجات في أورومشي، ولا شك أنها في هذا الريف المكشوف تكون أقل من ذلك.

واتسع الطريق بعد أن فارقنا القرية وقربنا من هدفنا وصار أحسن حالًا من قبل، ومع ذلك رأيت فيه فلاحًا يسوق حمارين صغيرين يجران عربة.

في أوجاتشو:

قصدنا تَوًّا مقر قيادة الفيلق في البلدة أو لنقل القرية، فرأينا بناء أسمنتيًّا حديثًا مؤنقًا معتنى به كأنه الفندق الجيد فقلت: أين هو من منازل سائر الناس في هذا الريف؟

كان أول من قابلنا عند مدخل مبنى القيادة ضابط برتبة كبيرة، ومعه طائفة من مصوري التلفزة والصحافة.

انتقل معنا إلى غرفة استقبال في الطابق الثاني جيدة التأنيث وأثاثها عصري ليس للطراز الصيني التقليدي فيه أثر، وأظن هذا الضابط صينيًّا من الكفار، ويظهر أننا وصلنا إليهم قبل الموعد المتوقع لوصولنا بقليل.

ثم بعد قليل دخل القاعة ضابط أكبر منه رتبة قوي البدن، مديد القامة مهيب المنظر فتحفز الجميع لوصوله، وقالوا: إنه نائب القائد العام لفيلق الإنتاج في مقاطعة (سنكيانغ).

ولم نحتج إلى أن نسأل عن ديانته فمظهره الذي يخالف مظهر الصينيين، والذي يشبه مظهر البخاريين من التركستانيين لولا تقاسيم وجهه يجعلنا نجزم

بأنه ليس من كفار الصينيين كما أن سلامه علينا وتحيته بتحية الإسلام جعلتنا نتيقن أنه مسلم؛ لأن احتفاءه بنا ليس كاحتفاء الكفار من الصينيين، بل شعرنا بأنه يحيينا من كل قلبه، وقدموه لنا بأنه القائد (تشاش بيك) وبيك: تدل على قرب أصله التركستاني لولا أنهم أخبرونا أنه من القرغيز وهم طائفة من إخواننا المسلمين الذين يسكنون بين إقليم تركستان وبلاد أفغانستان.

وأخبرنا أخانا القائد المسلم بما لا يخبر به الموظفين الكبار من الكفار حول الغرض من قدومنا والتعريف برابطة العالم الإسلامي، وخدمتها للمسلمين في العالم.

وقال يحدثنا أمام رجال التلفزة والصحافة من الرسميين حديثًا لا بد له من أن يقدم له بشيء رسمي وهو قوله: إن هذا الفيلق الذي يتولى قيادته هو الذي حرر سينكاينغ خلال الثورة، وأنه الآن اتجه إلى الإنتاج.

ثم شرح الفكرة من تشغيله، وما حققه ذلك.

وكان يتحدث ونحن في قاعة الاستقبال التي كانوا أحضروا لنا فيها أكوابًا من ماء البطيخ الأصفر أي الشمام إلى جانب الشاي الصيني المعتاد، والتفاح والحلوى فقال: هذه الأشياء التي ترونها على هذه المائدة من إنتاج العمل لهذا الفيلق، فالبطيخ الأخضر هو الذي زرعه وكذلك التفاح.

وقال: إن هذا الفيلق يتألف من مائتين وسبعين ألف رجلًا أكثر الذين فيه هم من (الخان) وهم الصينيون الكفار ذكرنا ذلك مرارًا إلا أنه - كما يقال - يضم جنودًا وضباطًا من تسع عشرة قومية أخرى.

وسألناه عن نسبة عدد المسلمين فيه، فأجاب: إنهم 17 ألفًا من 270 ألفًا.

أقول: هذا يدل على أن هذا الفيلق قصد به في الأصل السيطرة على هذا الإقليم المسلم؛ لأن نسبة المسلمين العددية لا تزيد على 6٪ على حين أنهم في هذا الإقليم لهم الأغلبية قبل تزايد هجرة الصينين.

ثم تلا علينا شخص آخر بعض المعلومات الاقتصادية عن أدوات العمل فيه فقال: إن المشروع الزراعي لهذا الفيلق فيه مائة وثلاثون بئرًا وأربعة آلاف جرار زراعي (تراكتور).

وذكر أنه ليست هناك مشكلة في توفير المياه فبعضها يأتي من الجبال من ذوب الثلوج في أوقات الدفء وبعضها يستخرج من الآبار الموجودة في الأرض.

ثم تقدمنا نائب القائد ومرافقوه وأرونا غرفًا كغرف الفنادق ملحقة بمقر القيادة، وقال: يمكنكم أن تستريحوا هنا فترة من الوقت وسوف أراكم مع القائد العام للفيلق في حفلة الغداء.

ووجدنا الغرف متوسطة تساوي الغرف المعتادة في فنادق الدرجة الثانية ولا عيب فيها إلا أنها باردة رغم الأغطية وفيها أنابيب التدفئة بالمياه لا تعمل، وفيها مروحة واقفة، ويدل وجود المدافئ مع المراوح في الغرفة على طبيعة الطقس في هذه البلاد وكونه صحراويًا يشتد فيه البرد والحر.

وقد وضعوا (الزمزميات) وهي الأوعية التي تحفظ فيها المياه الحارة مع الشاي الصيني بدون سكر ليستطيع الضيف أن يصنع الشاي بنفسه إذا أراد.

مصنع الأحذية:

بعد استراحة قصيرة في غرف الضيافة هذه انتقلنا مع المرافقين إلى مصنع للأحذية والأدوات الجلدية في البلدة.

دخلنا إليه فرأينا العاملات فيه أكثرهن من نساء الصينيين الشابات وقد جعلوهن صفين متقابلين على كراسٍ وبين الصفين منصة مستطيلة عليها آلات إصلاح الأحذية، وفي كل جزء من هذه المستطيلة يصنع جزء من الحذاء أو يركب فيه.

وأكثر العمل فيه يتم يدويًا.

ومع حرصهم على أن يرونا هذا المصنع، فإننا قد رأينا معتادًا بل دون المصانع المعتادة في البلدان ذات الصناعة المزدهرة وبخاصة في الآلات ومن تلك البلدان شقيقتهم (تايوان) أو الصين الوطنية.

وقد أخبرونا بهذه المناسبة أن مدينة (أورومشي) عاصمة سنكيانغ فيها ثلاثة مصانع للأحذية، وأن مجموع مصانع الأحذية في المقاطعة اثنا عشر مصنعًا، وذكروا أنها لا تكفي حاجة هذه المقاطعة، ولذلك يستوردون المزيد من الأحذية من مناطق صينية أخرى.

ثم أرونا غرفة أطلقوا عليها (غرفة البيع)، وقد امتلأت بنماذج من مصنوعاتهم الجلدية، وكتبوا عليها أسعارهم وهي أسعار معتدلة إلا أنه يوجد في بلادنا من البضائع المستودرة ما يفوقها رخصًا وما يماثلها في النوع.

وأخبرونا أن متوسط أجر العامل في المصنع هي اثنان وثمانون ينًّا في الشهر.

ثم عدنا إلى مقر الضيافة في الفيلق مارين ببيوت طينية من بيوت هذه القرية، ومع شوارع ليست جيدة الزفلتة.

مأدبة القيادة:

أقامت قيادة الفيلق مأدبة غداء للوفد حافلة سواء بأطعمتها أو بالذين حضروها، وذلك في جزء آخر من دار الضيافة الملحقة بمقر القيادة.

وكانت مائدة صينية رغم كوننا في منطقة إيغورية وقد رأس المأدبة أخونا المسلم نائب القائد العام، ولم يحضر القائد العام كما قد أخبرونا من قبل.

وقد عاملنا هذا الأخ الضابط بغاية المجاملة.

أما المائدة فإن أكثر ما فيها من الأطعمة كان غريبًا علينا، ولم نعتد على تناوله في هذه المقاطعة، وبخاصة المقبلات ومن ذلك أنهم قدموا بيضًا يبدو منظره كمنظر الزجاج الأسود، ذكروا أن سبب ذلك أنه ينقع في مواد كيماوية لمدة شهرين حتى يصبح كذلك، ومن ذلك (المحار) البحري وهو نوع من الرخويات البحرية، وأنواع من الأعشاب المطبوخة وأعشاب أخرى باردة، ثم توالت أطباق الطعام الرئيسية المنوعة، إلا أنها دون سخاء الموائد الأيغورية (التركستانية) من حيث الكميات بكثير.

وبعد الانتهاء من الغداء كانت العودة إلى قاعة الاستقبال في مقر القيادة، حيث وزعوا علينا الهدايا، ومنها حقائب صغيرة من إنتاج مصنع الأحذية.

ثم كانت العودة إلى غرف الاستراحة حيث أدينا صلاة الظهر، ثم حضر القائد لتوديعنا.

سد السير بسرعة:

قالوا: إنه قد بقيت فقرة في زيارة هذه المنطقة هي زيارة سد (مونغجينغ) ومعناها باللغة الصينية: السير بسرعة كما أخبرنا المرافقون.

وهو سد صغير تبلغ استدارته ثمانية كيلو مترات، وكله 17 كيلومترًا، ذكروا أنه الذي بناه هو الجيش الصيني الذي أسموه جيش التحرير الشعبي ما بين عامي 1952 و1955م.

وذكروا أنه يروي ما مجموعه ثلاثمائة ألف (مو) و(المو) وحدة قياس تبلغ

الخمسة عشر منه هكتارًا واحدًا، وأنه يستمد مياهه من الجبال التي تمر بمنطقة أورومشي، وتأتي إلى هنا بعد ذلك لكون منطقته أخفض من منطقة (أورومشي).

ويقع إلى الغرب من (أورومشي) بمسافة خمسين كيلو مترًا.

كان الهواء باردًا ووجدناهم قد أعدوا كراسي حول مائدة خشبية مستطيلة تحت مظلة مكشوفة فوق جدار السد، ووضعوا الزمزميات التي تحمل الماء الحار والأكواب التي فيها أوراق الشاي الصيني الخفيف الخالي من السكر، فجلسنا حول المائدة ولكن كان الهواء باردًا لم نستطع الصبر عليه إلا لوقت قصير.

ثم كانت العودة إلى مدينة أورومشي قبل الخامسة عصرًا بقليل.

وكان أهم ما تطلبناه فيها فوجدناه هو الدفء الذي افتقدناه منذ أن غادرناها في هذا الصباح، وكانوا أخبرونا أن درجة الحرارة أنذاك هي (اثنتان) فوق الصفر، إلا أننا لم نكن قد أخذنا للأمر أهمية.

وقد وجدنا الدفء أيضًا في الطعام الأويغوري الدسم الذي عرفنا السبب في كونه يكون في كل الحالات أو في أكثرها حافلًا بالدسم الثقيل، وكذلك كنا قد عرفناه من التركستانيين المهاجرين في بلادنا، وأن ذلك يعود إلى أن المرء في البلاد الباردة يحتاج على طعام دسم، ومن أهم ما يفعله الدسم في مقاومة البرد أن الجسم يفرز بعض المواد الدهنية التي لا يستطيع أن يهضمها فتتكون على الجلد طبقة من الدسم تساعد في مقاومة البرد، وإن كان الناس لا يتقيدون بما يحتاجونه في هذا الأمر بمقدار معين، بل يستمرون على تناول الدسم الكثير بحكم العادة.

وبعد المغرب هتفت بأولادي في الرياض من هاتف في دار الضيافة، ولما أخبرتهم بأن الجلو ثالج عندنا عجبوا من ذلك وقالوا: إن الحر عندهم شديد.

يوم الجمعة 26/ 7/ 1404هـ - / 4/ 1984م:

وتأجل السفر مرة أخرى:

أصبحنا فرحين من أجل السفر اليوم، وطاف بنا منهم طائف في هذا الصباح يخبر بأن الفطور سيكون في الثامنة والنصف، وأن الخروج إلى المطار سيكون في التاسعة والنصف، وذلك من أجل أن يكون فطورًا وغداء في آن.

وأكلناه كالعادة هنيئًا مريئًا، وأنزلنا أمتعتنا من الغرف استعدادًا للخروج إلى المطار، وفجأة تلقت دار الضيافة هاتفًا من الجهة المسئولة تعلن تأجيل السفر إلى ما بعد، وقيل لنا: إنه سيكون في السابعة من مساء هذا اليوم أو في صباح الغد.

وجاء الأخ (محمد أمين كنجي) يعتذر عن التأخير، وظن بعض الناس أن في مدينة (لانجو) استقبالًا لا يريد المسئولون لنا أن نشهده.

جمعة أورومشي:

انتهزنا الفرصة للصلاة في أحد جوامع مدينة (أورومشي)، ورأى الإخوة المرافقون أن نصلي في مسجد (يانغ خان)، وهو الذي صلينا فيه المغرب في أول يوم من قدومنا إلى مدينة (أورومشي)، وكنا نود أن نصلي في غيره من المساجد التي تقع في وسط المدينة القديمة أو أحد أحيائها الأخرى، فهذا المسجد كنا نراه في الطريق إذا ذهبنا لدار الضيافة أو خرجنا منها.

وقد خطب في المصلين إمام المسجد الشيخ: (محمد شريف) خطبتين بالعربية قصيرتين لا تزيد مدتهما مجتمعتين على 6 دقائق، ولا شك في أن عدد

الذين يفهمون الخطبة قليل جدًّا، ولم نره تكلم بموعظة قبل الصلاة، أو بعدها.

ثم ابتدأ الصلاة بسرعة حتى إنه كبر تكبيرة الإحرام قبل أن يتم المؤذن الإقامة، وقرأ في الركعتين قراءة خفيفة حتى أن السورة التي قرأها بعد الفاتحة في الركعة الثانية هي سورة (العصر).

وبعد صلاة الجمعة صلى طائفة من الناس ومنهم الإمام صلاة الظهر أيضًا أربع ركعات، وقد بحثنا معه ذلك فيما بعد، وبينا له أن الأخذ بذلك ليس من السنة، وأن أصله اجتهاد من بعض الفقهاء القدماء الذين يقولون لا تصح صلاة الجمعة قبل أن يصلي الإمام الأعظم، وقالوا: إنه ينبغي للناس أن يصلوا ظهرًا من باب الاحتياط لئلا تكون جمعتهم قد سبقت جمعة الإمام الأعظم الذي يريدون به إمام المسلمين فتكون باطلة.

ثم ألقيت فيهم كلمة مناسبة ترجمها إلى الأويغورية الأخ رحمة الله بن عناية الله سكرتير الوفد وأصله من هذه البلاد، وقد أعدت الحث فيها على تربية الأولاد تربية إسلامية، وأنهم أمانة في أعناق أهلهم، وذكرتهم بوجوب أن يأخذ المسلم بالإسلام قولًا وعملًا، وقد بكى عدد منهم إلا أنه دون نحيب، فكانوا يمسحون دموعهم، وليس كما عليه الحال في كاشغر.

وانقضى مساء هذا اليوم، دون عمل وإنما كان في حلقة سمر إن صح التعبير مع الإخوة أعضاء الوفد.

يوم السبت 27/ 7/ 1404هـ:

كان هذا اليوم يوم السفر من سنكيانغ إلى مدينة (لانجو) عاصمة مقاطعة (كانسو) في الصين.

وقد غادرنا مطار (أورومشي) في الساعة الحادية عشرة إلا ثلثًا من هذا

الضحى على طائرة ذات مراوح، إلا أنها أكبر من المعتادة، وقد قصصت قصة هذا السفر مع باقي المشاهدات في الصين في كتاب: (داخل أسوار الصين).

لمحات عن تركستان الشرقية:

اعتدت في رحلاتي أن أذكر شيئًا من تاريخ البلدان التي أرحل إليها مضافًا إلى ما أذكره من المشاهدات والاستنتاج من المرئيات؛ وذلك لكي يكون القارئ الكريم ملمًّا بقدر من المعلومات عن تلك البلاد يستعين به على فهم حاضرها الوارد في اليوميات، وكنت أجعل ذلك في آخر الكتاب في بعض الرحلات وبعضها أجعله في أوله.

وفي كتابنا هذا (جولة في تركستان الشرقية) أثرت أن أجعل ذلك في آخر الكتاب؛ لأن زيارة (تركستان الشرقية) كانت جزءًا من زيارة الصين الشعبية، وأرجو معذرة القارئ الكريم على طريقة السرد التي اتبعت في هذه المعلومات؛ لأن طبيعة كتابنا هذا وهو كتاب رحلة وتدوين مشاهدات لا يكون كالكتاب الجامعي المدعم بالمراجع والمصادر وتمحيص النصوص وذكر أرقام الصفحات، فذلك موضعه غير هذا الكتاب، والله أعلم بالصواب.

وقد أعَدَّ هذا البحث سكرتير وفدنا إلى تركستان الشرقية والصين الأستاذ رحمة الله بن عناية الله التركستاني، وأضفى عليه من علمه بأحوال المنطقة، واطلاعه على تاريخها القديم (الحديث) إضافة إلى معرفته التامة باللغات المتفرعة من اللغة التركية القديمة المسماة بالجغتاوية ما جعله ممتعًا وافيًا بالمقصود فنشكره على ذلك وفقه الله.

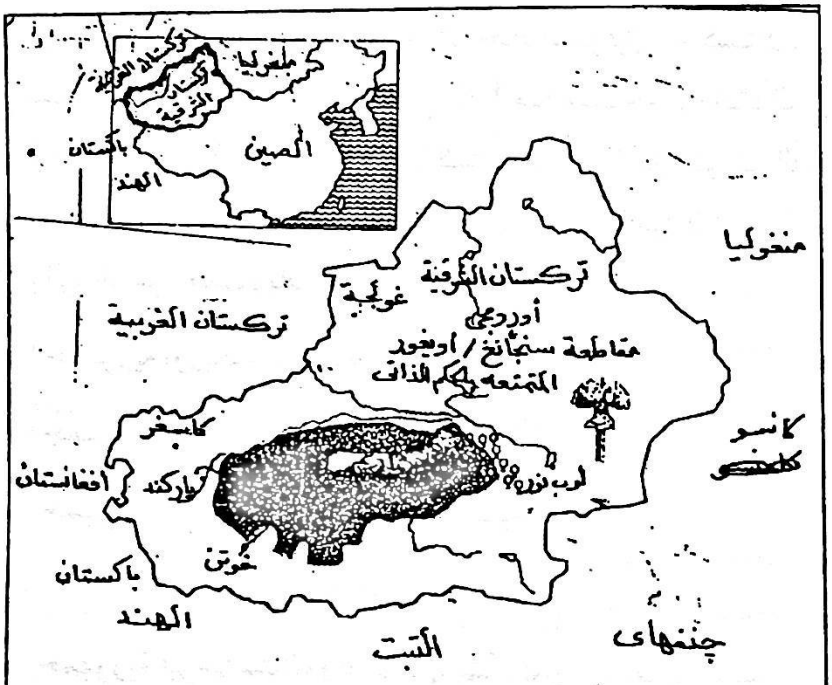

منطقة التفجيرات النووية وأثرها
في تركستان الشرقية.

نظرة في خريطة تركستان:

تقع تركستان في آسيا الوسطى ويتقاسمها الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية بموجب معاهدات عديدة انتهت بمعاهدة سانت بتروسبورغ في فبراير 1881م.

ويعرف الجزء الغربي الذي يقع في الاتحاد السوفيتي بتركستان الغربية، وتبلغ مساحته 3994400كم، ويشكل 5/ 1 من مساحة الاتحاد السوفيتي الإجمالية، وكانت تعرف رسميًا بولاية تركستان خلال الإمبراطورية القيصرية الروسية، ولكن بعد الثورة الشيوعية في روسيا قسمت تركستان الغربية في عام 1924م إلى خمس جمهوريات هي:

(1) جمهورية أوزبكستان وعاصمتها طاشكند.

(2) جمهورية تركمانستان وعاصمتها عشق آباد.

(3) جمهورية تاجيكستان وعاصمتها دوشنبه.

(4) جمهورية قزاقستان وعاصمتها المأأتا.

(5) جمهورية قيرغيزستان، وعاصمتها بشكك.

الإمبراطورية الصينية المانشورية:

أصدر الإمبراطور زايد تين مرسومًا بتاريخ 18/ 11/ 1884م بتحويل تركستان الشرقية إلى مقاطعة صينية وتسميتها سنكيانغ أوشنجانغ ومعناها المستعمرة الجديدة، وبعد الاحتلال الشيوعي الصيني لتركستان الشرقية سماها الصينيون الشيوعيون مقاطعة شنجانغ أو يغور المتمتعة بالحكم الذاتي في 1/ 10/ 1955م.

جغرافية تركستان الشرقية:

تركستان الشرقية التي نحن بصدد الحديث عنها هي بلاد داخلية تبعد عن أقرب البحار إليها بحوالي 1900 كيلو متر، مع أن نهر إيرتش الذي ينبع من جنوب جبال التاي فيها يصب في البحر المتجمد الشمالي، وهو النهر الوحيد من أنهارها الذي يتصل ببحر مفتوح، وهذه البلاد التي تعتبر شبه صحراوية بصفتها العامة يتقاسم سطحها ثلاث سلاسل جبلية وهي:

(1) جبال التاي، أو التون تانغ أي جبال الذهب لاستخراج الذهب منها، وتقع في الشمال والشمال الشرقي لتركستان الشرقية على طول حدودها مع جمهورية منغوليا الخارجية التي يقع فيها الجزء الأكبر، أما الجزء التركستاني فيقدر طوله بنحوه 500 كيلو متر، وتصل أعلى قمة فيها إلى ارتفاع 4374 مترًا.

(2) جبال التنغري (تنغري تاغ) وتيانشان وتعني الجبال السماوية، وقد وصفت منظرها من الطائرة في اليوميات، وتخترق تركستان بجزئيها الشرقي والغربي، ويبلغ طولها 2500 كيلومتر، أما الجزء الذي يقسم تركستان الشرقية إلى حوضين فيقدر بحوالي 1700 كيلومتر، وعرض هذه الجبال من الغرب 400 كيلومتر، وفي الشرق 100كيلومتر، ويبلغ ارتفاع أعلى قمة فيها 7444 مترًا.

(3) جبال قراقوروم، وكون لون والتون تاغ التي تتفرع من هضبة البامير في اتجاه الشرق على طول حدودها مع باكستان والتبت نحو الشمال في أفغانستان وتاجيكستان، حيث تعرف بجبال آلاي، ويبلغ طول هذه الجبال أكثر من ألفي كيلومتر، أما أعلى قممها في تركستان الشرقية فهي قمة كونجور في

جبال قراقوروم، ويبلغ ارتفاعها 8611 مترًا، وهي ثاني أعلى قمة في العالم بعد قمة إفرست، ولم تصل إليها قدم إنسان حتى الآن.

(4) حوض تاريم: يقع في جنوب تركستان الشرقية ويجري فيها نهر تاريم الذي تنبع روافده من جبال قراقوروم وآلاي، وينحدر إلى صحراء تكلا مكان التي تبلغ مساحتها 324000كم، حيث يصب في بحيرة قلوب نور، ويقع فيه منخفض تورفان الذي ينخفض عن مستوى سطح البحر 278مترًا، وهو أخفض بقعة في قارة آسيا، ويتم الري فيه بنوع من القنوات المائية التي تجري تحت الأرض وتسمى كاريز.

(5) حوض جونغاريا: يقع في شمال البلاد، ويتراوح ارتفاعه من 600 إلى 1500 قدم عن مستوى سطح البحر، وتجري فيه الأنهار الصغيرة مناس وجنغ وكور وبورتالا، أما نهر إيرتش فهو الذي ينبع من جنوب التاي ويصب في البحر المتجمد الشمالي، وهذا الحوض يشتهر بالغابات والمراعي الخضراء ومطره أكثره من الجنوب إذْ يبلغ متوسط سقوطه 200 - 300 مم في السنة.

وتعتبر سنكيانغ أكبر مقاطعة في جمهورية الصين الشعبية، وتبلغ مساحتها سدس مساحة البلاد ككل، أي 1828418 كيلومتر مربع.

وتقع في شمال غرب البر الصيني، وترتبط بحدود مشتركة مع كل من الهند وباكستان وأفغانستان والاتحاد السوفيتي (جمهوريات آسيا الوسطى التركستانية) ومنغوليا.

وقد قامت هذه المنطقة بدور حضاري عظيم في التجارة والمدنية بين شرق العالم وغربه على طول طريق الحرير الذي كان يصل الهند والصين بالبلدان

العربية والإمبراطوريات البيزنطية والرومانية والفارسية، ولا يمكن تجاهل دورها السياسي في التاريخ الإنساني حيث كانت مهدًا لممالك مترامية الأطراف مثل دولة الهون وكوك تورك والمغول وموطن الأتراك من السلاجقة والعثمانيين، ولذلك أسميت (تركستان).

كما لا تزال تقوم في الأحداث الجارية بين الصين وروسيا والهند ومنغوليا؛ لكي يتقرر على ضوئها ميزان القوى العالمية التي تتنازع على تلك المنطقة.

أما موقعها الجغرافي فهو بين خطي عرض 7340 إلى 9620 وخطي طول 3510 إلى 0.20 في أقصى الشمال الغربي لجمهورية الصين الشعبية ويحدها من الشرق مقاطعتا كانسو وتشنغاي الصينيتان ومن الغرب تركستان الغربية وأفغانستان، ومن الشمال جمهورية منغوليا الشعبية وسيبيريا ومن الجنوب التبت وكشمير بقسميها الحر والذي تحتله الهند.

إن الاسم الحقيقي لمقاطعة سنكيانغ كما قلنا هو (تركستان الشرقية)، وتعرف بهذا الاسم من سكانها الأصلاء، ومن المهاجرين منهم خارج الحدود في تركستان الغربية (جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية) وغيرها.

والصينيون هم الذين أطلقوا عليها كما سبق ذكره ذلك في اليوميات اسم (سنكيانغ)، وذلك في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، وفي عام 1955م أطلقوا عليها مسمى (مقاطعة سنكيانغ الأويغورية ذات الاستقلال الذاتي) وكلمة (سنكيانغ) أو (شنجانغ) باللغة الصينية تعني (المستعمرة الجديدة) أو (الحدود الجديدة) مما يدل حتى في لغتهم على أن هذه المنطقة لم تكن بالفعل جزءًا من الصين قبل فترة ضمها إلى الأراضي الصينية في عام 1884م.

السكان:

طبقًا لإحصائية يوليو 1982م فإن عدد سكان تركستان الشرقية يزيد قليلًا عن ال13 مليونًا (13081681) منهم 7 ملايين مسلم ينتمون إلى القبائل التركية التالية:

أويغور - قازاق - قيرغير - أوزبك - تاجيك - تتار - وهناك عدد ضئيل جدًّا من المسلمين الذين هم من أصل صيني، ويطلق عليهم (تونكان) أما الباقون وعددهم حوالي 6 مليون فإنهم من أجناس كافرة دخيلة مختلفة وهم الخان أي الصينيون غير المسلمين وروس ومنغوليون، ومنشوريون وغيرهم، وقد أوضحنا حال أولئك في اليوميات عند الحديث عن زيارة متحف القوميات في أورومشي، ومن بين هذه الأجناس الدخيلة غير المسلمة يشكل الصينيون الخان الغالبية العظمى في الوقت الحاضر.

إن التكوين السكاني في تركستان الشرقية في الوقت الحاضر الذي خطط له من قبل الحكم الشيوعي يرمي إلى تغيير جذري في تركيب سكان البلاد، فمنذ عام 1949م حين بدئ في تنفيذ سياسة تصيين البلاد بتهجير الصينيين من قومية الخان أو الهان من المقاطعات الصينية إلى تركستان الشرقية وتوطينهم فيها.

ونورد فيما يلي النسب المئوية للسكان لبعض أهم الجماعة العرقية التي كانت موجودة في عام 1949م، وما طرأ عليها من تغييرات نتيجة لسياسة التصيين وذلك كما يلي:

الجماعات العرقية	النسبة المئوية عام 1949	النسبة المئوية عام 1983
أويغور	٪75	٪49
قازاق	٪10	٪3
أتراك من قبائل أخرى	٪5	٪1
هان (صينيون غير مسلمون)	٪5	٪45
تونقان (صينيون مسلمون)	٪3	٪1
أصول أخرى	٪2	٪1

ومما تقدم يتبين أن تعداد المسلمين التركستانين قد نقص من 90٪ في عام 1949م إلى 53٪ في عام 1983م، في حين نرى أن تعداد الصينيين غير المسلمين من قومية (هان) قد ارتفع من 5٪ في عام 1949م إلى 45٪ في عام 1983م، ومن المتوقع أن تأخذ نسبتهم في الارتفاع باضطراد إذْ إن الحكومة الصينية لا تزال تواصل عملية تهجير الصينيين من مختلف المقاطعات الصينية الأخرى، وتوطينهم في تركستان الشرقية، وتنفيذًا لسياستها بجعل نسبة الصينيين من قومية (خان) يفوق عدد السكان الأصلاء من المسلمين الأتراك.

ولا شك أن عملية تهجير الصينيين من الكفار إلى تركستان الشرقية تعتبر مؤامرة ذات تخطيط دقيق ضد السكان التركستانيين المسلمين، وتؤكد أهداف الحكومة الصينية الرامية إلى قلب الموازين بجعل المسلمين أقلية في بلادهم بعد أن كانوا الأكثرية حتى لا يكون هنالك مجال أمامهم للمطالبة بتقرير المصير، فضلًا عن أن عدد المسلمين التركستانيين إذا أصبح يمثل الأقلية في

تركستان الشرقية فإن الطابع الإسلامي العام سوف يضمحل، وقد يصبح في المستقبل البعيد لا وجود له أمام الأعداد الهائلة من الصينيين التي هجرت إلى تركستان الشرقية من داخل الصين ذات الكثافة السكانية الهائلة، وأكثر المهجرين هم من العمال وخريجي المدارس المتوسطة والمعلمين والشباب من قومية (هان) أو (خان).

ومعظم الصينيين المهجرين إلى تركستان الشرقية يأتون من مقاطعة شنغهاي، وقد ترك ذلك استياء عامًّا في نفوس المسلمين التركستانيين، وأدى إلى حدوث اصطدامات بينهم وبين الصينيين المهجرين إلى بلادهم من داخل الصين، ولكن الحكومة مصممة على مواصلة العمل بعملية التهجير هذه من أجل الوصول إلى الأهداف التي ترمي إليها، وليس بأيدي الإخوة المسلمين التركستانيين وسائل ضغط فعالة لمقاومة هذه السياسة.

ومن الطبيعي أن أي شعب لا يرضى بالانتقال من موطنه الأصلي إلى أرض بعيدة غريبة عنه والاستيطان بها مثل تركستان الشرقية حيث البيئة تختلف كثيرًا عما هو عليه الحال في داخل الصين، إلا بالتشجيع على الانتقال إلى الموطن الجديد لذلك فإن الحكومة توفر للمهجرين مجانًا تذاكر السفر ودور الإقامة بجانب العمل المناسب في تركستان الشرقية.

ويسهر رجال الحزب الشيوعي والمسئولون على تذليل جميع العقبات التي تصادفهم في مستوطناتهم الجديدة في تركستان، ويبقون على الاتصال بهم لحل أي عقبات تصادفهم، وذلك من أجل أن تجعلهم يقيمون في هذه المستوطنات الجديدة إقامة دائمة، بما في ذلك استعمال جميع أنواع الضغوط ضد من تسول له نفسه العودة إلى موطنه الأصلي في داخل الصين مثل: الطلب إلى والديهم بعدم استضافتهم، ومنع بطاقات الهوية وبطاقات الإقامة وبطاقات

التموين عنهم في موطنهم الأصلي الذي يرجعون إليه وغير ذلك من الضغوط.

وقد اتخذت الحكومة كل ذلك من أجل إرغامهم على الهجرة والاستيطان في تركستان الشرقية، وتقول بعض التقارير: إن قسمًا من الشباب من أصل (هان) الصيني مستاءون من عملية التهجير، ولكن ليس أمامهم إلا الرضوخ لأوامر الحكومة، لأن مخالفة الحزب الشيوعي أو الحكومة يعتبر خيانة وطنية يعرض مرتكبيها لأقصى العقوبات.

القوة السياسية:

برز في فترة ما بعض الزعماء السياسيين من بين المسلمين من عملوا على قيام جمهورية تركستان الشرقية (1930 - 1949م)، وبدلًا من أن يمنحوا حق تقرير المصير كما وعدتهم حكومة الصين في عام 1946 قام الزعيم الشيوعي (ماوتسي تونغ) بعملية تصفية لهم من المسرح السياسي، بحيث تم القضاء على حياة الكثير منهم وأدين البعض الآخر بأحكام مختلفة، وبذلك أصبحت الساحة السياسية مفتوحة أمام الحزب الشيوعي.

الحزب:

من المعلوم أن الحكم الحقيقي في الدولة الشيوعية هو بيد الحزب الشيوعي، وينطبق المبدأ نفسه على تركستان الشرقية التي تحكم من قبل لجنة حزبية منبثقة عن الحزب الشيوعي الصيني وجميع المراكز المهمة في اللجنة الحزبية بتركستان الشرقية مثل: منصب السكرتير الأول، السكرتير الثاني، السكرتير الثالث، فكل هذه مشغولة بشخصيات صينية من قومية (هان)، وتضم اللجنة المذكورة اثنين فقط من المسلمين التركستانيين وهما: إسماعيل أحمد وجوادنوف ظاهر، يحتل الأول منصب سكرتير والآخر منصب عضو.

الإدارة:

إن إدارة الحكم في تركستان الشرقية في الوقت الحاضر هي بيد الصينيين من أصل (هان) من الناحية الحقيقية، حيث إنهم يشغلون معظم الوظائف السياسية، وفي عام 1981م كانت نسبة الـ (هان) إلى المسلمين التركستانيين في الهرم السياسي كما يلي:

	مجموع عدد الوظائف	الوظائف المشغولة بالـ(هان)	الوظائف المشغولة بالتركستانيين المسلمين
مفوض سياسي أول	1	1	-
مفوض سياسي ثاني	1	1	-
مفوضون سياسيون	2	1	1
نواب مفوضون سياسيون	5	4	1
مدير إدارة سياسية	1	1	-
	10	8	2

ومما تقدم يتبين أن المسلمين التركستانيين لم يعطوا سوى 20٪ من مجموع الوظائف السياسية، في حين أنهم يمثلون 51٪ من تعداد السكان، والوظائف المشغولة بالـ(هان) تفوقهم كثيرًا، في حين أن نسبتهم السكانية بعد التهجير لا تتجاوز الـ45٪ من عداد السكان في الوقت الحاضر.

وعلى هذا المنوال فإن 90٪ من الوظائف الإدارية المهمة تشغل من قبل (الهان)، والباقي ومقداره 10٪ مشغولة من قبل المسلمين التركستانيين، فضلًا

عن النفوذ الفعلي؛ لأنه إذا كان مدير الإدارة مسلمًا تركستانيًّا يكون مساعده في الغالب من الـ(هان)، وللمكانة الرفيعة التي يتمتع بها الـ(هان) لدى السلطات العليا وبالحزب، فإن مساعد المدير من الـ(هان) قد يتمكن من تنفيذ ما لم يستطع المدير المسلم التركستاني تنفيذه.

والسبب الرسمي لتحويل الحكم الذاتي السابق في البلاد إلى مقاطعة سنكيانغ أويغور المتمتعة بالحكم الذاتي في أوكتوبر 1955 - ما أشارت الحكومة الصينية أنه (سيساعد كل القوميات في التمتع بكل الحقوق لإدارة شئونهم الخاصة، مما يشجع على الاتحاد بين جميع القوميات المختلفة، ويعمق وطنيتهم في البناء الاشتراكي بحماس عظيم).

وعلى عكس نظام الجمهوريات في الاتحاد السوفياتي التي لها الحق (نظريًّا) في الانفصال، فإن تركستان الشرقية تعتبر جزءًا لا ينفصل من جمهورية الصين الشعبية.

ورغم النظام الذي وضع لأعمال هذه المناطق الذاتية وإدارتها في 9 أغسطس 1952م الذي يشمل 40 مادة، وجاء في المادة العاشرة فيه: (إن الإدارة الذاتية لمقاطعة الحكم الذاتي هي القوة الوطنية لشعب المقاطعة).

وفي المادة الحادية عشرة: (الحكومة الشعبية في مقاطعة الحكم الذاتي تتشكل عمومًا من أعضاء القومية أو القوميات المتواجدة في المقاطعة بنسب ملائمة بين أعضاء القوميات والمستوطنين الصينيين)، فإن هذا النظام الذي وضع لتحقيق الحكم الذاتي لمسلمي تركستان لم تنفذ نصوصه إلا فيما يؤدي إلى تركيز الحكم الشيوعي؛ مما جعل الشعب التركستاني يقول: (إن وجود الحكم الذاتي يساوي عدم وجوده)، وقال بعضهم: إن (مقاطعة الحكم الذاتي في سنكيانغ لا تحل قضية القومية في الحكم الذاتي)، وقد نتج هذا الاستياء العام من

استيلاء الصينيين على المناصب الإدارية في البلاد في محاولتهم امتصاص الشعب التركستاني المسلم.

وتشكيل حكومة المقاطعة يبين مدى سيطرة الصينيين على الحكم وتبيين الحكم الذاتي.

لجنة الحزب الشيوعي الصيني في مقاطعة سنكيانغ أويغور الذاتية في عام 1978م:

وانغ إينمو	صيني	السكرتير الأول
إسماعيل أحمد	أويغوري (تركستاني)	السكرتير الثاني
ليه تنن	صيني	السكرتير الثالث
سونغ زييه	صيني	سكرتير
زانغ شينغ	صيني	سكرتير
هي لينزاو	صيني	سكرتير
جيان أبور	صيني قزاق (تركستاني)	مساعد سكرتير
لي يونهه	صيني	مساعد سكرتير
جا ودان	أويغوري (تركستاني)	عضو اللجنة
لين يومين	صيني	عضو اللجنة

لجنة الثورة لمقاطعة سنكيانغ أويغور الذاتية:

رانغ منغ	صيني	الرئيس
سنغ زييه	صيني	مساعد الرئيس
إسماعيل أحمد	أويغوري (تركستاني)	مساعد الرئيس
جيان أبور	قازاق (تركستاني)	مساعد الرئيس
بي زويو	صيني	مساعد الرئيس

ولعل من الأفضل أن نترك البروفيسور أوين لاتيمور الباحث الأمريكي الذي وضع كتابه (محور آسيا) مع فرقة من الباحثين بينهم صينيان يفند هذا التقسيم.

ومقياس هذا التصنيف غير واضح تمامًا، وقد شرح مترجم قدير وهو مستشار الجنرال شنغ ان اضطراب المقياس يعني الهروب من عمل يؤدي إلى التصنيف الجنسي؛ لأن هذا التقسيم لا يعتمد على معيار جغرافي؛ لأن الجماعات لا تنحصر في منطقة محدودة، ولا هو اقتصادي؛ لأن الجماعات كلها تتكون من الرعويين والمزارعين، ولا يستند على مفهوم ديني، وإن جاء تصنيف الديونكان (المسلمين الصينيين) كقومية مستقلة؛ لأن اتباع الديانات الأخرى لم يشملهم هذا التصنيف كما لم يصنف المسلمين الآخرين مثل الأويغور حسب الديانة، ولا يقوم على عدد الولايات؛ لأن سنكيانغ تنقسم إلى عشر ولايات تضم هذه القوميات الأربع عشرة، ولا يرجع إلى تصنيف عرقي؛ لأنه فرق بين الدونكان وهم الصينيون المسلمون وبين الصينيين وبين السيبو والسولون عن المانشور وهما من المانشور، وأخيرًا لا يعتمد هذا التقسيم على

أي ارتباط ملحوظ بين هذه المقاييس.

وقد عمل الجنرال شنغ الذي أوجد هذا التقسيم في برنامجه (سياسة الست النقاط العظمى) على تشجيع ثقافة هذه الأقليات التي نتجت من التقسيم مستهدفًا بها تقوية سلطة الأقلية الصينية في المقاطعة، فكان هذا التصنيف في الواقع يتأثر بالمعيار السياسي، وإن لم يكن علميًّا ودقيقًا فيه).

وفي رأي الزعماء التركستانيين ومنهم مسعود صبري ومحمد أمين بوغرا، فإن تركستان الشرقية لا تضم 14 مجموعة من القوميات؛ لأن معايير القومية التي يعرفانها بدقة عظيمة، هي:

* وحدة اللغة. * وحدة اللغة. * تشابه العادات والتقاليد.

* وحدة الهدف. * وحدة العقيدة. * وحدة العنصر.

* وحدة الملبس والزينة.

بالإضافة إلى عناصر أخرى مثل روابط الدم والقربى.

وعلى أساس هذه المعايير فإن الجماعات السبع الذين صنفهم الجنرال شنغ بالإيغور والقازاق والقيرغيز والترانج وأوزبك والتتار والتاجيك - لا يشكلون إلا قومية واحدة تكون 9/ 10 سكان تركستان الشرقية (و1/ 10 الباقي تضم ثلاث قوميات وهم الصينيون والمانشور والمغول، والقومية الصينية تجمع الدونكان (وهم المسلمون الصينيون) مع الصينيين اللامسلمين، أما القومية المانشورية فتضم المانشور وسيبو وسولون الذين جاء ذكرهم في التصنيف الصيني، ووجود هاتين القوميتين ناتج عن الاستعمار الصيني في البلاد.

بعد الاحتلال الشيوعي للبلاد عام 1949م احتضن الشيوعيون هذه السياسة بشكل عملي من أجل إيجاد حكومة قبلية على غرار الجمهوريات

السوفياتية في تركستان الغربية التي كان الصينيون الشيوعيون يسيرون على خطاها، رغم كون هذا التخطيط والتقسيم العنصري الاعتباطي لا يمكن تنفيذه على شكل حكومات محلية لتداخل هذه الجماعات بعضها ببعض وصعوبة التفريق بين أفرادها إلا أن إصرار الشيوعيين على تمزيق وحدة الأمة التركستانية دفعهم إلى تكوين عدة أقاليم وبلديات للحكم الذاتي:

1- بلدة قرا شهر خوي الذاتية في 15 مارس 1954م، كانت أول وحدة للحكم الذاتي وهي لقومية المسلمين الصينيين (الدونكان)، ثم قامت إقليم بايان كول مغول الذاتية لقومية المغول في 23 يونيه 1954م، فصارت قراشهر عاصمة لها، وفي 1960 أسست خمس بلديات ذاتية في جنوب شرق تركستان الشرقية ضمن هذا الإقليم.

2- في 14 يوليو 1954م ظهر إقليم قيزيل سوقير غيز الذاتية لقبائل القرغيز في عقدة بامير على امتداد الحدود مع الاتحاد السوفيتي، وجعلت أرتوش عاصمة لها.

3- في 15 يوليو 1954 أنشأ إقليم بورتالا مغول الذاتية في شمال وادي إيلي لقومية المغول.

4- وفي 15 يوليو 1954م أنشأ إقليم تشانغ جي خوي الذاتية لقومية خوي (المسلمين الصينيين الدونكان)، وتضم ثلاث بلديات إحداها أورومشي عاصمة تركستان الشرقية.

5- وفي 29 نوفمبر 1954م ظهر إقليم إيلي قازاق الذاتية في شمال تركستان لقبائل القازاق التركية، وجعلت غولجه عاصمة لها، ويضم هذا الإقليم بلديتين ذاتيتين إحداهما بلدية جابجال سيبو الذاتية لقومية سيبو المانشورية وبلدية خريوك مغول الذاتية للمغول.

كما أن هناك ثلاث بلديات أخرى هي:

بلدية مرلي قازاق الذاتية في المنحدرات الشمالية لجبال تنفري تاغ (تيان شان).

بلدية قمول قازاق الذاتية.

بلدية تاشقور غان تاجيك الذاتية في البامير على حدود أفغانستان والاتحاد السوفيتي.

اللغة:

اللغة المحلية الشائعة في تركستان الشرقية هي التي تسمى الإيغورية نسبة إلى الإيغور أكثر الأقوام التركية عددًا فيها.

وتنتمي لغة الأويغور والقازاق والقرغيز والأوزبك والتتار إلى اللغة التركية القديمة المسماة الجغتاوية، ولا وجود لاختلاف بينها إلا تباين اللهجات واللفظ المنطوق، وقد كانت اللغة التركية بفضل الأويغور لغة أدبية عالية كتبت أثارها المتقدمة بالأبجدية الأويغورية التي اشتقت من السريانية، ومع انتشار الإسلام في ربوع تركستان حلت الأبجدية العربية محل الأويغورية، وبدأت المفردات العربية والمعاني الدينية والأدبية تتخلل اللغة التركية، حتى نشأت حركة أدبية إسلامية تركستانية تعتبر الأولى في دنيا التركستانيين.

ولكن الاستعمار الشيوعي الذي وجد في هذه الأبجدية وسيلة وحدة إسلامية مع شعوب العالم الإسلامي، وتمسك الأمة المسلمة بتراثها الثقافي الديني والقومي بدأت تحارب اللغة التركستانية وأبجديتها على ثلاث جهات:

1- بفرض اللغة الصينية في المدارس ومعاهد التعليم وجعلها وسيلة علم وإعلام شامل لجميع المسلمين، فالتعليم فيما فوق المرحلة المتوسطة

وفي معظم المدارس الابتدائية بحجة تواجد الصينيين المهاجرين لا يتم إلا باللغة الصينية، أما المكاتب والعلاقات الحكومية فقائمة في جميع صورها على اللغة الصينية.

2- تصيين اللغة التركستانية بفرض الألفاظ الصينية وترويجها بجميع الوسائل الثقافية والإعلامية ولجنة التوثيق اللغوي الأويغوري في أورومشي تنشر من حين لآخر قائمة بالألفاظ الصينية التي يجب استعمالها ويتأكد هذا العمل بما يترجم من المؤلفات الصينية، فالمقالات التي تنشر في الصحف والكتب التي توزع وتدرس ما هي إلا تراجم للنصوص الصينية.

3- كما تعرضت الأبجدية العربية التي استعملها التركستانيون منذ دخول الإسلام إلى بلادهم إلى هجوم شديد بحجة عدم ملائمتها للأصوات التركستانية خلال العهود الأولى من الاحتلال الشيوعي.

ومع كل هذه المحاولات الاستعمارية لاستئصال تأثيرات اللغة العربية على المجتمع التركستاني المسلم، فإن الأبجدية العربية لا تزال تستعمل إلى اليوم بسبب الإصرار الإسلامي المحافظ على الكيان والثقافة الدينية.

الثقافة والتاريخ وتهيئتهما:

لا شك أن اللغة هي الوسيلة الفعالة لنقل الأفكار والآراء وترابط الأجيال بماضيها وحاضرها، والاضطراب في هذه الوسيلة معناه قطع الصلة بين الحاضر والماضي، فالأطفال لا يستطيعون الاستفادة من تراث آبائهم، ويصعب عليهم قراءة القرآن الكريم والكتب الدينية التي تربي فيهم العقيدة الإسلامية، فتتلاشى حضارتهم مع مرور الأجيال، ويشبون وهم لا يعرفون عن دينهم وأمتهم شيئًا،

كما لا يستطيعون التعرف على حضارة وثقافة وطنهم، فيسهل تذويبهم في البوتقة الصينية التي تعززت بجميع الوسائل من كل الجهات في البيئة المحيطة، وخاصة وقد جهزت جميع الوسائل التعليمية والثقافية لملء هذا الفراغ الناتج بما يلائم أهدافه الاستعمارية، فمثلًا جميع الكتب التي تدرس في المدارس هي مقررات صينية قد تكون باللغة الصينية أو مترجمة إلى اللغة التركستانية.

التعليم:

تعتبر تركستان الشرقية أكبر ولايات الصين مساحة، وتضم إقليمين متميزين هما الشمالي والجنوبي، ويحتاج كل إقليم منهما إلى جامعة خاصة به على الأقل، إلا أن الحكومة الصينية أنشأت واحدة فقط في العاصمة الإقليمية (أورومشي) التي تعتبر بعيدة نوعًا ما عن المناطق الجنوبية والغربية في المقاطعة، فأدى بعد المسافة وقلة المواصلات البرية عجزًا لدى الطلاب المسلمين لعدم تمكنهم من الحصول على الدراسة الجامعية، علاوة على ذلك فإن الجامعة الموجودة حاليًا في أورومشي يسيطر عليها أساتذة من الصينيين الغير مسلمين (هان) الذين شجعوا الطلبة الصينيين الغير مسلمين على إشغال أكثر مقاعد الدراسة.

بلغ عدد المدارس المتوسطة والثانوية في تركستان الشرقية كالآتي:

800 مدرسة ثانوية.

14.000 مدرسة متوسطة.

وقد بلغت نسبة المدارس المتوسطة إلى أعداد الشعب في مناطق أخرى من الصين 1: 600 بينما بلغت النسبة في تركستان الشرقية 1: 943.

إن عدم ملائمة التسهيلات التعليمية يدفعنا إلى الاعتقاد بأن السلطات

ترغب في إبقاء المسلمين في الصين ما دون مستوى الوعي السياسي، حيث إن التعليم مطلب أساسي لحضارة الإنسان، وإن إهمال الحكومة لهذا الحقل المهم إنما هو أمر يدعو إلى الأسف.

ثروة تركستان الشرقية الاقتصادية:

تعتبر تركستان الشرقية من أغنى بلدان المسلمين بما يتوفر في أراضيها من المعادن والنفط، إذْ يقدر الفحم الحجري بحوالي 15 مليون طن، ويوجد النفط في حوضي جونغاريا وتاريم، ويقدر الخبراء مخزونه بأنه أكبر ثاني مخزون في العالم بعد الشرق الأوسط، ويقدر خام الحديد بحوالي 250 مليون طن، ويستخرج التوتفستين والكروم من حوض جونغاريا كما يوجد النحاس في كوجار والرصاص والزنك والفضة في كاشغر وغولجه، أما الذهب فيستخرج من جبال التاي، وكون لون واليورانيوم يصل مخزونه إلى 12 تريليون طن، ويبلغ إنتاج الملح 450 ألف طن سنويًا.

أما المحاصيل الزراعية فالبلاد تشتهر بأنواع عديدة من الفاكهة والخضروات والحبوب التي يستخرج منها الزيوت مثل السمسم وبذر دوار الشمس، ويشكل الأرز والقمح أهم المحاصيل الزراعية، وقد وصل إنتاج القمح إلى 350 ألف طن في عام 1980م، كما بلغ إنتاج البنجر حوالي 400 ألف طن في ذات العام، ويشكل القطن الغلة الاقتصادية المهمة في البلاد، وقد أنتجت تورفان وحوض تايم فقط 55 ألف طن عام 1980م.

والثروة الحيوانية تتكون من الأغنام والمواشي والخيول والإبل، وتبلغ أنواع الحيوانات الاقتصادية حوالي 44 نوعًا.

الاقتصاد:

مع ما عليه البلاد من ثروة طبيعية فقد عانى المسلمون التركستانيون الكثير من الجور على أيدي الحكومة الشيوعية، وأثناء قيام الحزب الشيوعي بتطبيق ما يسمى بحملة الكميونات والقفزة الكبرى إلى الأمام قامت الحكومة بمصادرة أراضيهم وممتلكاتهم من الماشية والحيوانات وأغلقت الأسواق، ولم تلق الحكومة بالًا لتقاليدهم وسبل معيشتهم في الحياة، فاقتادتهم إلى الكميونات، حيث سخروا للعمل تحت إشراف مسئولين من الخان وهم كفار الصينيين كما سبق.

لقد أسندت مهمة تطوير الزراعة في تركستان الشرقية في معظمها إلى سلاح فرق الإنشاءات والإنتاج والمشكل من 2.2 مليون عضو وهو عبارة عن تنظيم شبه عسكري يتبع نظامًا صارمًا، و90٪ من المسئولين به من الصينيين (الهان) المسيطرين على العمال من أصل تركستاني، والذين بالرغم من الأشغال الشاقة فإنهم لا يتساوون بالصينيين في الرواتب، وإذا ما طالبوا بأجور أحسن فإنهم يرحلون إلى معسكرات الأعمال الشاقة، وطبقًا للتقارير الواردة مؤخرًا فإن ساعات العمل بالنسبة لهم قد زادت من 8 ساعات إلى 10 ساعات يوميًّا، في حين أن مقررهم الشهري من التموين قد انخفض من 30 إلى 35 كالت للشخص الواحد (الكاتي = 1/ 3 رطل).

وكذلك القطاع الصناعي فإنه يقع تحت إشراف سلاح فرق الإنشاءات والإنتاج ويحتل الهان المراكز المهمة في هذا السلاح مثل القائد - المفوض السياسي - مساعد المفوض السياسي.

أما من ناحية العمال فإن عدد العمال من الهان آخذ في الازدياد، ففي عام 1955 كانوا يشكلون 66٪ من القوى البشرية، ثم ارتفعت هذه النسبة لتصبح

75٪ في عام 1965م، وفي عام 1973م ارتفع إلى 78٪، ويعتقد أن 90٪ من القوى البشرية حاليًا من قومية الهان.

ولم تهتم الحكومة الصينية الشيوعية بإيجاد شبكات حديثة للمواصلات التي تعتبر عاملًا مهمًّا في جميع خطط التنمية، ولهذا فإن مراكز تجارية كبيرة مثل (كاشغر) في المنطقة الجنوبية لم يتم ربطها بالطرق البرية أو السكك الحديدية مع العاصمة الإقليمية لهذا لم يتمكن المسلمون من تحسين أوضاعهم المعيشية، رغم وجود الثروات المعدنية والأعمال الشاقة التي يقومون بها.

انخراطهم في القوات المسلحة:

إن الهيكل العام للقوات المسلحة في أي دولة إنما يعكس مدى الثقة التي تضعها الدولة في الجماعات الوطنية المتعددة العروق، كما أن كثرة أو قلة تواجد جماعة معينة في القوات المسلحة يثير التساؤلات عن السبب في ذلك، لذا فإنه من الأهمية أن نتعرف على نسبة تواجد المسلمين في القوات البرية والجوية والبحرية والفصائل المسلحة الأخرى.

منذ بداية التدخل السوفيتي في أفغانستان في عام 1979م قامت الحكومة الصينية بمنح الأقاليم الغربية لصفة الاستراتيجية تحت اسم منطقة أورومشي العسكرية، وتشمل هذه الخطة حدود تركستان الشرقية بأكملها، وتم تقسيمها إلى ثلاث مقاطعات هي الشمالية والجنوبة والشرقية ويبين الجدول التالي لعام 1981م عدد الأفراد المسلمين وغير المسلمين إلى منطقة أورومشي العسكرية من القوات البرية والجوية والمليشيا:

الوحدة	الرتبة العسكرية	المناصب المهمة	عدد المناصب التي يشغلها الهان	عدد المناصب التي يشغلها المسلمون
الجيش	قائد	1	1	–
	مساعد قائد أول	1	1	
	نواب القائد	8	7	–
	رئيس هيئة أركان	1	1	1
	رئيس إدارة تموين	1	1	–
	قائد المقاطعات	3	4	–
				–
المجموع		15	14	1
عدد الأفراد		250.000	212.500 (٪85)	13.500 (٪15)
القـــوات الجوية	القادة	1	1	–
	قادة مواقع	3	3	–
	الطيارون	مسيطرون	مسيطرون	قبل بعضها عام 1981م

القوات البحرية:

لا توجد قوات بحرية في منطقة أورومشي العسكرية؛ وذلك لأن تركستان الشرقية لا تحيط بها المياه من أية جهة بل هي بلاد مقفلة.

المليشيا العسكرية:

توجد في المنطقة نوعان من المليشيا: هما المليشيا المدربة الغير مسلحة والمليشيا المسلحةن وقد تم تدريب عدد كبير من المسلمين في المليشيا الاعتيادية، بينما قبل عدد قليل جدًّا منهم في المليشيا المسلحة، وقد يرجع السبب في ذلك إلى تخوف الحكومة من وقوع الأسلحة في أيديهم.

وتشرف القيادة العسكرية الشمالية بمنطقة أورومشي على منطقة إيلي، والتي بدأت منها حركة جمهور تركستان الشرقية في عام 1944م، ومن الجدير بالذكر أن قيادة هذه المنطقة بأكملها تتألف من جنود من جماعة الهان، مثال ذلك الفنيين العسكريين العاملين في المراكز النووية في (لوب نور) والعاملين أيضًا على الأجهزة الإلكترونية لجمع المعلومات.

ونلاحظ مما ذكر سابقًا أن نسبة وجود العناصر الإسلامية في المواقع المهمة في القوات المسلحة هي صفر بالمائة تقريبًا، ونفس الشيء للرتب الأقل شأنًا لهذا، فهم أقل بكثير من نسبة تعدادهم السكاني، والأسوأ من ذلك هو أن البعض ممن انخرطوا في العديد من الفروع لا يعينون في مراكز مهمة؛ وذلك لعدم ثقة الحكومة فيهم كما تتم مراقبتهم بواسطة مشرفين من غير المسلمين (هان)، وأن استمرار هذا الوضع في المنطقة لا يساعد في الدفاع عنها في حالة تعرضها للهجوم.

محاولة قمع الدين:

يعتبر الشيوعيون أن الدين هو العقبة الرئيسية في طريق الشيوعية، وعندما تولى الشيوعيون السلطة نظروا إلى المواطنين المسلمين من وجهة نظرتهم هذه، وبدأوا حملة قوية خاصة في فترة الثورة الثقافية (1966 - 1976م)،

وذلك في محاولة منهم للتخلص من الدين الإسلامي، وقد اتخذوا عدة إجراءات لتحقيق ذلك.

(أ) إغلاق المساجد والمعاهد الدينية في منطقة (عربان)، ومن ثم استعملت مكاتب للحزب وثكنات ومسالخ ... إلخ كما تمت مصادرة الممتلكات الموجودة فيها.

(ب) ألغيت محاكم القضاة التي أنشئت في عامي 1933 - 1934م، أيام جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية، وتم إنشاء محاكم شعبية عوضًا عنها.

(جـ) تم إتلاف ما وصلت إليه أيدي الشيوعيين من المصاحف وكتب الحديث وبعض الكتب الدينية الأخرى.

(د) تم اعتقال أئمة المساجد وتعذيبهم ثم إجبارهم على تنظيف الشوارع ودورات المياه.

وقد سببت هذه الإجراءات معارضة المواطنين المسلمين الذين ضحوا بالكثير في السابق من أجل دينهم، واعتبر الشيوعيون ذلك خيانة وطنية أدى العنف الذي قام به الحرس الأحمر إلى مقتل 360.000 مسلم كما فر حوالي 100.000 إلى جمهوريات آسيا الوسطى (تركستان الغربية)، كما أرسل 504.000 مسلم إلى 10 معسكرات للأعمال الشاقة، وتم إطلاق سراحهم بعد قضاء فترات العقوبة المتفاوتة، وكذلك بعد تغذية أفكارهم سياسيًّا.

استمرت إجراءات القمع حتى وفاة (ماو) في عام (1976م) الذي فشل في القضاء على العقيدة الإسلامية مما أعطى الصين صورة مزرية داخل وخارج البلاد؛ وذلك لتطبيقها سياسة معاداة الدين، ولاحظت القيادة الصينية الحالية تلك الحالة، فقامت بالتخفيف من ذلك الوضع، وأعلن عن إعادة بعض

المساجد، وتم طبع عدد محدود من المصاحف وبعض الكتب الدينية، وهي تهدف بذلك إلى التأثير على العالم الإسلامي، إلا أنه على رغم ذلك فإن القيادة الحالية تتبع الأيدولوجية الشيوعية مما يعني أنها لن تطلق العنان للنشاط الديني.

وفي العهد الأخير سمح للمسلمين باستعادة أكثر مساجدهم، وإن كان بعضها قد لحقه الخراب والدمار، فصار المسلمون يجمعون من دخولهم الضئيلة المحدودة ما يرممون به تلك المساجد، وبعضها يحتاج الأمر فيه إلى إعادة البناء كله، وقد مرت شواهد على ذلك في اليوميات.

كما رتبت الجمعية الإسلامية في (سنكيانغ) دورة لتدريب أئمة المساجد في مقرها في مدينة أورومشي عاصمة المقاطعة.

قامت الجمعية يتبنى إنشاء مجمع إسلامي يضم مسجدًا ومعهدًا إسلاميًّا، ومساكن للطلبة والمدرسين، وقد أسهمت رابطة العالم الإسلامي بنصيب من نفقات إنشائه، ومر الكلام على الأرض المخصصة لإقامته عليها في اليوميات أيضًا.

الحج من تركستان:

بعد أن توقف قدوم الحجاج من تركستان الشرقية والصين الشعبية لأكثر من عشرين عامًا جاءت بعثة الحج الرسمية الأولى عام 1399هـ برئاسة الحاج محمد علي جانغ جي رئيس الجمعية الإسلامية الصينية المركزية، ثم توالت بعثات الحج الرسمية بعد ذلك إلى هذا العام.

أما أول جماعة من الحجاج العاديين فكان قدومها في عام 1401هـ، ثم توالى الحجاج وتزايد عددهم عامًا بعد عام إلى أن كان أكثر من 800 حاج في عام 1404هـ، وهو أعلى رقم يصل إليه الحجاج القادمون من الصين الشعبية وتركستان الشرقية منذ أكثر من أربعين عامًا.

وذلك أن الانفراج النسبي في سياسة حكومة الصين الشعبية وزيارة وفدي رابطة العالم الإسلامي لمسلمي تركستان الشرقية والصين الشعبية في عام (1401 - و1404هـ)، وفتح الطريق البري المسمى بطريق خونجراب بين تركستان الشرقية وباكستان، بالإضافة إلى أن وجود المهاجرين التركستانيين في باكستان وتركيا والمملكة العربية السعودية شجع التركستانيين على الخروج من بلادهم لأداء فريضة الحج والاتصال بإخوانهم المسلمين في سبيل تجديد صلاتهم الإسلامية وثقافتهم الدينية التي تدهورت بسبب الحكم الشيوعي.

ورغم كون حكومة الصين الشعبية ترسل سنويًا بعثة حج رسمية إلا أنها لا تزال تنظر إلى الحج على أنه نشاط ديني محظور[1]، وذلك من منطلق سياستها العامة نحو الدين، وهي حرية الممارسات المحدودة للعبادات الفردية، وإنما يرجع تزايد عدد الحجاج إلى إصرار المسلمين على اتخاذ كافة السبل لإيجاد وسيلة قانونية للخروج من البلاد لأداء فريضة الحج وزيارة الأراضي المقدسة، وذلك باتباع الوسائل التالية:

(أ) طلب توجيه الدعوة إليهم باسم زيارة الأقارب من قبل أقرباء لهم في باكستان وتركيا بالطرق الرسمية عن طريق وزارة الداخلية في باكستان ووزارتي الداخلية والخارجية في تركيا، وبمثل هذه الوسيلة يخرج المدعوون إلى باكستان وتركيا، ويذهبون منهما إلى الحج، ويمثل الحجاج الذين يأتون بمثل هذا الأسلوب 90٪ من الحجاج القادمين من تركستان الشرقية.

---

(1) تغير الوضع الآن فصار يقدم من الصين الشعبية آلاف الحجاج الذين بلغ عددهم عام 2013 أحد عشر ألف حاج.

(ب) طلب شفاعة رابطة العالم الإسلامي لهم عن طريق أقربائهم في المملكة العربية السعودية، وذلك بالكتابة إلى الجمعية الإسلامية الصينية في بكين بالعمل على تسهيل خروج أقربائهم من الصين الشعبية وتركستان الشرقية لزيارة أقربائهم الذين دعوهم لأداء فريضة الحج.

هذا ويوضح أن خروج الحجاج من تركستان الشرقية أو الصين الشعبية - لا يتم إلا باسم زيارة الأقارب، كما لا يتم إلا بدعوة موجهة لهم من أحد الأقرباء بوساطة جهة رسمية من الخارج.

الدعوات الموجهة بوساطة الرابطة تجد رعاية خاصة من الجهات الحكومية في تركستان الشرقية والصين الشعبية، وذلك بتسهيل إتمام إجراءات سفر المدعوين لزيارة أقربائهم في المملكة العربية السعودية وأداء فريضة الحج، ولكن هناك تمييز كبير بين المدعوين التركستانيين والمدعوين الصينيين، فمثلًا إن القائمة التي أرسلتها الرابطة إلى الجمعية الإسلامية الصينية عام 1404هـ - تمكن المدعوون الصينيون من القدوم لأداء فريضة الحج عام 1404هـ، بينما لم يأت أحد من التركستانيين الموجودة أسماءهم في تلك القائمة.

التركستانيون المدعوون من قبل أقربائهم في باكستان وتركيا يجدون صعوبات كبيرة ويستغرق إجراء منحهم جوازات السفر لهم من قبل السلطات الحكومية في الصين الشعبية من عامين إلى خمسة أعوام مع أنها دعوات رسمية ومصدقة من قبل السلطات الحكومية في كل من باكستان وتركيا.

وفي خلال هذه الفترة يتردد المدعوون إلى أورومشي العاصمة الإقليمية لمقاطعة تركستان الشرقية بضع مرات، ثم يقومون برحلتين أو أكثر إلى العاصمة المركزية بكين، ويتكلفون في ذلك أموالًا كثيرة ومشقة جمة خاصة أن الأوضاع الاقتصادية لمسلمي تركستان الشرقية متدنية والمواصلات بين المدن

بدائية حيث تستغرق الرحلة من أورومشي إلى بكين بالقطار أربعة أيام والرحلة بالطائرة تكلف (34) ينًا أي بما يعادل راتب خمسة شهور لموظف متوسط.

علاوة على ما ذكر بعاليه تبث الحكومة الشيوعية كثيرًا من المشاكل والعراقيل أمام المدعوين لزيارة أقربائهم في الخارج وأداء فريضة الحج بغية منعهم من السفر إذْ يخشى عليهم من التأثير الفكري والحضاري في خارج الصين ثم انتقال الأفكار (الفاسدة) إلى المجتمع الصيني المنعزل، بالإضافة إلى أن السفر يكلف الدولة عملات صعبة، والشخص الذي يفلت من معاناة الأجهزة الحكومية بعد إجراءات معقدة ووقت طويل، ينال جواز السفر وتأشيرة الخروج بالسرف في فترة معينة، وإلا سحب الجواز منه وألغيت التأشيرة، كما أن إجراءات السفر لا تتم باسم الحج المرتبط بزمن معين، وإنما باسم زيارة الأقارب كما سبق إيضاحه، يضاف إلى ذلك أن المسلمين لا يعرفون الشروط التي تعلنها وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية عن مواعيد منح تأشيرات الدخول للحج ووصول طائرات الحجاج والاحتياجات التي يتطلبها الحاج لأداء فريضة الحج.

كل تلك العوامل السابقة الناجمة عن حياة المسلمين المنعزلين في دولة شيوعية لا تعترف بالدين يؤدي إلى خروج الحجاج من تركستان الشرقية في غير موسم الحج على مدار السنة إلى باكستان وتركيا أو قبيل موسم الحج بزمن قصير لا يمكن فيه إتمام تأشيرات الحج من السفارات السعودية، وانتهاء مواعيد وصول الطائرات إلى جدة، وهذا مما حدث لعدد من الحجاج من تركستان الشرقية عند وصولهم إلى إسلام آباد في باكستان قالت لهم السفارة السعودية: إن موعد وصول طائرات الحجاج إلى جدة قد مضى.

وهكذا فاتهم الحج وقرر معظمهم البقاء في باكستان في انتظار الحج القادم عام 1405هـ؛ وذلك لأن الحكومة الصينية لا تجيز خروج الفرد بصفة شخصية مرتين من البلاد، فتضيع عليهم فرصة أداء فريضة الحج إلى الأبد، ولأنه لم يكن خروجهم من تركستان الشرقية بالأمر الهين إذا استغرقت الإجراءات شهورًا عدة ومصاريف باهظة من أجل السفر إلى باكستان أو تركيا، وستذهب جهودهم هباء منثورًا إذا لم تتحقق أمنيتهم في أداء فريضة الحج، مع أن الحكومة الباكستانية من واقع سياستها الإسلامية تساعد الحجاج القادمين من تركستان الشرقية بتوفير المواصلات لنقلهم من الحدود الباكستانية إلى روالبندي مجانًا، كما قدمت لهم بعض المواد الغذائية بالمجان.

وقد أقام الحجاج المتخلفون في باكستان في عمارتين اشتراهما المهاجرون التركستانيون من المملكة العربية السعودية في روالبندي لسكن الحجاج القادمين من تركستان الشرقية، وعرضت الحكومة الباكستانية على التركستانيين إجراء الترميم والإصلاحات اللازمة للعمارتين بالمجان.

وقد كتبت بعض الصحف العالمية عن مأساة الحجاج المتخلفين في باكستان الذين فاتهم الحج، وهذه الحركة الإعلامية لفتت انتباه حكومة الصين الشعبية إلى وضع الحجاج التركستانيين المتخلفين في باكستان، ورأت في ذلك إساءة لسمعتها العالمية، فبعثت لجنة حكومية برئاسة محمود طيوف من موظفي وزارة الخارجية الصينية في بكين وعضوية كل من شهرت جان من أورومشي وعبد الله جان من كاشغر وعبد الغني من خوتن، وهم جميعًا من تركستان الشرقية بتاريخ 3/ 11/ 1984م إلى إسلام آباد، وقد عملت هذه اللجنة على إعادتهم إلى بلادتهم بالاستعانة برجال الشرطة الباكستانية، ولم يتمكن من النجاة منهم إلا من استطاع أن يهرب ويختفي عن الأنظار، ويقدر

عدد الحجاج المتخلفين حينذاك كالآتي:

(1) 175 شخصًا في باكستان.

(2) 55 شخصًا في المملكة العربية السعودية.

(3) 70 شخصًا في تركيا.

300 المجموع الكلي.

وقد قامت رابطة العالم الإسلامي والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالشفاعة لهم لدى حكومة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله بأن تتاح لهم فرصة الإقامة في الأراضي المقدسة إلى حين حلول موسم الحج لعام 1405هـ، إذْ يخشون أن تطاردهم الحكومة الباكستانية، وتبعدهم بالقوة إلى تركستان الشرقية بالصين الشعبية، وخاصة أن لجنة حكومية قدمت من الصين الشعبية وأجبرت جماعة منهم على العودة.

كما يلتمسون المساعدة في إلحاق أبنائهم بالمدارس الإسلامية لتلقي التعليم والثقافة والتربية الإسلامية التي حرموا منها في بلادهم؛ حتى تكون إقامتهم في الأقطار الإسلامية ذات فائدة في تعليم أبنائهم أحكام الإسلام مما يمكنهم من الحفاظ على شخصيتهم الإسلامية.

وقد تم بالفعل الإذن بالقدوم لهم حتى قبل موعد وصول الحجاج المعتاد، وجمعت الرابطة والرئاسة تبرعات من المملكة لمساعدتهم مساعدات مالية في مقر إقامة في باكستان، ثم بعد قدومهم إلى مكة المكرمة.

مطالب المسلمين التركستانيين في الصين:

إن المسلمين التركستانيين كانوا أغلبية سائدة في بلدهم، وظلوا حتى الآن، فقد كانت تركستان الشرقية وطنهم لعدة قرون ماضية، كما أنها كانت ولاية مستقلة في ثلاث مناسبات في الماضي، وبناء على هذه الحقائق التاريخية فإن المسلمين يطالبون بالحكم الذاتي، وإضافة إلى ذلك فإن لهم مطالب أخرى هي:

(أ) إيقاف توطين الصينيين في تركستان الشرقية وتخفيض عددهم السكاني.

(ب) مساواة المسلمين التركستانيين في القوة السياسية وإنهاء سيطرة الصينيين السياسية.

(جـ) إعطاؤهم دورًا أكبر في العمل السياسي ووضع حد لتفوق وسيطرة الصينيين عليهم.

(د) تسمية المنطقة بتركستان الشرقية أو يغوريستان.

(هـ) مكافأة المسلمين على أعمالهم.

(و) عدم المباركة رسميًا للزواج المختلط ما بين المسلمين والصينيين الغير مسلمين.

(ز) إطلاق سراح المسجونين السياسيين من المسلمين.

(ح) منح سكان تركستان الشرقية استقلالًا ذاتيًا حقيقيًا نظرًا لاستقلالية المنطقة.

هذا ومن الملاحظ أن هذه المطالب واقعية نوعًا ما، وتحتاج إلى دراسة من قبل الحكومة، وذلك على ضوء الاستقلال الذاتي الذي منح رسميًا للمنطقة، إلا أن الحكومة الصينية أهملت تلك المطالب، ونتج عن ذلك ازدياد حالة السخط لدى المسلمين.

مصالح الدول العظمى:

إن ظهور الصين كدولة قوية في آسيا جعل الولايات المتحدة وروسيا يتلهفان على كسب صداقتها، وذلك لتقوية النفوذ السياسي وكلا الدولتين تطمعان في الاستفادة من المسلمين التركستانيين كعنصر فعال ضد الصين.

ولتحقيق ذلك الغرض أخذت الحكومة الأمريكية في السباق عبر (إذاعة الحرية) في ألمانيا الغربية في إذاعة برامج باللغة الموجهة للمسلمين في تركستان الشرقية، وكان هدف الإذاعة هو التأثير على المسلمين هناك، وقد نجحوا في استمالتهم إلا أن الإذاعة أوقفت قبل أسبوعين من زيارة أول مسئول صيني للولايات المتحدة هو دينغ بنغ رئيس الصين في فبراير 1979م، ومنذ ذلك الوقت لم تستأنف إذاعة البرامج المذكورة.

ويرجع السبب في ذلك إلى الاتصالات المستمرة بين أمريكا والصين لإقامة علاقات إستراتيجية لمواجهة الاتحاد السوفيتي، وقد تم الاتفاق على إقامة تعاون صناعي وتقني، وذلك خلال زيارة رئيس الوزراء الصيني ومحادثاته مع الرئيس (ريجان) في واشنطن في الفترة 10 - 12/ 1/ 1984م.

إن طمع الروس في تركستان الشرقية قد بدات منذ عهد قيصر روسيا المسمى (بيتر العظيم) الذي اعتبر أن حكم هذه المنطقة شيء أساسي لحكم القارة الآسيوية، وقد أشارت وسائل الإعلام الغربية إلى ربغة الاتحاد السوفيتي في الاستفادة من تركستان الشرقية، وذلك عندما قامت بتدريب ما يقارب من 60000 مسلم تركي مهاجر ممن هاجروا إلى جمهوريات آسيا الوسطى من تركستان الشرقية عندما قامت الثورة الثقافية الصينية، وبالمقارنة مع الولايات المتحدة فإن الاتحاد السوفيتي هو في وضع أفضل للاستفادة من الوضع الحالي لصالحه، ففي الماضي كان السوفيت يخدعون المسلمين التركستانيين، ولا

زالوا إلى الآن فتأييدهم للمسلمين في الصين ليس من أجل حصولهم على استقلال بلادهم (تركستان الشرقية)، وإنما لاستغلال الفرصة في الاستفادة منهم واستخدامه كأداة فعالة لغرضين:

الأول: وضع حد لجهود الصين في تأييدها لقضية المجاهدين الأفغان.

والثاني: إيقاف الصين عن إقامة تعاون إستراتيجي مع الولايات المتحدة.

وإذا لم يتمكن الاتحاد السوفيتي من تحقيق ذلك، فإنه سيستخدم هؤلاء المهاجرين لإثارة القلاقل في تركستان الشرقية.

وعلى أية حال فإن ذلك سيكون في مصلحة الاتحاد السوفيتي لتعزيز موقفه في أفغانستان.

عندما بدأت المحادثات بين الاتحاد السوفيتي والصين بخصوص الحدود في عام 1982م تم وقف بث إذاعة طاشكند والتي كانت تبث برامجها باللهجة الأويغورية التركستانية، وهذا دليل على أن الاتحاد السوفيتي لم يهدف إلى مساعدة قضية المسلمين بل إلى تسخيرها خدمة لأهدافه.

الجهود السعودية في القضية الإسلامية:

قامت الحكومة السعودية أعزها الله ببث برنامج باللغة التركستانية لمدة ساعة واحدة يوميًّا؛ وذلك لإشباع رغبة المسلمين التركستانيين في التزود بالعلوم الدينية وهو برنامج ديني بحت، وقد علم من مصدر موثوق به أن المسلمين في تركستان الشرقية ممتنون جدًّا لهذه الخطوة، وعبروا عن تقديرهم واعتقادهم أن هذا سيساعد على ربط الأجيال القادمة بالعقيدة الإسلامية والوقوف في مواجهة الدعايات الشيوعية التي تقوم بها الحكومة.

كما قامت رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بجهود لا تنكذر في هذا الصدد، ومن ذلك وفدنا هذا الذي نتج عنه تأليف هذا الكتاب.

وقام المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي المنعقد فيما بين 9 - 16 مارس 1963م باتخاذ قرار هذا نصه:

بعد أن درس المجلس المذكرات التي قدمت إليه حول أوضاع مسلمي تركستان قرر ما يلي:

(1) أن تطلب الأمانة العامة للرابطة من الحكومات الإسلامية إيواء المهاجرين التركستانيين من روسيا والصين وإعطائهم جنسيات هذه الدول لتمكنهم من الاستقرار والعيش بأمان، وأن تكلف الأمانة سفيرها المتجول أو أي مندوب من الرابطة بالاتصال بممثلي الدول الإسلامية في الأمم المتحدة لتبني قضية التركستانيين لرفع الحيف النازل عليهم.

(2) أن تعمل الأمانة العامة للرابطة على ترجمة المذكرة التي قدمها سفير الرابطة المتجول إلى سكرتير عام الأمم المتحدة وتقرير الشيخ محمد أمين الإسلامي التركستاني إلى الإنجليزية والفرنسية والعربية ونشرها مع المذاكرة التي قدمت إلى الأمانة العامة للرابطة من السيد عيسى البتكين على أوسع نطاق ممكن لاطلاع الرأي العام الإسلامي على واقع المسلمين في هذه البلاد.

(3) قرار المؤتمر الإسلامي العام في دورته الثانية المنعقدة فيما بين 17 - 24 أبريل 1965م بمكة المكرمة:

تركستان الشرقية والغربية:

اطلع المؤتمر بكثير من الاهتمام على المذكرات المقدمة إليه عن حال عشرات الملايين من الإخوة المسلمين الذين يعيشون تحت الحكم السوفيتي والصيني في تركستان الشرقية والغربية، وفي بلاد أذربيجان والقرم وأديل - أورال وشمال القفقاس وسواها كما اطلع على الجهود المبذولة من قبل المؤتمرات الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي لإنصاف هذه الملايين المسلمة، فقرر ما يلي:

(1) يطلب المؤتمر من الحكومات الإسلامية إيواء المهاجرين التركستانيين من روسيا والصين وإعطاءهم حقوق المواطنين وجنسياتهم؛ ليتمكنوا من الاستقرار والعيش الكريم، ويشكر للدول الإسلامية التي قامت بذلك صنيعها الجميل.

(2) يهيب المؤتمر بحكومات الدول المحبة للسلام أن تتبنى قضية تركستان لدى الأمم المتحدة، ويطلب إلى رابطة العالم الإسلامي السعي لإيجاد النصاب الكافي من الدول الإسلامية لعرض هذه القضية على المنظمة الدولية.

(3) يدعو المؤتمر الحكومات الإسلامية إلى التمسك باسم تركستان الشرقية بدلًا من الاسم الاستعماري الذي فرض على هذه البلاد وهو (سنكيانغ) بغية محو شخصيتها الإسلامية كما يدعو إلى تخصيص برامج وافية عن هذه القضية للتعريف بها لتنتعش آمال الملايين التركستانيين المبعثرين في الأرض، وتساعدهم على المضي في سبيلهم الإسلامي.

(4) يستنكر المؤتمر كل الأعمال الاستعمارية الهادفة إلى محو شخصية الشعب المسلم الذي يجاوز عدده الستين لإبعاده عن دينه ولغته وتاريخه وتقاليده وممارسة عباداته.

(5) يطلب المؤتمر من حكومات البلاد الإسلامية تخصيص منح دراسية لأبناء الشعب التركستاني المسلم المناضل لتمكينه من التسلح بالعلم مع متابعة رسالته وإثبات وجوده.

(أ) القيام لدى الدول الإسلامية القريبة من الصين وذات الصلة بها لتقوم بمساع طيبة وفعالة؛ وذلك لتحقيق المزيد من الحرية الدينية لإخواننا المسلمين التركستانيين الشرقيين.

(ب) إرسال الوفود الإسلامية بصورة متواصلة للاتصال في تركستان الشرقية بإخواننا المسلمين وتحقيق المزيد من التوعية والتنشيط في مجال العقيدة والمعرفة والثقافة الإسلامية.

(جـ) محاولة إيجاد بعض المؤسسات الإسلامية الثقافية والتربوية والاجتماعية بالتعاون مع المسلمين في تركستان الشرقية.

(د) إرسال بعض النشرات والكتب الإسلامية التي تعرف المسلمين هناك بدينهم، وتساعدهم على مزيد من التعمق فيه والتحمس في تطبيقه.

قرار المؤتمر الإسلامي العام في دورته السادسة المنعقدة في 26 ديسمبر 1964م بمقديشو عاصمة الصومال.

حال تركستان وسواها من البلاد الإسلامية في آسيا:

نظر المؤتمر بكثير من الاهتمام إلى أن بعض أقطار العالم الإسلامي تقع تحت سلطات كبرى تتبنى مبدأ تحرير الشعوب المستضعفة والمستعمرة وتنعى الاستعمار الغربي والمستعمرين، وتريد أن تكون حاملة لواء الحرية والسلام وتحرير الشعوب في العالم، وذلك كأهل تركستان الشرقية الواقعة تحت حكم الصين الشعبية وتركستان الغربية الواقعة تحت حكم الاتحاد السوفيتي.

فالمؤتمر مع تقديره لما تقدم هذه السلطات الكبرى من عون لكثير من الشعوب المستضعفة لتحقيق حريتها يناشد كلًّا من الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية أن تكون منسجمة مع الشعارات المثلى التي تحمل لواءها في العالم، فتمنح تلك الشعوب الإسلامية التي تحت حكمهما الاستقلال والحرية في حكم نفسها بنفسها، ويأمل المؤتمر أن تقع هذه المناشدة لديهما الموقع الذي تستحقه من التقدير لدى هذه السلطات.

انتهى.

تاريخ تركستان الشرقية:

عاش الأتراك القدماء في تركستان الشرقية في الانتقال والارتحال بحثًا عن المراعي والمياه، وكانت لهم دويلات وممالك صغيرة بحسب المناطق التي كانوا يعيشون فيها حتى إن المصادر التاريخية القديمة تشير إلى وجود أكثر من 26 مملكة في تركستان الشرقية، ثم توحدت تلك الممالك والقبائل التركية الرحل في دولة الأسكيذ في حوالي عام 1400 ق.م، وقد بلغت هذه الدولة قوتها في عهد الإمبراطور ألب أرنوتغا الذي ذكر الفردوسي في ملحمته الفارسية (الشاهنامه) حروب قوروش الأول كيخسرو معه.

تكاد تكون دولة الهون أقوى دولة تركية ظهرت في تركستان قبل ميلاد المسيح عليه السلام، ونجد كثيرًا من المؤرخين الأتراك يبدءون التاريخ التركي بظهور هذه الدولة، وقد سمى الصينيون هذه الدولة هيونغ نو أو هسيونغ، وهي صيغة مشوهة من الكلمة التركية قيونلو أي رعاة الأغنام، أما كلمة الهون الواردة في المصادر الفارسية واليونانية فهي صيغة محرفة لكلمة فين أي الأغنام وتمدنا المصادر الصينية بمعلومات أولية تشير إلى أن حركات قبائل الهون بدأت من عام 2000 ق.م وازدادت وضوحًا في القرن الثالث قبل الميلاد عندما اشتد تهديد الهون بغزو الصين، واضطر راشي هواغ تي من أسرة جين إلى بناء سور الصين العظيم في عام 230 ق.م ولكن الإمبراطور مته خان ملك الهون فرض الجزية على الصين في عام 200 ق.م وبسط سلطانه على الشمال ضد الإمبراطور يوباي ملك الهون، واستقل ووت ملك الصين عن الهون ثم غزا تركستان حتى وصل مدينة فرغانة عام 101 ق.م، وبعد ذلك انقسمت مملكة الهون إلى دولتين.

(1) دولة الهون الجنوبية في جنوب وشرق صحراء غوبي في المناطق التي تتكون منها حاليًا منغوليا الداخلية ومقاطعة كانسو وينغ شيا في الصين.

(2) دولة الهون الشمالية في شمال وغرب صحراء غوبي من تركستان الشرقية وأجزاء من الغربية، وفي القرن الثالث الميلادي أفل نجم الهون وظهر على مسرح التاريخ دويلات تركية عدة.

دولة كوك تورك:

تأسست هذه الدولة التي تحمل اسم الترك علمًا على جميع الشعوب الناطقة باللغة التركية على يد بومين خان في جنوب جبال التاي عام 546م، ثم تمكن نجله موقان خان من توحيد الممالك التركية المتصارعة حتى بلغت

أقصى اتساعها في أواخر القرن السادس الميلادي، حيث وصل امتدادها إلى بحر قزوين غربًا ومن سيبريا شمالًا إلى إيران والهند والصين جنوبًا، وقد غزا تبارخان الصين واستولى على مدينة بكين عام 578م، ثم بعد فرار الإمبراطور الصيني يانغ تسي من عاصمته لوبانغ في مقاطعة ستانس عام 615م عين الأتراك لي بوان نانغ حاكم مقاطعة شانس ملكًا على الصين.

ثم تعرضت دولة كوك تورك إلى الاضطراب والفتن الداخلية، ونشأت عنها دولتان شرقية وغربية استغلتها الصين لضرب بعضهما بالآخر وتعرضت تركستان الشرقية لاحتلا صيني وتبتي، وقيام بعض الدول التركية في بعض أجزائها.

وكانت الصين قد استغلت تمزق دولة كوك تورك في احتلال شمال تركستان الشمالية، وخاصة أن التبت قد استولت على جنوبها، واتخذ القائد الصيني كاوسين جي الكوري الأصل مدينة كاشغر قاعدة عسكرية لغزو بقية تركستان، واستولى على مدينة سوياب عام 748م ثم مدينة تاشكند[1] عام 749م، وقد استنجد الأتراك بالأميرابي مسلم الخراساني الذي بعث إليهم زياد بن صالح الخزاعي بجيش قوامه عشرون ألفًا من العرب والأتراك وتقابل الأتراك بمساعدة العرب مع القوات الصينية قرب مدينة تالاس (طراز الحالية) في شهر يوليو من عام 751م في معركة حامية كانت فاصلة في تاريخ تركستان إذْ منيت القوات الصينية بهزيمة منكرة أدت إلى خروج الصين من البلاد وسيادة الحضارة الإسلامية على تركستان كلها حتى اليوم وابتعاد تركستان الشرقية عن نفوذ الصين لأكثر من ألف عام.

---

(1) هي طشقند في الوقت الحاضر.

بعد خروج الصين من تركستان وجلاء التبت من جنوبها ظهرت في المنطقة دولتان كبيرتان هما:

أولًا: دولة الأيويغور 616 - 1260م.

كانت قبائل الإيغور التي تتمركز على ضفاف نهر أورخون وتتخذ قوابلًا ساغون عاصمة لها تنتشر في شمال وشرق تركستان منذ قبل عام 2850 ق.م، وكان لهم دور ملموس في سياسة الإمبراطورتين الهون وكوك تورك، ثم بدأ ظهورهم السياسي يبرز في عهد أميرهم سوكون شك 616 - 629م، وأصبحت دولة قومية فيما بين 712 - 839م، ولكن قبائل الفيرغيز التركية النازلة في حوض نهر نيس في منغوليا ثارت ضدهم، فغادروها إلى منطقتي أورومشي وتورفان؛ للانضمام إلى إخوانهم الأويغور وتشكيل دولة الإويغور التي مركزها قراخوجه فيما بين 840 - 1260م، وقد أطلق المؤرخون العرب في كتبهم اسم التغزغز التي أصلها توقوز أوغوز على أتراك تركستان الشرقية وخاصة على الأيغور.

كانت رحلة تميم بن بحر المطوعي إلى بلاد الأويغور فيما بين 760 - 800م، وقد نقل عنه ياقوت الحموي وابن الفقيه وابن خرداذبه وغيرهم معلوماتهم عن الأويغور وبلادهم، ويقول تميم بن بحر المطوعي أن خاقان ملك التغزغز كان مسخاتنا لملك الصين، وأن ملك الصين يحمل إليه في كل سنة خمس مائة ألف فرند.

ثانيًا: دولة القارلوق 735 - 1260م:

تأسست هذه الدولة في شمال تركستان حيث ضمت غرب التاي ويتي وبحيرة بلقاش والجزء الشرقي لحوض نهر سيرداريا، واستعاد الأتراك بها

مناطق مملكة كوك تورك الغربية، ثم احتل القارلوق مدينة سوياب عام 766م ومدينة فرغانة عام 792م، ولما تعاظم خطر هؤلاء الأتراك على الدولة العباسية إبان خلافة هارون الرشيد وفشلت بعض المعارك الحربية ضدهم، أشار الفضل بن سهل على المأمون والي راسان آنذاك بمهادنه الأتراك، فبعث إلى بايغو قارلوق وخاقان التيبت يوليهما على بلادهما ويعدهما بالوقوف إلى جانبهما في حروبهما مع الأمراء المجاورين.

ومع إحلال السلام بين الأتراك والعرب بدأ الإسلام ينتشر بين صفوف القارلوق، وقد بقيت دولتهم في شمال تركستان إلى أن انضمت إلى دولة قراخان الإسلامية في عام 880م، وزالت بموت ملكها إيلجي ملك شاع عام 1260م.

دخول الإسلام إلى تركستان الشرقية:

تشير كتب التاريخ الإسلامي إلى أن معظم وقائع الفتوحات العربية في بلاد الأتراك حدثت في الجزء الغربي لتركستان، وأن الحروب التي دارت بين جيوش الفتح العربي وجنود الأتراك ومنهم الأتراك الشرقيون وقعت فيما وراء النهر كما حدث ذلك مع جنود قوتلوق عام 87هـ/ 806م، ثم قوات توركش عام 119هـ/ 736م وجيش قارلوق عام 180هـ/ 792م.

وسبق ذلك وصول قتيبة بن مسلم إلى كاشغر في عام 96هـ/ 715م، وتجمع المصادر العربية على وصول القوات العربية إلى كاشغر في ذلك التاريخ.

وخلال استقرار الحكم العربي الإسلامي فيما وراء النهر أي بخارى وسمرقند وما خلفها هدى الله ﷻ كثيرًا من الأتراك إلى الإسلام، ثم قاموا بالدعوة إلى الإسلام في المناطق النائية في بلاد الجهاد.

وتذكر كتب التاريخ الإسلامي جهود كثير من الدعاة ممن كان لهم فضل نشر الدعوة الإسلامية بين الأتراكن ونشير في هذا الصدد إلى جهود الأمير نصر بن منصور الساماني الذي التجأ إلى بلاط أوغولجاق في تركستان، وأقام في أرتوج (أرتوش الحالية في شمال كاشغر)، وبنى مسجدًا هناك وأسلم على يده الأمير ستوق يوغراخان الذي تسمى بعبد الكريم، وحمل لواء الجهاد في نشر الإسلام بين الأتراك حتى وافته المنية عام 344هـ/ 955م.

وتعزو أسطورة ستوق بوغراخان الشعبية إليه القدرة الخارقة في حربه التي شنها على الكفار، حتى لقد روت الأسطورة أن سيفه الذي كان يتلقده يبلغ طوله أربعين قدمًا، وأنه لم يكد يبلغ من العمر 69 عامًا حتى نشر سيفه الرعب في قلوب الكفار شمال غرب الصين.

وفي عهد دولة قراخان التي أقامها عبد الكريم ستوق بوغراخان بعد إسلامه، والتي تعد أول دولة تركية مسلمة في تاريخ تركستان والأتراك معًا، أسلم السلاجقة والقارلوق، وينسب إليه إسلام مائتي ألف خيمة (خاركاه)، كما أسلم قوم من الأغوز النازلين عند مصب نهر سيحون.

وافتتح خان الأغوز عهده بأن حرر المدن الإسلامية التي كانت تدفع الجزية لغير المسلمين، فكأن دخوله في الإسلام اقترن باشتراكه في معركة الجهاد.

دولة قراخان أوايليك خان:

تنتسب عائلة قراخان الحاكمة إلى إحدى قبائل القارلوق التي كانت ضمن الحلف الثلاثي (الأويغوري القارلوق - الباسمل) الذي قضى على دولة قوتلوق عام 742م، ثم تزايد نفوذها السياسي في عام 751م في شمال تركستان بعد خروج القوات الصينية منها، وشكلت دولة القارلوق ، ويظهر أن بيلكا كول قدرخان الذي حارب نوح بن أسد الساماني هو أول حاكم قارلوقي وقراخاني

عرف اسمه على التحقيق، وبعد أن أسلم حفيده ستوق بوغرا بن بازير أرسلان خان عندما كان في بلاط عمه الأمير أوغولجاق خان في كاشغر ثم تخلص مع المسلمين الأتراك الذين جمع شملهم من عمه، وتولى حكم مملكة قراخان أو (آل إفراسياب) أو (إيليك خان) كما ترد في المصادر العربية والفارسية، وشكل أول دولة تركية مسلمة عاصمتها كاشغر.

وفي عهد الملك يوسف بن قدر خان بن أحمد توغان المتوفى عام 1032م، توحدت تركستان بجزئيها الشرقي والغربي في دولة قراخان، ولم يقم القراخانيون في العواصم القديمة لبلاد ما وراء النهر مثل بخارى وسمرقند، بل في أوزكند وهي أقرب مدينة بعد أوش في فرغانة لكاشغر.

في ظل حكومة قراخان الإسلامية برزت أول حضارة إسلامية تركية ونمت بفضل الثقافة الإسلامية العربية التي تقدمت مع الفتح العربي إلى بلاد الأتراك، وقد شجع ملوك وأمراء قراخان نماءها لجذب الأتراك إلى الدين الإسلامي وتمكين المسلمين الجدد من فهم تعاليم الإسلام، واستعمل الأتراك الأبجدية العربية بدلًا من الأبجدية الأويغورية، وظهرت في عهدم أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة التركية في كاشغر أيام الملك أبي علي حسن بن سليمان الملقب بتبغاج بوغراقوا خان المتوفى عام 496هـ/ 1102م، وألف يوسف خاص صاحب البلاساغوني كتاب (قوتاد غوبيليك) في الأخلاق والفلسفة الإسلامية، وقدمه إلى الحاكم القراخاني بوغراخان حاكم كاشغر سنة 462هـ/ 1070م، كما وضع محمود حسين الكاشغري القاموس الأول في اللغة التركية وهو (ديوان لغات الترك)، ورفعه إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله في بغداد عام 1076م، وقد ظهر غيرهما من الأدباء والعلماء الأتراك الإسلاميين في هذه الفترة.

وفي عام 1124م تعرضت تركستان لغزو قبائل قراخيتاي التي قدمت إليها من شمال الصين بعد انهيار دولتها المعروف باسم لياو وقيام دولة سلالة كين التترية المغولية التي تعرف بالمغولية والتركية (التون خان)، واستقرت قبائل قراخيتاي، ولم يستمر كوجلوك في حكمه إذْ قضى عليه جنكيز خان عام 615هـ/ 1218م، ورحب أهالي تركستان الشرقية بالمغول، وخضعت لهم بلادهم بدون قتال، ولم تتعرض مدنها مثلما تعرضت له مدن ما وراء النهر مثل سمرقند وخوارزم من الدمار والخراب.

وقد عمل الأويغور أهالي تركستان الشرقية أساتذة ومعلمين للمغول وعلموهم أصول الكتابة، وخط المغول سجلاتهم ودواوينهم بالأبجدية الأويغورية التي لا تزال شائعة بين المغول إلى اليوم، وتأثر المغول بواسطتهم بالحضارتين الإسلامية والتركية.

في عام 1225م قسم جنكيز خان مملكته بين أولاده الأربعة، وكانت تركستان من نصيب ابنه الثاني جغتاي خان، ولم يحكم جغتاي خان أو أولاده تركستان حكمًا مباشرًا، بل كانت الحكومات المحلية تقوم بشئون الحكم والرعية.

وكان الإشراف عليها بيد محمود يلواج وأولاده، حتى تولى أسرة دوغلات حكم تركستان الشرقية عام 1318م، وتعرضت دولة دوغلات إلى فتن وحروب داخلية عمت المنطقة بعد موت تيمور لنك عام 1405م، ولكن استتب الأمر في عهد السلطان يونس خان جد الأمير ظهير الدين محمد بابر مؤسس الدولة المغولية في العند عام 925هـ/ 1519م غير أن تجدد الاضطرابات والمعارك بين الأمراء الحكام في تركستان قضى على دولة دوغلات، وأدى إلى ظهور الدولة السعيدية عام 1514م، التي اتخذت ياركند

عاصمة لها، ولكن منيت هذه الدولة الفتية بالحركات الدينية التي أشعلها الصوفيون أبناء أحمد خوجة المتلقب بالمخدوم الأعظم الذي ينتسب إلى الإمام حسين بن علي رضي الله عنه.

ومع تزايد نفوذهم الديني والاجتماعي تطلع أحدهم وهو هداية الله خوجه المتلقب بابباق خوجه إلى التربع على عرش الحكم والسيادة في تركستان الشرقية، فحارب السلطان محمد أمين بهادر خان عام 1679م، واستعان على ذلك بقوات وثنية بوذية أمده بها غالدان خان زعيم قبائل قالماق المغولية التي كانت في حروب مع الصين، وذلك بتوصية من دالاي لاما ملك التبت وزعيم البوذيين، واستطاع بمساعدة تلك القوة قتل السلطان محمد أمين بهادر خان وتولى حكم تركستان الشرقية.

ولما هزمت الصين دولة القالماق المغولية عام 1757م تقدمت جيوشها لاحتلال تركستان الشرقية التي كانت تحت السيادة الاسمية للمغول القالماق، فقضت على دولة الأشراف خوجة بمقتل خوجة برهان الدين في بدخشان، واستولى على البلاد عام 1759م، وكأن طمع أبباق خوجة في الحكم بلاء على الأشراف الخوجة ودمارًا لتركستان الشرقية المسلمة.

وهكذا وقعت تركستان الشرقية فريسة للاستعمار الصيني المانشوري جنغ ()، ويقول الأستاذ بدر الدين و. ل. جي: (تعتبر أسرة تشنغ في الصين بوجه عام أسرة مضطهدة للمسلمين، وكانت تعمل بالاستمرار على تطبيق سياسة جائرة عليهم، غير عادلة في حقهم في جميع أنحاء الصين).

ولقد لاقى المسلمون في سنكيانغ (تركستان الشرقية) وشمال الصين الغربي ويونان بصورة أخص أسوأ معاملة في تاريخ الصين على أيدي حكام أسرة (تشنغ)، وثار المسلمون في تركستان الشرقية ضد الاستعمار الصيني

المانشوري والاضطهاد البوذي 17 ثورة كبيرة عارمة، أثمرت آخرها في عام 1863م تحرير تركستان الشرقية وتكوين مملكة مستقلة برعاية تشنغ أمير المسلمين أتاليق بدولت غازي يعقوب بك الذي تبادل السفراء مع بريطانيا وروسيا والدولة العثمانية وأفغانستان ومصر، ووقع معاهدات تجارية وودية مع بريطانيا وروسيا.

غير أن الأطماع الاستعمارية لروسيا والصين تجددت بعد المحادثات التي تمت بينها في 15 مايو 1872م، وساعدت روسيا القوات الصينية بالمؤن في يونيه 1875م، وذلك في سبيل تحقيق رغبتها في إقامة دولة فاصلة بين الهند البريطانية وآسيا الوسطى الروسية، والتخلص من يعقوب بك الذي أعلن خضوعه لسلطان الدولة العثمانية وحاول الاستعانة بالإنجليز وهم الأعداء التقليديون لروسيا لحفظ كيان دولته المتاخمة لتركستان الغربية في روسيا، وهكذا أعاد الاحتلال الصيني إلى تركستان الشرقية عام 1878م.

وقد ثار التركستانيون ضد الاستعمار الصيني عشرات المرات، واستشهد مئات الآلاف من المسلمين في سبيل خلاصهم وخلاص بلادهم من الحكم الصيني البوذي، وكانت الحكومة الصينية تقمع تلك الانتفاضات الوطنية بكل وحشية وقسوة، وكلما زادت في اضطهادها وعنفها وجدت الإصرار والتشبث بالحرية، والجهاد في سبيل الله حتى تمكن الثوار المسلمون من تحرير بلادهم وتشكل جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية برئاسة الحاج خوجه نياز في كاشغر بتاريخ 12 نوفمبر 1933م.

ولكن روسيا التي تخشى أن يؤدي قيام دولة إسلامية في تركستان الشرقية إلى تهديد مصالحها الاستعمارية في تركستان الغربية، ويشجع المسلمين في الشق الغربي من تركستان على الثورة والتحرر، كما سبق شرحه أمدت الوالي

الصيني شنغ شو تساي المحصور في أورومشي بعشرة آلاف جندي مجهزين بالأسلحة الحديثة والدبابات وثلاثين طائرة حربية ومجموعة من الخبراء والمستشارين الروس والقواد منهم مالينكوف الذي تولى فيما بعد رئاسة حكومة الاتحاد السوفيتي، فتمكن الوالي الصيني من أن يجمع فلول القوات الصينية المنهزمة ويقضي على الثوار وجمهوريتهم في شهر يوليو 1934م، ووقعت تركستان الشرقية بذلك تحت السيطرة السوفياتية الصينية.

عانى المسلمون التركستانيون شتى المظالم والتعذيب من رجال الحكومة المزدوجة من الصينيين والسوفيات، وتعرض نصف مليون مسلم للاعتقال والسجن، ولقي أكثر من مائتي ألف شخص حتفهم، ومع ذلك انفجر المسلمون في ثورة عارمة ضد الاستبداد الصيني، ونجح الثوار في إعادة تشكيل حكومة جمهورية تركستان الشرقية برئاسة الشيخ علي خان توره في إيلي بتاريخ 30/ 1/ 1945م، واستطاع التركستانيون تحرير معظم أجزاء بلادهم من الاستعمار الصيني، ولكن روسيا يقلقها أن ترى تركستان الشرقية مستقلة كما سبق، فعادت إلى الظهور مرة أخرى على مسرح السياسة، وتدخلت تعمل وسيطًا للصلح بين حكومة تركستان الشرقية والحكومة الصينية، وقبل التركستانيون الصلح تحت ضغط روسيا، بعد أن رفضوه حين عرض الصينيون ذلك.

وكانت شروط التركستانيين هي أن تنسحب قوات الاحتلال الصينية من تركستان الشرقية، وتم الصلح فعلًا على أساس الاعتراف بالاستقلال الذاتي لتركستان الشرقية، وإجراء انتخابات حرة لاختيار أعضاء الحكومة الإقليمية لها، وإحلال الوطنيين في الوظائف مكان الصينيين الدخلاء، وتم توقيع الاتفاقية من قبل الجنرال جانغ جي جونغ الذي عين قائدًا عامًّا لشمال غرب الصين ممثلًا لحكومة الصين التي كان يرأسها الجنرال شانغ كاي شيك آنذاك، وممثلي

حكومة تركستان الشرقية السيد رحيم جان صابر وأبي الخير تورة وأحمد جان قاسمي في أورومشي بتاريخ 6 يونيه 1946م، ونشرت الاتفاقية رسميًّا باللغة الصينية في جو نكين بتاريخ 7 يونيه 1946م.

وفي أوائل عام 1947م جرت الانتخابات العامة لاختيار أعضاء الحكومة الذاتية الإقليمية لتركستان الشرقية، وتولى رئاسة الحكومة الدكتور مسعود صبري في مايو 1947م، غير أن روسيا السوفياتية التي كانت تدعم الشيوعيين الصينيين، وتعمل على توطيد أقدامها في البلاد بثت رجالها وجواسيسها بحجة دعم الثورة الوطنية، وضغطت على الحكومة الصينية في تعيين برهان شهيدي بدلًا من الدكتور مسعود صبري في رئاسة الدولة في ديسمبر 1948م، ولم يمض وقت طويل حتى سيطر الشيوعيون الصينيون والسوفيات على زمام الأمور في الصين ومنى الجنرال شانغ كاي شيك بالهزيمة والالتجاء إلى جزيرة تايوان.

وفي 26/ 9/ 1949م، أعلن برهان شهيدي الحاكم العام وتاوتسي يو قائد الجيش الصيني استسلام البلاد وخضوعها، ودخلت القوات الصينية الشيوعية تركستان الشرقية في 12/ 10/ 949م، وبذلك بدأ عهد جديد من الإرهاب والظلم في تاريخ تركستان الشرقية المسلمة.

الحكم الشيوعي:

ويمكن تقسيم الحكم الشيوعي الصيني الأخير لتركستان الشرقية إلى ثلاث فترات متباينة كالآتي:

1- فترة البناء الشيوعي والسيطرة الصينية 1949 - 1965م بعد أن ثبت الشيوعيون الصينيون أقدامهم في تركستان الشرقية وكون وانغ إنيمو الحزب الشيوعي الصيني لمقاطعة تركستان الشرقية في ديسمبر 1954م

عمل الشيوعيون الصينيون في ثلاث اتجاهات:

(أ) القضاء على الزعماء الوطنيين والعلماء بشتى أنواع التهم والأساليب والتعذيب.

(ب) تطبيق النظام الشيوعي بمصادرة الأملاك والأوقاف واعتقال الأثرياء والمفكرين وتكوين المليشيات الشعبية من اللصوص والمنحرفين والهجوم على المؤسسات الاجتماعية والثقافية باسم معادة الشيوعية.

(جـ) بسط السيطرة الصينية بتكثيف الموظفين الصينيين في الإدارات والمراكز الحكومية والشعبية وبتنفيذ خطة التهجير الصيني البوذي إلى تركستان الشرقية وفرض سياسة التصيين الثقافي والتعليمي.

2- فترة الثورة الثقافية 1966 - 1975م: عمل الشيوعيون الصينيون في هذه الفترة للقضاء على التعاليم الإسلامية والحضارة التركية والمعالم الوطنية في تركستان الشرقية، وأغلقت جميع المساجد والجوامع واستعملت لغير أغراضها وانتهكت الحرمات ومنع المسلمون من ممارسة أي شعيرة دينية بالقتل والإرهاب وفرض استعمال اللغة الصينية على الجميع فرضًا قسريًّا وأحرقت وصودرت جميع الكتب الإسلامية والتركية، وأجبر المسلمون على قراءة كتب ماو تسي تونغ والزواج المختلط بين المسلمين والصينيين، وتميزت بفترة القضاء الجبري على بقايا الفترة الأولى الإسلامية ونتائج بناء الحكم الشيوعي والسيطرة الشيوعية الصينية، وتدمير المؤسسات الثقافية والمعالم الفكرية والدينية.

3- الفترة المعاصرة 1976-1986 م، وتتميز بتحول الشيوعيين الصينيين

من تطبيق سياسة الإرهاب المكشوف إلى ممارسة سياسة تطبيق الشيوعية العلمية والتصيين الثقافي بعد أن نجحت سياستهم الإرهابية في تحقيق أهداف ثلاثة هي:

(أ) بث الرعب والخوف في نفوس المسلمين ونشر الأمية العلمية والفكرية بينهم.

(ب) التخلص من القوى الإسلامية والوطنية المؤثرة والمعارضة.

(جـ) سيطرة الصينيين على مقدرات البلاد، وتمكنهم من تهجير أكثر من خمسة ملايين بوذي إلى تركستان الشرقية.

وفي ظل هذه السياسة الحديثة لحكومة الصين الشعبية التي تسمى بسياسة الانفراج النسبي، يتمتع المسلمون في تركستان الشرقية ببعض مظاهر التسامح الديني المحدود والانتعاش الاقتصادي والاجتماعي.

ولكن الخطر الحقيقي يقع في هذه الظواهر التي تلهي عامة المسلمين عن أهداف السياسة الصينية التي تعمل على تهجير مائتي مليون صيني بوذي إلى تلك البلاد المسلمة، تكون كافية في امتصاص المسلمين بالأغلبية الصينية عرقيًا وثقافيًا ودينيًا واقتصاديًا؛ ذلك لأن المسلمين محرومون من التعليم الديني بل من الفني وغيره من أنواع التعليم بدليل تفشي الأمية بينهم ومحرومون من العمل في الأجهزة الحكومية والصناعية إلا بالقدر الذي يساعد الحكم الصيني في تنفيذ سياسته الاستعمارية.

بدليل انتشار البطالة والتدهور الاقتصادي والحضاري لتركستان الشرقية.

انتهى.

التوصيات:

على ضوء مشاهداتنا الفعلية لحاجة العمل الإسلامي بين إخواننا المسلمين التركستانيين وتطلعاتهم الكبيرة في مؤازرة رابطة العالم الإسلامي خاصة لنشاطهم، فإننا نرى إنفاذ التوصيات التالية:

1- لفت أنظار العالم الإسلامي حكومات وشعوبًا إلى مخاطر توطين ملايين المهجرين الصينيين غير المسلمين في تركستان الشرقية وخطره المحقق في استئصال الكيان الإسلامي المتميز للمسلمين في تلك البلاد، وتذويب المسلمين بفرض الأكثرية الصينية وجودًا وسياسة وثقافة؛ وذلك لمطالبة حكومة الصين الشعبية على وقف توطين المهجرين الصينيين البوذيين في تركستان ووقف عمليات التصيين.

2- الإسراع في إنشاء مستوصف لرابطة العالم الإسلامي أو العمل على إنشاء مستشفى مناسب في كاشغر مع مركزين لرعاية الأمومة والطفولة في باركند وخوتن لمساعدة المسلمين الفقراء على مقاومة الأمراض التي تفتك بهم، والتي تتزايد نتيجة سياسة الإهمال الاستعماري المقصود، وتاثير التفجيرات النووية في المنطقة، والاستفادة في ذلك من الموافقة الحكومية هناك على هذا العمل الإسلامي، ومن ذلك تخصيص أرض حكومية لهذا الغرض.

3- المساعدة المالية لإكمال بناء المعهد الإسلامي في أورومشي الذي هو قيد البناء الآن، كما وعدهم البنك الإسلامي للتنمية بجدة بمساعدتهم بمبلغ 200000 دولار، والعمل لاحتضان المعهد بالمشاركة في وضع مناهج الدراسة وإدارته والتدريس فيه.

4- المساعدة من صندوق المساجد في رابطة العالم الإسلامي على ترميم وإصلاح، وفرش عدد من الجوامع الكبيرة في عدد من مدن تركستان الشرقية.

5- المساعدة على إنشاء المعهد الاجتماعي المهني في أورومشي لتعليم أبناء المسلمين المهن والحرف الفنية واللغة العربية ومده بمدرسي اللغة العربية وتزويده بالكتب الدراسية العربية والإسلامية.

6- صرف مكافأة مالية لأيتام المسلمين وفقرائهم الذين يدرسون في هذا المعهد.

7- تخصيص ثلاث منح دراسية للمتخرجين من طلاب المعهد في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وإتاحة الفرصة لبعض مدرسيه وطلابه في التدريب ببعض المعاهد الفنية والمهنية لاكتساب الخبرة والمعرفة.

8- إرسال الكتب العربية والإسلامية إلى المعهد والجمعيات والشخصيات الإسلامية.

9- استمرار العمل مع الجمعية الإسلامية الصينية بخصوص دعوة بعض التركستانيين لأقربائهم في تركستان الشرقية لأداء فريضة الحج ذلك؛ لأن بعض أولئك المدعوين لم يتمكنوا من الخروج لأداء الحج؛ وذلك لكون رابطة العالم الإسلامي كانت من أوائل الهيئات الإسلامية العالمية التي بادرت بالاتصال بالمسلمين هناك، وتقديم الدعو المادي لهم، وكان ذلك الخير الكثير للمسلمين هناك.

وبناء على ما سبق ذكره والأمور التي استجدت، فإن مما يفيد العمل الإسلامي هو توثيق الصلات والعلاقات مع الجماعات الإسلامية من خلال تكثيف

الزيارات وتقديم الدعم المستمر حتى ولو كان يسيرًا وقليلًا، ولعل في إقامة الدورة المقترحة للأئمة والدعاة في الصينالشعبية في أبريل عام 1987م دفع وقوة لعمل الرابطة هناك، أما بالنسبة للمقترحات الواردة في التقرير، فإنها ما يلي:

أولًا: المستوصف الصحي في كاشغر ومركزي رعاية الأمومة والطفولة في خوتن وياركند، سبق أن صدرت الموافقة السامية رقم 5/ ب/ 9111 وتاريخ 29/ 6/ 1406هـ لإنشاء مستوصف الرابطة.

ثانيًا: رفع مذكرة من الرابطة عبر منظمة المؤتمر الإسلامي إلى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ومؤتمر القمة الإسلامي القادم بطلب لفت أنظار الحكومات الإسلامية إلى مخاطر توطين مائتي مليون صيني بوذي في تركستان الشرقية ومطالبة حكومة الصين الشعبية بوقف التهجير الصيني إلى هذا الجزء من بلاد المسلمين.

ثالثًا: المعهد الإسلامي في أورومشي بتركستان الشرقية الذي اقترح له وفد الرابطة عام 1404هـ مساعدة قدرها 600.000 دولار، ثم وعدهم البنك الإسلامي للتنمية بالمساعدة بمبلغ 1.200.000 دولار، وإلى الآن لم يحصل المعهد من أيها على المساعدة المقترحة.

يعقب على البنك الإسلامي للتنمية بما تم بشأن مساعدة المعهد، وإذا لم يتم إرسال المبلغ الموعود به، وإذا لم يتم ذلك نرى أن يتم التنسيق بين الرابطة والبنك الإسلامي في مساعدة المعهد كالآتي:

أن يتولى البنك الدعم المادي وأن تتولى الرابطة المشاركة في التأثيث والتدريس والتعاون مع المسئولين هناك في الإدارة والإشراف على المعهد.

رابعًا: الجمعية الإسلامية الصينية في بكين والجمعية الإسلامية لمقاطعة

تركستان الشرقية (سنكيانغ) في أورومشي - تتزايد علاقة الرابطة بهما يومًا بعد يوم، ويعانون كثيرًا في الاتصال بالمنظمات الإسلامية في العالم، وقد عانينا كثيرًا في رحلتنا الأخيرة من صعوبة الاتصال بالمملكة وإشعار الرابطة بظروف رحلتنا لذا أرى تزويد كل واحد منهما بجهاز تلكس.

خامسًا: المعهد الاجتماعي المهني في أورومشي يهتم بتعليم أبناء المسلمين الحرف والمهن الفنية واللغة العربية كمدخل لدراسة العلوم الإسلامية، ويضم مجموعة كبيرة من أيتام المسلمين، وقد صدر التوجيه السامي رقم 5/ ب/ 9111 وتاريخ 9/ 6/ 1406هـ على إنشاء مركز مهني في تركستان الشرقية ولعل احتضان هذا المعهد الموجود يوفر كثيرًا من التكاليف والجهود لإنشاء مركز جديد.

تعيين مدرس لتعليم اللغة العربية لهم من خريجي الجامعات الإسلامية وقد وافق المعهد.

سادسًا: حث المؤسسات الاقتصادية الإسلامية مثل بنك فيصل الإسلامي وبيت المال الإسلامي لإيجاد بعض المشروعات الاقتصادية التي تساعد على رفع مستوى المسلمين ماديًا، فذلك يؤدي إلى خلق فرص الاعتماد الذاتي للمسلمين لتمويل نشاطاتهم الإسلامية والثقافية والاجتماعية والصحية وتحسين مستواهم عامة، ويحب أن تقوم الرابطة بنقل هذه الفكرة إلى تلك المؤسسات المالية والتجارية.

سابعًا: إن استقدام العمالة الإسلامية وهي رخيصة من تركستان الشرقية إلى دول الخليج العربي لا شك - فيه فائدة كبيرة للمسلمين هناك؛ لزيادة دخلهم ورفع مستواهم الحياتي، وكذلك في اكتساب الخبرة والمهارة التي تفيدهم في تطوير بلادهم، وهو مطلب إسلامي لمساعدة المجتمعات الإسلامية الفقيرة

لبناء مقوماتها ماليًّا وعلميًّا، بدلًا من بذل العطاء وتعويد الناس على الكسل والخمول والاستجداء.

المساجد:

1- كان عدد المساجد في تركستان 12.000 مسجدًا إلى سنة 1981م، أما اليوم فقد وصل العدد إلى 14.000 مسجدًا حسب أقوال المسئولين في تركستان.

2- فقد لاحظنا افتقار المساجد عامة إلى الفرش وإصلاح الميضآت ووضع مكبرات الصوت.

3- توجد مكبرات الصوت في بعض الجوامع، لكنها لا تكفي لقلتها.

4- ضعف مستوى الخطباء في الجوامع وإصرارهم على إلقاء الخطبة باللغة العربية مع ضعفهم فيها دون أن يستفيد القوم منها، وبيان أن على خطباء المساجد مشروعة الخطبة يوم الجمعة قبل الصلاة واستحباب إلقائها بلغة القوم.

5- قلة المساجد في بعض المناطق وعدمها في البعض الآخر.

6- خلو المساجد من المصاحف.

7- إقبال الشباب على المساجد بحيث لا يخلو مسجد من الأطفال حتى في صلاة الفجر، وأحيانًا نلاحظ أن الشباب أكثر من كبار السن.

8- يختم القرآن الكريم في صلاة التراويح في معظم المساجد وفي بعضها أكثر من مرة إذا كان المسجد فيه طلاب يحفظون القرآن الكريم وصلاة التراويح في جميع المساجد في تركستان عشرون ركعة بعد كل أربع ركعات يستريحون فترة يسيرة ثم يستأنفون الصلاة.

هذا شأن المساجد كلها في المناطق التركستانية عامة.

إننا نقترح الآتي:

1- مدهم بالمصاحف والكتب الإسلامية المتنوعة للمحافظة على عقيدتهم؛ لأن أكثرهم على الفطرة حاليًا وخالية أفكارهم عن البدع والخرافات المصطنعة في كثير من البلاد الإسلامية.

2- مدهم بالدعاة الذين يتقنون اللغة التركستانية والصينية إن أمكن، وإلا يستصحب معهم مترجمين من الجالية التركستانية المقيمة بالمملكة.

3- مدهم بالمعونات المادية اللازمة لإصلاح مساجدهم وفرشها وإنارتها ومكبرات الصوت اللازمة لذلك.

4- مساعدة الأئمة والمؤنين ومحفظي القرآن الكريم لأطفال المسلمين ومعلميهم بمكافآت تعينهم على الاستمرار في هذه الأعمال الجليلة.

5- منح مكافآت تشجيعية مقطوعة للأطفال الذين يحفظون القرآن الكريم، ويدرسون العلم تشجيعًا لهم على الاستمرار في ذلك.

6- إن بعض أهل العلم يقومون بتعليم أطفال المسلمين في بيوتهم ليلًا قبل الفجر دون مقابل حسبة الله، فلو مدت يد المساعدة لهؤلاء لكان أفضل.

7- توجيه الدعوة لإشراك مندوبين من تركستان إلى المجلس الأعلى العالمي للمساجد الذي ينعقد في مكة المكرمة.

8- توجيه الدعوة لعدد من حفظة القرآن الكريم من تركستان للاشتراك في مسابقة القرآن الكريم العالمية التي تنعقد في مكة المكرمة.

9- منح الدراسة لطلاب العلم الذين يرغبون في معهد تدريب الدعاة والأئمة التابع لرابطة العالم الإسلامي.

10- الاهتمام بالحجيج وإعطائهم دروسًا في جميع المجالات الدينية والفكرية والأخلاقية والتربوية، وذلك بإرسال الدعاة الذين يجيدون اللغة التركستانية إلى أماكن إقامتهم ومخيماتهم.

11- إرسال حفظة القرآن المجيدين والمجودين له إلى هناك للاستماع إلى القراء والطلبة وتصحيح قراءتهم الملحونة.

12- الإكثار من إرسال الدعاة في تركستان مع توجيههم بالاهتمام في الدرجة الأولى بأمر العقيدة وبالأخلاق.

13- الاهتمام بإرسال النشرات العلمية والثقافية بأي واسطة ممكنة بريدية أو مع الدعاة الموفدين إلى هناك.

14- يجب الاهتمام بالمجلة التركستانية وتوجيهها الوجهة الصحيحة والاعتناء بالأمور العلمية والأخلاقية بجانب الأمور السياسية.

15- يجب على الرابطة أن توجه نداء إلى جميع الحكومات الإسلامية بإعطاء التركستانيين منحًا علمية كل على قدر استطاعته في جميع المجالات الفكرية والدينية في المقام الأول.

16- على الدول الإسلامية التي تربطها علاقات دبلوماسية وثقافية مع جمهورية الصين الشعبية أن تقوم بإعداد زيارات للوفود الثقافية من وإلى الصين وخاصة منطقة تركستان، وأن إبراز حال المسلمين في الصين وإعطاء فكرة عامة عنهم في العالم الإسلامي سوف يؤدي إلى رفع الروح المعنوية لديهم، وفي نفس الوقت يؤدي ذلك إلى تحريك

الحكومة الصينية نحو تحسين أحوالهم حفاظًا على سمعتها.

17- يستحسن منح الطلاب المسلمين من تركستان الشرقية منحًا دراسية للدراسة في المعاهد الدينية في الدول الإسلامية، وقد ترفض الحكومة الصينية مثل هذه المنح في البداية إلا أن تكرار ذلك قد يؤدي في النهاية إلى القول بالإيجاب.

18- يستحسن بذل الجهود لتوزيع المصاحف الكريمة على المسلمين في تركستان الشرقية؛ وذلك لسد النقص الموجود هناك.

تزويد المسلمين هناك بالكتب الدينية باللغة التركستانية، فذلك يساعد على توجيه مسلمي تركستان الشرقية نحو العقيدة الصحيحة.

انتهى.

رثاء تركستان أو من (صوت الوجدان والحنين إلى تركستان):

للشاعر عبد العزيز بن جنكيز بن داملا التركستاني، مختصر من منظومة طويلة:

هم نشأوا على الإسلام شعبًا ... وزاد رقيهم شرقًا وغربا
وما زال الزمان بهم حفيا ... يشيد بفضلهم سلمًا وحربا
فمن جيش تسامى للنجوم ... إلى علماء سادوا بالعلوم
وتركستان رغم الدهر تبقى ... رحابا للرقى وللفهوم
جمال طبيعة وجمال طبع ... وحسن شمائل وجلال صنع
قد أخضرت فضائل ساكنيها ... كما اخضرت بأفنان وزرع
رأى تاريخها المجد القديما ... وشيد أهلها العز القويما
أقامت للفخار صروح مجد ... وما زال الفخار بها مقيما
سرى الإسلام فيها كالعبير ... ولاح كمشرق الصبح المنير
وأسلم أهلها طوعًا وحبًّا ... لدين الخالق الحي القدير
فما كادت تمر به سنونا ... وإذ هم بالشريعة ناهضونا
حموا ركن الكتاب تقى وعلما ... فهم علماء أو هم فاتحونا
تساموا في القليل من الزمان ... إلى فضل يجل عن البيان
فتصنيف وتأليف وحفظ ... بدائعه سمت فوق المعاني
هنا الأبطال قاموا للجهاد ... هنا العلماء هبوا للرشاد
هنا جيش هنا سيف وترس ... هنا القرآن مرفوع العماد

هنا كتب الحديث تضيء نورًا ... وتنشر من صحائفها سطورا
سماء للحديث علت مقامًا ... بها الحفاظ قد طلعوا بدورا
حديث المصطفى عالي المنار ... بتركستان مرفوع النجار
فهذا (الترمذي) وذا (النسائي) ... أمير المؤمنين هو البخاري
وفقه أبي حنيفة بالهداية ... تزيد به مصابيح الهداية
فذلك نور مبسوط السرخسي ... وذا صدر الشريعة بالوقاية
سموا بالضاد في شرف الأصول ... بسعد أو بجرجاني وصولي
وجار الله كشاف المعاني ... به التفسير مرفوع الدليل
وإن أدركت فلسفة ابن سينا ... رأيت مواهب المتقدمينا
وقد حل أبو نصر فأبدى ... مآثر تملأ الدنيا فنونا
ملوكهم الأولى شادوا وسادوا ... بهم في المجد يرتفع العماد
فكم غنت بذكرهم البوادي ... وكم ضاءت بنورهم البلاد
فكم كسروا من الأصنام صخرًا ... محوها وابتنوا للدين فخرا
لقد تركوا هياكلها هشيمًا ... ولو كانت على الغبراء تبرا

إلى أن قال:

ترى الفلكي فيهم والطبيبا ... كما تجد المهندس والأديبا
وكم من كاتب لولا نداهم ... لأجري من دم القلم النحيبا
سل التاريخ فهو بهم خبير ... سل الأيام فهي بهم تنير
فهم لسعادة الأيام حصن ... وهم لمطالع الدنيا بدور

ملوك الترك في الإسلام كانوا ... كواكب يستضيء بها الزمان
فلم تجحد مكارمهم ديار ... ولم ينكر فضائلهم مكان
على قدم الشجاعة والمضاء ... إلى علم الترقي والعلاء
ضراغمة لهم في الأرض عز ... يكاد ينال هامات السماء
فأين وأين محمود الأمين ... سما في الجنتين (سبكتكين)
وكم ملك كمحمود كريم ... تضيء بوجهه دنيا ودين
و(بابرشاه) الملك العصامي ... سما بجهاده أعلى مقام
له في الهند أشبال أعادوا ... بناء الحق من بعد انهدام
بنو سلجوق في أوج المعالي ... تضيء بذكرهم ظلم الليالي
لهم مدنية فوق الثريا ... تجل عن البراعة في المقال
هم مهدوا لعثمان الفخارا ... وللأتراك في الدنيا انتصارا
وللإسلام كانوا خير حصان ... وكان بهم على الدنيا منارا
بفضل جهادهم ملأوا العصورا ... وقد سكنوا من الحب الصدورا
ترهم دولة من بعد أخرى ... تضيء فتملأ الأجيال نورا
مواكب قد توالت في العلاء ... كواكب قد تجلت في الضياء
إذا ما غاب ملك جاء ملك ... يفوق السابقين إلى ارتقاء
كذلك جيش تركستان دومًا ... يرد عن الحمى قومًا فقوما
يجاهد في سبيل الله سعيًا ... ولا يرضى عن العلياء نوما
سل الآثار في العصر الخوالي ... تجد آثارهم صحف الجمال

هم ملكوا أعنة كل فضل ... يخلد باسمهم آي الجلال
مضى في العالمين مؤلفونا ... سموا بجهودهم ومصنفونا
بفضل ملوك تركستان كانوا ... لبنيان العلوم يشيدونا
تأمل في المكاتب وهي ترى ... تفيض معانيا وتضيء سحرا
بفضل نوالهم كتبت وأبقت ... لناولهم على الأيام ذكرا
هو التشجيع ينهض بالرجال ... ويبعثهم إلى درك المعالي
ولست ترى من العلماء علما ... إذا جاعوا وضاعوا في الليالي
هبات ملوك تركستان تجري ... فتجري للمعارف ألف بحر
وتلقى الملك تفسره كنوزًا ... من الآداب في شعر ونثر
فمن شعراء قد نظموا اللآلي ... إلى علماء قد نثروا الغوالي
بفضل ملوكهم جادوا وسادوا ... وكانوا للحجا أعلى مثال
صحائفهم لنا أسمى ضياء ... معارفهم لنا أقوى غطاء
فتلك هبات تركستان فينا ... على الأيام دائمة البقاء
مدائن بالحضارة عامرات ... وبالنعم الوفيرة مشرقات
كأن بناءها أمست بروجًا ... تضيء بها عليك النيرات
هي المدن التي حوت البدورا ... وقد بنيت منازل أو قصورا
حدائقها هي الرضوان غرسًا ... وقد غرسوا مع الزهر الحبورا
أعادت سحر بابل في الزمان ... وفاقتها بجنات حسان
تذكرنا بقرطبة وتحيي ... لنا إرمًا بهاتيك المغاني

سلام المسك من (ختن) عليها ... فهذا القلب مشتاق إليها
إذا ما رمت في دنياك حسنًا ... فكل الحسن والدنيا لديها
فكل مدينة تزهي جمالًا ... كبلقيس وقد حوت الجلالا
إذا ما زرتها في جنح ليل ... حسبت الصبح فيها قد تلالا

سمرقند

(سمرقند) عروس الأرض جمعًا ... تفوق رياضها غرسًا وزرعا
فهذا الكنز من أدب وعلم ... وهذا الخصب من ماء ومرعى
تمر بها الكواكب وهي حيرى ... فتمهل في فضاء الجو سيرا
كأن بها غرامًا فهي دومًا ... نشاوى الحب أو هي فيه أسرى
فراديس هي الملك الكبير ... فما في المشرقين لها نظير
وكأن بها (لتيمور) جلال ... ومنبره المعظم والسرير
تراها العين واحدة الزمان ... تألق في رباها جنتان
سقى مخضرها نهر زلال ... فأهلًا بالزبرجد والجمان
هي الخضراء ليس بها جديب ... هي الرضوان ليس بها لُغُوبُ
هي الأفراح ليس بها هموم ... شباب الدهر فيها لا يشيب
بتيمورلنك دان لها الوجود ... وسارت في مواكبها السعود
تباشير المنى تسعى إليها ... وأبطال الكفاح بها جنود
لقد حفلت بتيمور الكبير ... ومرقده الرفيع بـ(كورمير)
كأن جلاله في القبر باد ... على التاريخ كالصبح المنير

ولو شاهدت جامع (شاه زنده) رأيت قداسة الأبرار عنده
شهيد كان للإسلام عونًا سقاه الخلد في الرضوان شهده
ومدرسة هناك (بيبي خانم) بها العمران مرفوع المعالم
فكم من طالب قد كان فيها يدين له بفضل ألف عالم
ومدرسة تسمى (شيردار) وأخرى وهي تدعى وتالله قاري
مموهة الجوانب بالنضار كأن الشمس تسكن في الجدار
ومرصد شبل (تيمور) تراه كأن النجم يسكن في ذراه
سمت طبقاته العليا ثلاثًا ولا يسمو البيان إلى علاه
هناك الملك كان لها ازدهار هناك العلم تم له الفخار
جميع الفضل من دين ودنيا حوته كله تلك الديار
وقرب رحابها قبر (البخاري) سطوع الشمس من ذاك المزار
أمير المؤمنين به مقيم بـ(خرتنج) فأكرم بالجوار
هي الآثار باقية دوامًا سقتها جنة المأوى غماما
مفاخر أرض تركستان تبقى وتبقى للعلا ذاك المقاما

بخارى

ضياء العلم أشرق من (بخارى) بها الإسلام في الدنيا أنارا
مصابيح من العلماء كانوا يضيئون المنازل والديارا
مدارس للحجا كانت مئينا تفوق هناك عد الحاسبينا
ملوك الفقه والفتيا تراهم أعادوا ثم عهد الراشدينا

ألا يكفي (ابن إسماعيل) فيها؟ تزيد بقدره فخرًا وتيها
أمير المؤمنين وسوف يبقى دليلًا مشرقًا في نابغيها
وقد صار اسمه رمز الحديث مضيئًا في القديم وفي الحديث
وكان العلم يجري في رباها كمثل الريح في سير الحثيث
فكنت ترى المدارس في حماها (كركلتاش) تخبر عن علاها
كأن الله لما أن بناها لغرس العلم والفقه اصطفاها
ونصر العارفين بها رفيع لشاه النقبشند له سطوع
... عبقري ألمعي يتمم نور ساحته الجموع
وسعد الدين في ذاك المكان وفاقوا ملك ساسان ازدهارا
وحسبك عندها ذكرى ابن سينا لتعرف كل فضل عن بخارى

طاشكند

وطاشكند التي حوت الجمالا تحاكي الجنة المأوى زلالا
وقد عرفت بـ(شاش) يوم كانت يشد لعلمها الناس الرحالا
مبانيها التي تعلو الجبالا عمائرها التي تسمو الخيالا
منازلها تطيب لساكنيها فما يبغي امرؤ عنها ارتحالا
وقد حاكت مآثرها (خجند) وجلت في المشارق (يا ركند)
خوارزم الكريمة ثم (آقصو) لها في العلم إشراق وسعد

كاشغر

و(كشغر) وهي تبدو ذات سور ... وإن أنصفت قل هي ذات نور
تراها بين نهرين استقلت ... بمجرى الماء أو مجرى العبير
بها العلماء أقطاب الديار ... وفيها العلم مثل النهر جاري
بها المدنية العلياء قامت ... وقامت وهي عالية المنار
إذا يممت مسجد (عيدكاه) ... رأيت الدين في عز وجاء
بنا (يعقوب) الغازي علاه ... ودام له الثناء بلا تناهي
بها العلماء تشهدهم صفوفًا ... بها الطلاب تلقاهم ألوفا
بحار في العلوم لكل أرضٍ ... ويوم الحرب تنظرهم سيوفا
وقبتها التي جلت بناء ... بتلك الأرض تحسبها سماء
كأن لسيد الآفاق فيها ... حلى الفردوس تلبسها رداء
تراها وهي خضراء الأديم ... تراك مثلًا جنات النعيم
وكشغر للحضارة خير ركن ... وفيها آية الفن القديم

كوجار

وما زالت بسؤددها (كشار) ... إليها بالعلا أبدًا بشار
مآثر (قومطورا) فيها كتاب ... مداد سطوره الهمم الكبار
أحيطت بالمدائن والقصور ... وبالآثار والملك الكبير
ترى (شهيار) في طرف وتلقى ... تباشير السعادة من (بكور)

بكور

(بكـــور) للحجـــا والعـــدل دار ... ولـــلأدب الرفيـــع بهـــا ثمـــار
تصـــافحها الســـكينة والوقـــار ... ومـــن جناتهـــا (ينكيحصـــار)

تورفان

و(ترفـــان) تـــرى الآثـــار فيهـــا ... عـــن الأويغـــور تخـــبر زائريهـــا
وبـــين رياضـــها تلقـــى كرومـــا ... هـــي الشـــهد النـــدي لمجتنيهـــا
ترى القنوات تحت الأرض تجري ... بهـــا فتخالهـــا مـــن غيـــر نهـــر
تـــرى الجنـــات تملأهـــا ثمـــارا ... كـــأن حياضـــها مـــن نبـــع ســـحر

قمول

(قمـــول) ســـمع عرينًـــا للأســـود ... ومنبـــع غـــارة وحمـــى جنـــود
تـــدانت مـــن حـــدود الصـــين قربًـــا ... وعـــزم رجالهـــا فـــوق الحـــدود

غولجا، أورومشي

و(غولجـــا) آيـــة المـــدن الكبـــار ... و(آلتـــاي) الغنيـــة بالنضـــار
وما أنسى (مناسًا) أو (أورومشي) ... كـــلا البلـــدين حصـــن للفخـــار
بـــلاد أخصـــلت لله عزمًـــا ... ودانـــت بالهـــدى عمـــلًا وعلمـــا
فتبصـــر حربهـــا همـــمًا وبأسًـــا ... وتشـــهد ســـلمها كرمًـــا وحلمـــا
فيـــوم للجهـــاد وللســـيوف ... ويـــوم للصـــلاة وللصـــفوف
ويـــوم للعلـــوم وألـــف يـــوم ... لرعـــي الجـــار أو كـــرم الضـــيوف
تـــراهم كـــل حـــين في اتحـــاد ... وفي لغـــة وفقـــه واعتقـــاد

ولست ترى على الدنيا وفاقًا ... كمثل الترك في تلك البلاد

ولست تراهم متعصبينا ... ولا في نحلة متشعبينا

ولكن في حياد واتحاد ... بنى الإسلام عزمهم حصونا

(سلام الله لا أرضى سلامي) ... وشوق ليس يحصيه كلامي

وألف تحية لك يا بلادي ... (وكل تحية دون المقام)

تم الكتاب بحمد الله.

ملحق صور الزيارة

أمام جامع عيد كاه في كاشغر

منظر من التجمع الإسلامي أمام جامع عيد كاه في كاشغر

والي كاشغر عبد الغفور صديق بجوار رئيس الوفد في المأدبة التي أقامها الوالي في كاشغر

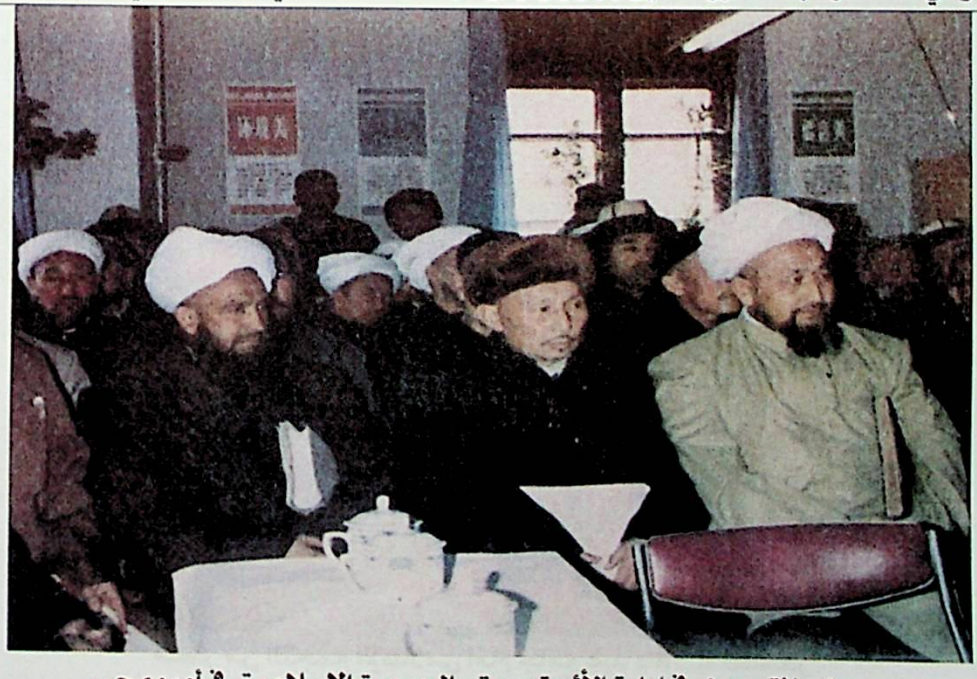

بعض المتدربين في إدارة الأئمة – مقر الجمعية الإسلامية في أورومجي

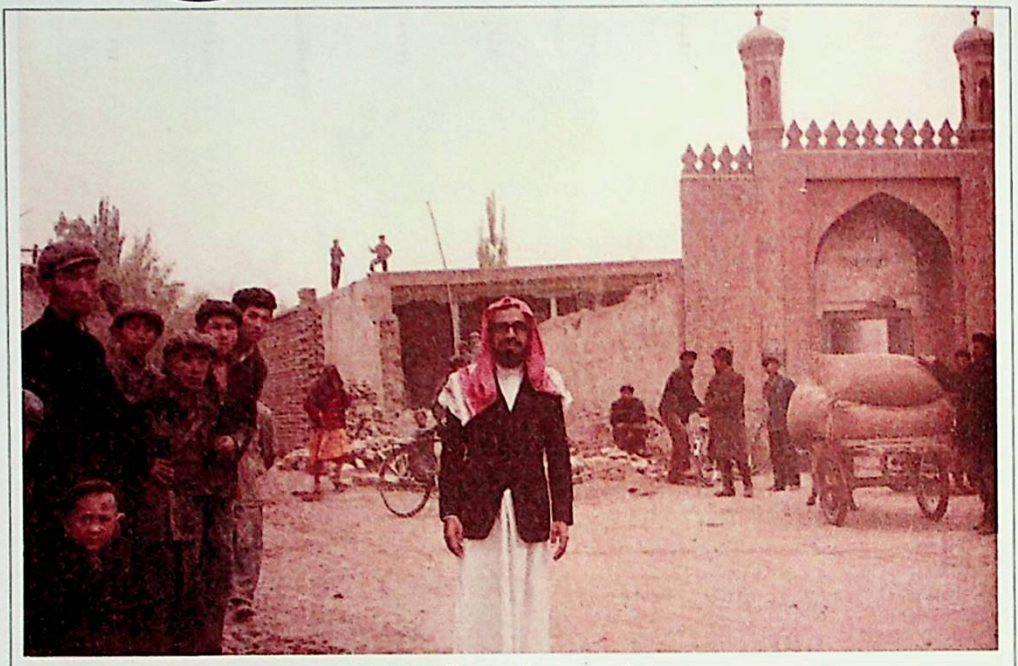

بوابة مسجد قديم في كاشغر

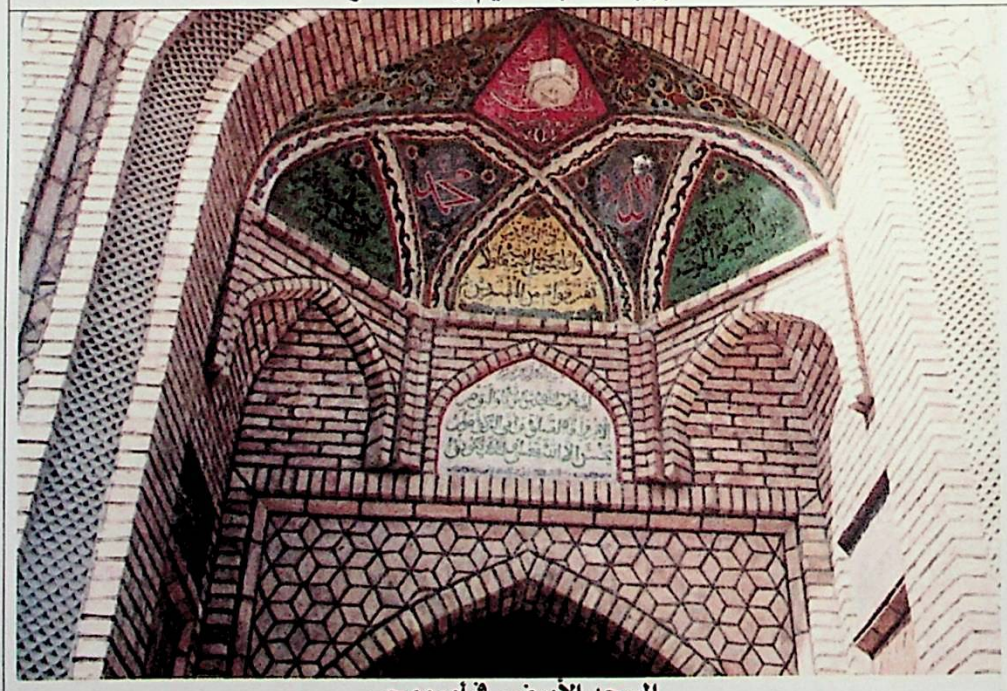

المسجد الأبيض في أورومجي

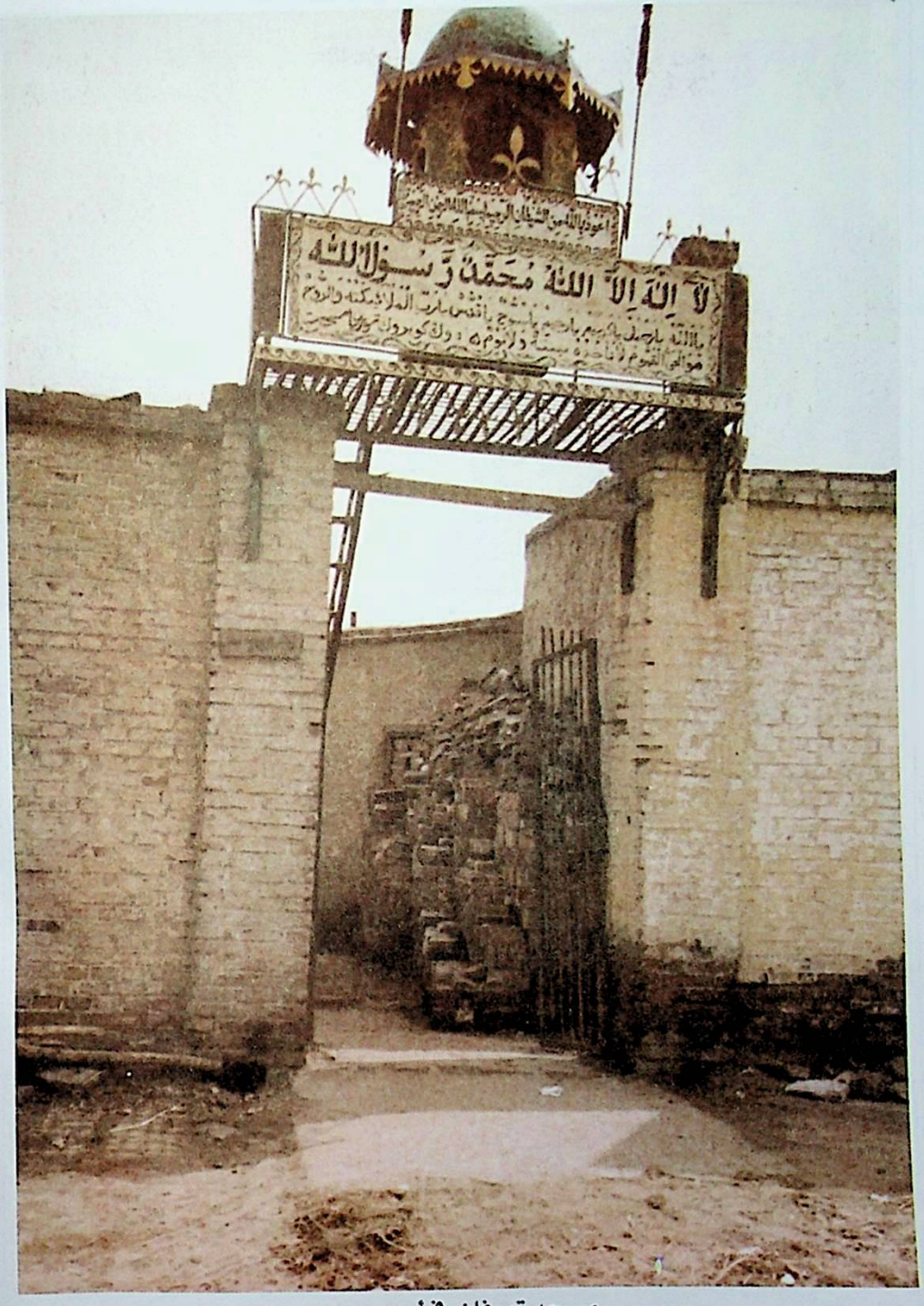

مسجد تورفان في أورومجي

في ضيافة الشيخ محمد صالح قاري في أورومجي

الأستاذ محمد أمين كنجي والشيخ عبد الله روزي واملا

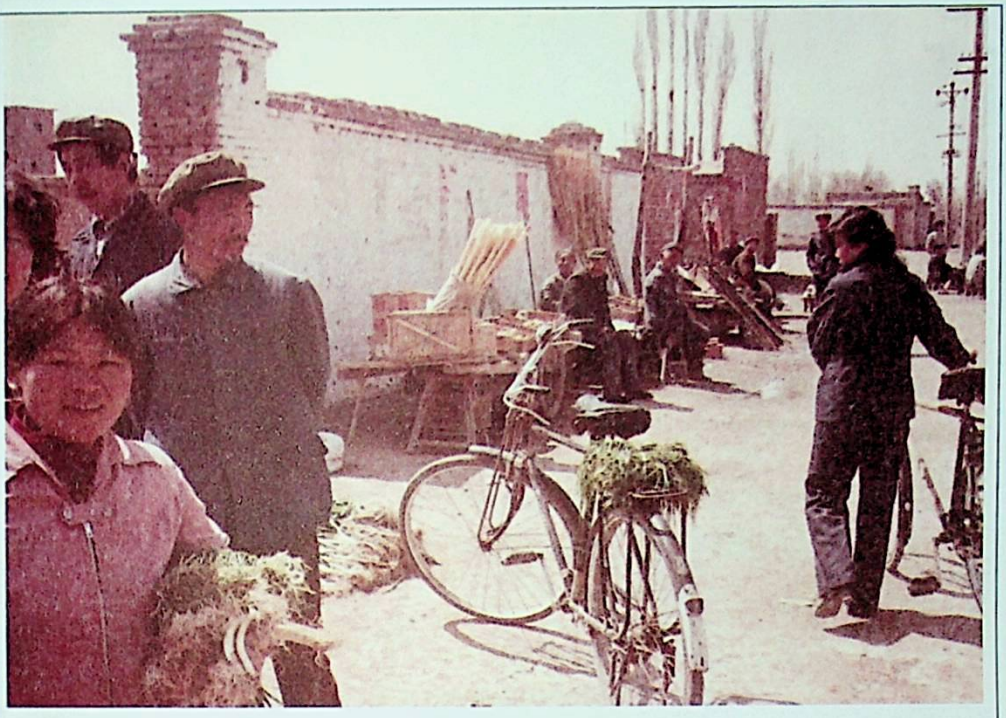

سوق الخضار في أورومجي

حشود ضخمة في جامع كاشغر يستمعون لخطاب المؤلف

وفد رابطة العالم الإسلامي مع معالي الأستاذ إسماعيل أحمد حاكم منطقة شينجانغ أويغور الذاتية الحكم

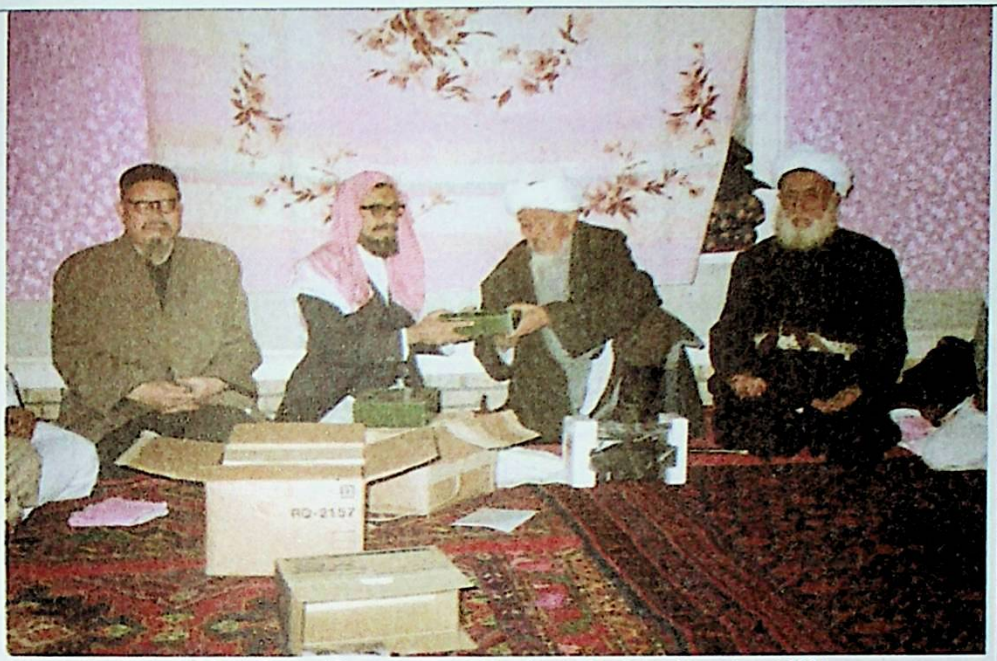

المؤلف يقدم الهدايا والتبرعات للشيخ محمد قاسم في كاشغر
وعن يساره نائب رئيس الجمعية الإسلامية الصينية

الشيخ إلياس شن شياشي رئيس الجمعية الإسلامية الصينية
الشيخ أمين واجدي رئيس الإدارة القومية في تركستان الشرقية

في منطقة القازاق في الطريق إلى بحيرة السماء المؤلفوعبد الرحمن بن عوين البعير ذا السنامين

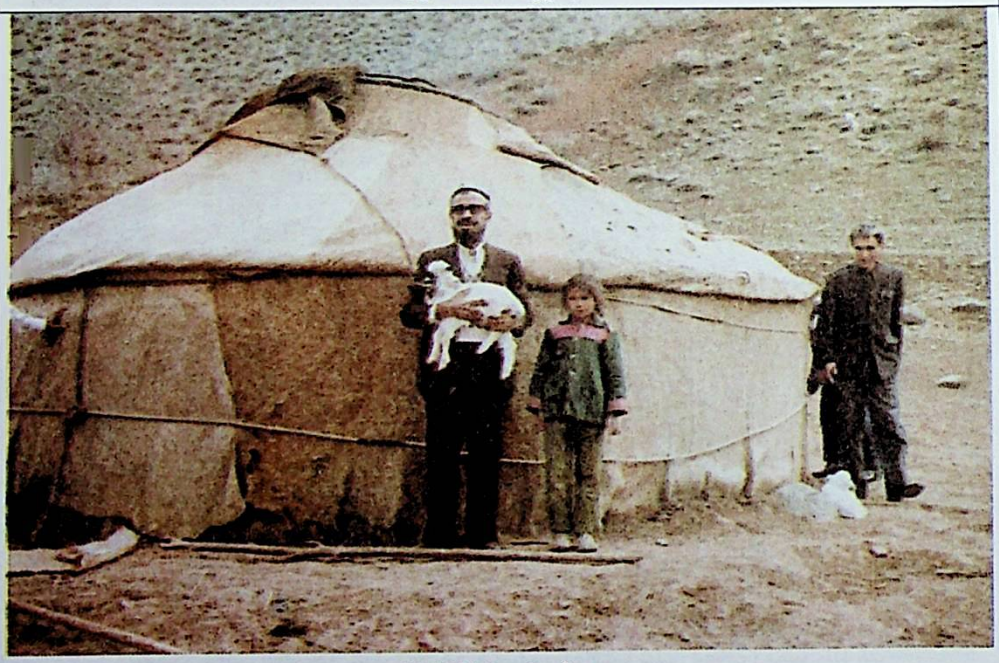

حول خيمة القازاق

الشيخ عبد الله روزي واملا رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة شينجانغ تركستان الشرقية
الشيخ محمد صالح قاري مدير المعهد الإسلامي ومترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأويغورية

حفلة والي كشغر عبد الغفور صديق الواقف على يمين رئيس الوفد

مدخل المسجد الأبيض في أورومجي

المؤلف مع عبد الله روزي في ثلج دار الضيافة في أورومجي

شارع في أورومجي

مع نائب القائد العام لفيلق السلام في شمال أورومجي

صالخ وعبد الله روزي في ثلج دار الضيافة في أورومجي

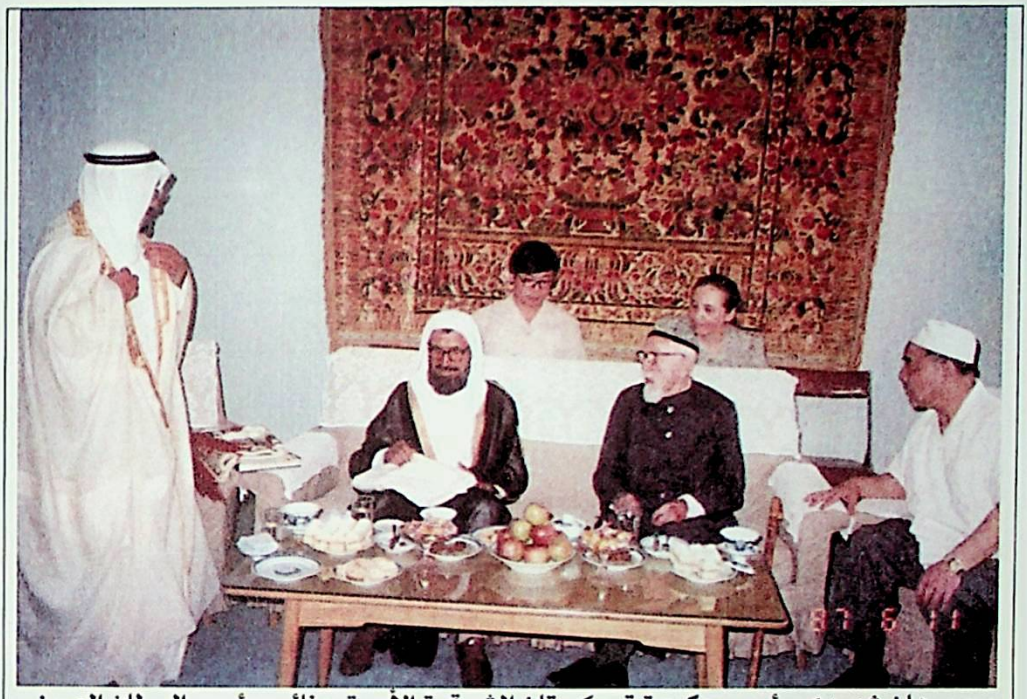

مع برهان شهيدي رئيس حكومة تركستان الشرقية الأسبق ونائب رئيس البرلمان الصيني

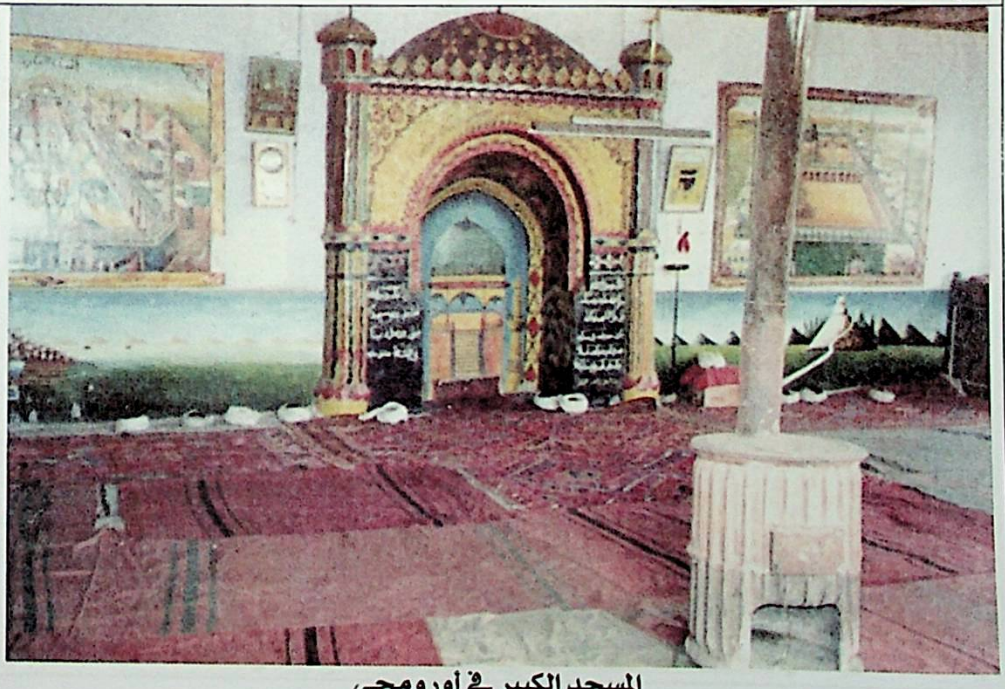

المسجد الكبير في أورومجي

مسجد الشعب في أورومجي

المؤلف مع نائب قائد فيلق الإنتاج العسكري السيد جارك بيك عام 1984 في سينكانج

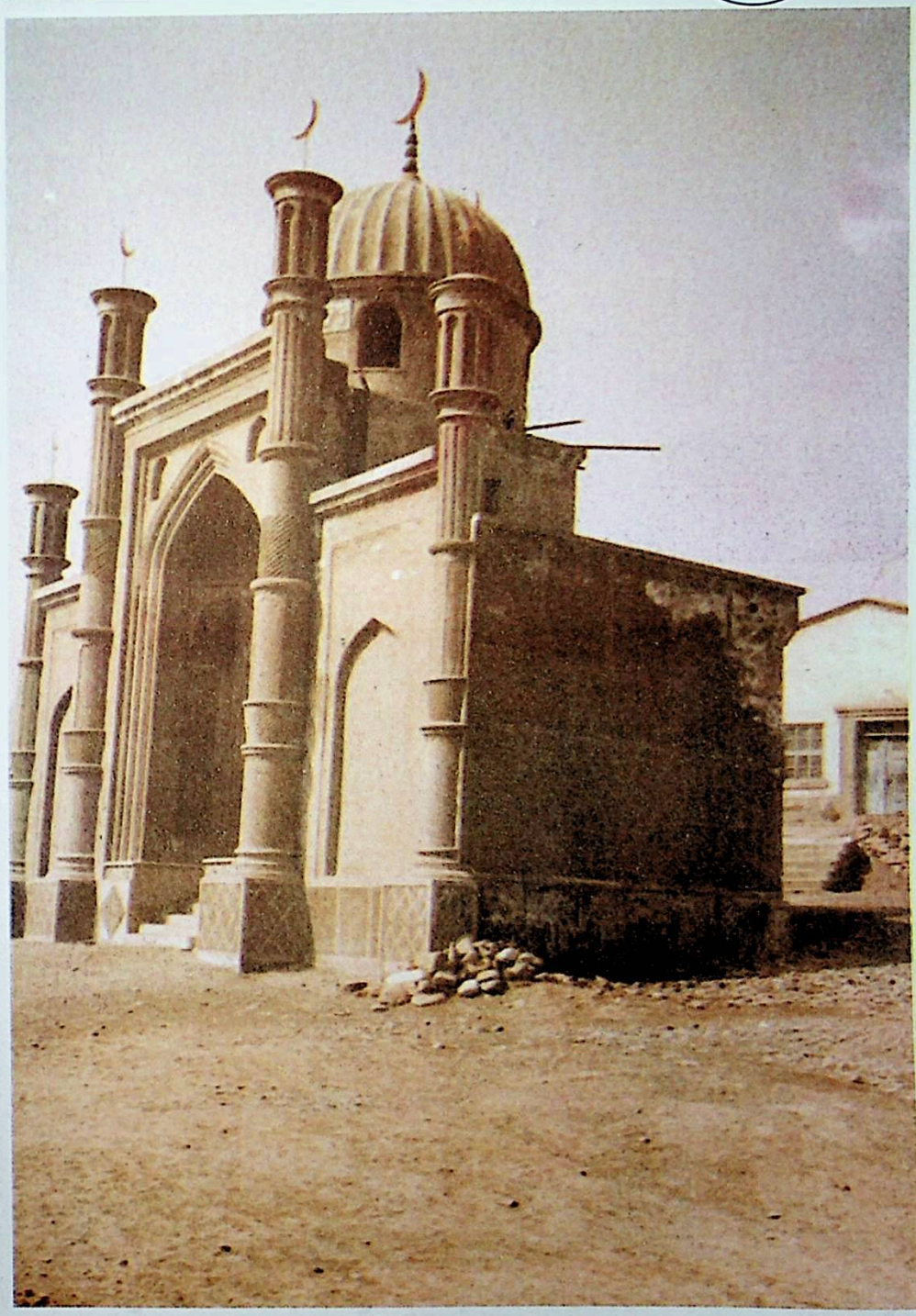

نور لوق – مسجد النور في أورومجي

المتدربون في دورة الأئمة في مقر الجمعية الإسلامية في أورومجي

الأستاذ عبد الرحيم لطيف رئيس المجلس الاستشاري يلقي كلمة الترحيب بالوفد أثناء مأدبة العشاء